المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
قسم الإصدار (٧٩)

تحقيق الفوائد الغياثية

تأليف
شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني
(ت ٧٨٦هـ)

تحقيق ودراسة
د. يحيى بن وهيبل الله بن عجلان الغوني
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ
مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٧٩)

تحقيق الفوائد الغياثية

تأليف

شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني
(ت ٧٨٦هـ)

تحقيق ودراسة

د. علي بن دخيل الله بن عجيمان العوفي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٥هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

تحقيق الفوائد الغياثية لشمس الدِّين الكرماني

تحقيق ودراسة: د. عليّ بن دخيل الله بن عجيّان العوفي

ـ المدينة المنوّرة.

٥٧٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٢٢١-٠٢-٩٩٦٠

١ ـ ـ ٢ ـ ـ أ ـ العنوان

ديوي ٤١٥,٥ ٢٢/٢٦٤٠

رقم الإيداع: ٢٢/٢٦٤٠

ردمك: ٨-٢٢١-٠٢-٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة
للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة

مكتبة العلوم والحكم

المدينة المنوّرة ـ شارع الستين ـ ص.ب ٦٨٨

ت ٨٢٥١٩٤٢ ـ ٨٢٦٣٣٥٦ ـ فاكس ٨٢٢٠٦٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميّة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه، والتّابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أما بعد: فإنّ أشرف ما تتّجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنّظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأنّ ذلك هو الذي يوصل إلى السّعادة، كما قال الرّسول ـــ صلّى الله عليه وسلّم ـــ : «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر من الآية:٢٨].

وأوّل ما بدئ به رسول الله ـــ صلّى الله عليه وسلّم ـــ هو وحي الله إليه بالعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، [العلق: ١-٥].

وقال تعالى يخاطبه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، [محمّد من الآية: ١٩].

وقال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾، [طه من الآية: ١١٤].

وما قامت به الحياة السّعيدة في الحياة الدّنيا والآخرة إلاّ بالعلم النّافع.

ولذا كان التّعليم هو الهدف الأعظم لمؤسّس المملكة العربيّة

السّعوديّة الملك عبد العزيز رحمه الله، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشّريفين، أوّل وزير للمعارف بلغت مسيرة التّعليم مستوى عالياً، وازدهر التّعليم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة، التي تعمل على هدي الشّريعة الإسلاميّة، وتقوم بتنفيذ السّياسة التّعليميّة بتوفير التّعليم الجامعيّ والدّراسات العليا، والنّهوض بالبحث العلميّ والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومن هنا، فعمادة البحث العلميّ بالجامعة تضطلع بنشر البحوث العلميّة، ضمن واجباتها، التي تمثل جانباً هامّاً من جوانب رسالة الجامعة ألا وهو النّهوض بالبحث العلميّ والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر.

ومن ذلك كتاب: **[تحقيق الفوائد الغياثيّة]**، تأليف: **شمس الدّين محمّد بن يوسف الكرمانيّ (ت ٧٨٦هـ) تحقيق ودراسة د. عليّ بن دخيل الله عجيّان العوفي.**

نفع الله بذلك ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصّالح، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

معالي مدير الجامعة الإسلاميّة

د/ صالح بن عبد الله العبود

المقدِّمة

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[1] آمين.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرفِ الأَنبياءِ والمُرْسلين، وآلِه الطَّيِّبين الطَّاهرين، وصَحابتِه الغُرِّ الميَامين، والتَّابعين لَهم بإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّين وبعد؛

فإِنَّ أعظمَ ما استُنفرت له الطَّاقات، وأُنفقَت في سَبيله الأَوْقَات، ما امتدَّ نفعُه للمَرءِ من الحياةِ إلى المَمَات، وقَدْ قَالَ رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْه عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ؛ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعو له»[2].

---

(١) سورة الفاتحة. وآياتُها سبع.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه:(٣/١٢٥٥)؛في كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثّواب بعد وفاته؛حديث رقم(١٦٣١).واللّفظ له.وأبوداود في سننه: (٣/٣٠٠)؛ في كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصَّدقة عن الميّت؛ حديث رقم: (٢٨٨٠). والتّرمذيّ في جامعه: (٣/٦٦٠) في كتاب الأحكام؛ باب في الوقف؛ حديث رقم (١٣٧٦). والنّسائي في سننه: (٦/٢٥١)، في كتاب الوصايا، باب فضل الصّدقة عن الميت؛ حديث رقم (٣٦٥١). والدّارميّ في سننه: (١/١٤٩) في المقدّمة؛ باب البلاغ عن رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- وتعليم السُّنن، حديث رقم (٥٥٩).

وكانَ من نِعَم الله عليَّ أَنْ أَلقى في رُوْعي ــ منذُ نعومة أَظفاري، وأَنا أَتَلقَّى تَعْليمي الأَوَّليّ في جَنَبات هذه الجامعة المباركة ــ فَهْماً صَحيحاً لحديث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الآنف الذِّكر، ولغيره من الأَحَاديث الوَاردة في فَضْل العلْم. فَأَحْببتُ طريقَه وسلكتُ سُلَّمه. سَائلاً اللهَ ــ سُبْحَانَه وتَعالى ــ فَضْلَه وبركَتَه، ومَا زِلْتُ كذلك؛ أَتقلَّبُ بين مَعَاهد الجَامعة الإسْلاميَّة وَكُلِّيَّاتها نَاهلاً من مَعينها العَذْب الصَّافي حتَّى امتنَّ الله عليَّ بالقبول في مَرْحلة العَالميَّة العَاليَة "الدُّكْتوراه".

وكان من تَوفيق الله وفَضْله عليَّ وعلى زُملائي طلبة الدِّراسات العُليا في كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة ــ في تلك السَّنة ــ أَنْ رأى القَائمون على الجَامعة الإسْلاميّة، وعلى رَأْسهم مَعَالي مُديرها الحاليِّ؛ فضيلة الدُّكتور/ صالح بن عبد الله العُبود ــ ضرورةَ العودة إلى الإفادة من نظام التّعاقد بتزويد قسم الدِّراسات العُليا بالكُلِّيَّة بعددٍ من الأساتذة الفُضلاء، والعلماء الأَجلاّء؛ ليكونوا عوناً لطلبة الدِّراسات العُليا منْ جهة، وليسْهموا مع زملائهم السُّعوديين في تَنْمية المعرفة الإنْسانيَّة منْ جهةٍ أُخرى.

وبالفعْل قَيَّضَ اللهُ لي مُلازمةَ أحدهم؛ وهو مَنْ هو في العلْم والفَضْل!! فضيلة الأستاذ الدُّكتور/ عَبْد السَّتَّار حُسَين زَمُّوط؛ حيثُ عُيِّن مُشْرفاً لي.

وما زلتُ أستخيرُ الله، وأستشيرُ مشرفي في موضوع البَحْث، وهو يحبِّبُ إليَّ التَّحقيقَ ويقرِّبُني منه؛ حتَّى اسْتشعرتُ أهميَّته، وأدركتُ خُطُورتَه، وأنَّه لا يَضْطلعُ به إلاَّ أصحابُ الهممِ العالية والقُدرات الفائقة؛ ممَّن عرفَ لعلماء الأُمَّة الأسلاف حقَّهم، وقدَّرهم حقَّ قَدْرهم. وأَدْركَ تَمَاماً أَنَّ العبثَ بتراثهم، والتَّسرّعَ في إخْراجه؛ أشدُّ وبالاً وأَعظمُ

خِزْيـــاً من بقائه قَابعـــاً في مَكانه؛ عَلى صُورته الَّتي تَركها المؤلِّفُ عَليه.

وهكـــذا ظـــللتُ أُطـــالعُ مرشـــدي -بـــين الـــوَقْتِ والآخـــر-بما تَيسّر لي الوقوفُ عليه؛ من مَخْطُوطات جَديرة بالتَّحقيق -في نظـــري-، وأعرضُ عليه، وهو لا يَأْلُو جُهدًا في الفَحْصِ والنَّظر، والتَّقصِّي والتَّتبُّع؛ بَل وقراءةِ المَخْطوطِ؛ مع مَا فيه مِنْ الجُهدِ والمَشَقَّة؛ ثمَّ يصدر حُكْمَه المصـــيبَ لكبد الحقيقَة.

وعندما يَسَّر الله لي الاهْتداءَ إلى كتاب "تَحْقيـــقِ الفَوائـــدِ الغياثيَّـــة" لشَمس الدِّين الكِرْمَانيِّ وجَدْتُني مع زَميلٍ بَاحثٍ فاضلٍ في قِسْم اللُّغويَّات؛ هو فضيلةُ الدّكتور/ ناجي محمدو حين، وكان قَدْ سجَّلَ مَوْضُوعـــاً يَتعلَّقُ بتحقيقِ كتاب لشَمْس الدِّين الكِرْمَانيِّ؛ مكَّنه من الوُقوف على عَنَـــاوين كُتبه، فذكرَ لي أنَّ لشارح صحيح البخاريّ؛ شمسِ الدِّين الكِرْمَانيِّ مؤلَّفـــاً في البلاغةِ ودلَّني على بعضِ المَصَادر الَّتي أورَدت خبرَه.

وبعونِ الله وتيسيره؛ لَمْ تمضِ أسابيعُ قَلائل إلاَّ وتصوّرٌ شـــاملٌ عـــن الكتابِ ومؤلِّفه تحت سَمْعِ المشرف وبصره، وإحدى نُسَخِه المجلوبة مـــن خارجِ المملكةِ بين يَدَيْه،فوافقَ اسْتحسانُه اسْتحْسَاني،وفرضتْ قيمةُ الكتابِ العلميَّة نَفْسها عليَّ وعليه؛فَلَمْ أجدْ مَناصـــاًمن التَّقدُّم به إلى القِسْمِ وتَسْجيله.

وثَمَّت أسبابٌ عدَّة دَفَعتْني إلى اخْتيارِ هذا الموضُـــوعِ، ويمكـــنني أَنْ أُقسِّمَها إلى قِسْمين:

أولاً: دوافع تَتَعلَّقُ بالباحثِ، منها:

١ ــ رغْبَتي الملِحَّة ــ الَّتي أَذْكاهـــا فيَّ مشرفي ــ في المُشَـــاركةِ في

إحياءِ التُّراثِ العربيِّ والإسلاميِّ؛ بتحقيقِ مخطوطَاتِه، وبعثِ نَفائسِه وكنوزه، ولو لَمْ يكن للتّحقيق سوى هذه الميزة لكفت.

٢ ــ رغبتي الجادَّة في الجمع بين التَّأليف والتَّحقيق، واكتساب التَّجربة في كليهما، ولَمَّا كانت أطْروحتي في (الماجستير) مَوْضُوعاً؛ ناسبَ أن تكونَ في (الدُّكتوراه) تحقيقاً ودراسةً؛ فأجمعُ بذلك بينَ النَّوعين.

٣ ــ إيماني بأنَّ البلاغةَ العربيَّةَ في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى تَجْديد، وأنَّ أوَّلَ سبلِ تَجْديدِها الرُّجوعُ إلى تُراثِنا البَلاغيِّ واسْتيعابُه؛ لنبني على أُسسِه ما نَطمحُ إليه من التَّجديد.

٤ ــ رَغْبتي في إشْباع شوقٍ تملَّكني في أَثْناء قِراءتي المخطوطَ لأوّلِ مرةٍ؛ أجد مَكْمنه في عمقِ الفكرة،ودقّة المَلْحظ،وقوّة الحُجَّة،وحسنِ العرض.

٥ ــ رَغْبتي في التَّمكُّنِ والاسْتيعابِ التَّامِّ لجميعِ المباحثِ البلاغيَّةِ العربيَّة، والنَّهلِ من مَعينها التُّراثيّ الصَّافيّ.

٦ ــ رَغْبتي في الإسْهامِ في إخْراجِ كتابٍ مِنْ كُتبِ التُّراثِ العَربيِّ؛ خدمةً للعلم وأهله، وإثْراءً للمراجعِ الأَصْليّة في المكتبةِ العربيَّة.

ثانيـاً: دوافع تتعلَّقُ بالمَخْطُوط:

١ ــ قيمةُ الكتابِ العلميَّةِ فهو متضمِّنٌ لكتابَينِ عَظيمَين؛ أَحدهما: مختصرِ الإيْجيّ، والآخر: شرحِ الكِرْمَانيِّ، وكلاهما ذو أَهميَّةٍ بالغة؛ لأَنَّهما يستمدَّان مادَّتَهما من مفتاحِ العلومِ للسَّكَّاكيِّ مباشرةً.

هذا؛ وقَدْ تَضَمَّن الكتابُ الشَّارحُ «تحقيقُ الفَوائد» علومَ البلاغةِ الثَّلاثة:

المَعَاني، البَيَان، البَديعَ. وتناولَ بالشَّرحِ التَّفصيليِّ-أَحْيانًا- جميعَ المباحثِ البلاغيَّة؛ حيثُ بدأَ بتعريفِ علمِ المعاني وتحدَّثَ عن غَايته ثمَّ تحدّثَ عن الخَبرِ، فعرَّفهُ واسْتَطردَ في بيانِ حَقيقته، وخلافِ العلماءِ حولَ صدْقه وكذبه، ثمَّ بَيَّنَ الغرضَ من إلقائه، وأضْرُبَه، وخروجَه عن مُقْتَضى الظَّاهرِ، وأدواتِ تأكيده، ومَا قَدْ يردُ من أغراضٍ فرعيَّة، ثُمَّ تحدَّثَ عن بقيَّة أحوالِ الإسناد، ثُمَّ بَيَّنَ أحوالَ المُسْند إليه، والمُسْند؛ من حيثُ الحذفُ والذِّكرُ،والتَّقديمُ والتَّأخيرُ،والتَّعريفُ والتَّنكيرُ...إلخ؛ذاكراً الأَسْرارَ البلاغيَّة الَّتي تَقْتضي كلاًّ منها، ثم تحدَّثَ عن أَحْوالِ متعلِّقاتِ الفعْل من حيثُ التَّقديمُ والتَّأخيرُ... إلخ؛ مع بيانِ الأَسْرارِ البَلاغيَّة لهذه الأَحوال، ثُمَّ تحدَّث عن القَصْر؛ فعرَّفه، وقسَّمَه باعتبارِ طَرفيه، وباعتبارِ حالِ المُخاطب، وبَيَّنَ طُرقَه وأَدَواته، ثُمَّ تحدَّثَ عن الفَصْلِ والوَصْل، فعرَّفهما، وبَيَّنَ مواضعهما، ثُمَّ تحدَّث عن الإيجازِ والإطْنابِ والمُساواة، وخَتَم كلامَه بالحديثِ عن الطَّلبِ فَعَرَّفَه، وبيَّنَ أَقْسَامه، وتقسيماتِ كُلِّ قِسْم.

وكذلكَ الحالُ في علْمي البيانِ والبديعِ؛ فقَد تناولَ جميعَ مباحثِ علْمِ البيانِ، وبعضَ المُحَسَّناتِ البَديعيَّة؛ المعنويَّة واللَّفظيَّة.

وممَّا يزيدُ في قيمةِ الكتابِ ويرفعُ شأنَه بين الكتبِ البلاغيَّة الأُخرى؛ أَنَّ المؤلِّفَ لَمْ يقتصرْ في عَرْضه للمباحثِ البلاغيَّة على التَّعريف والتَّقسيمِ والتَّمثيلِ؛ بَلْ إنَّه لا يَفْتأ تَوضيحًا وتفصيلاً وعرضًا للأدلَّة وتَرْجيحًا، مقرِّبًا المعلومةَ من أَقْربِ الطُّرقِ وأيسرِها فإذا مَا تعرَّضَ لمثالٍ يحتاجُ إلى إيضاحٍ شرحَ غامضَه وفكَّ طَلْسَمَه وربما نَسَبه إلى قائله؛ إنْ كان له قائلٌ معيَّن، وإذا ما تطرَّقَ لقضيَّةٍ بلاغيَّةٍ تناولَها البلاغيُّون تحدَّث عنها وذكرَ

مُجْمَلَ ما وردَ فيهاَ من آراءٍ وناقَشَها وربَّما رجَّح بينها، وكلُّ ما تقدَّمَ يعرضُه بعقلٍ منظَّمٍ ناضجٍ مؤصَّلٍ تأصيلاً قويًّا بشتَّى أنواعِ العُلُوم، ناهيكَ عن المنهجِ الواضحِ الَّذي سارَ عليه المؤلِّفُ في كتابِه؛ حيثُ ضمَّن كتابَه كتابَ شيخه الإيجيِّ دون أَنْ يُنقصَ منه حرفًا واحدًا مُلتزمًا في ذلك كُلِّه بخطَّة الكتابِ المَشْرُوح؛ الَّذي بناهُ صاحبُهُ على أُسسٍ مُحْكَمَةٍ؛ قوامها الفصولُ، ثُمَّ القوانينُ، ثُمَّ الفُنونُ، ثُمَّ الأَنواعُ.

أمَّا الكتابُ المشروحُ «الفوائدُ الغياثيَّة في المعاني والبَيَان» فقَد تضمَّن تلخيصًا وافيًا للقسمِ الثَّالث من كتابِ «مفتاحِ العُلُومِ» للسَّكَّاكيِّ؛ الَّذي يُعدُّ من أهمِّ الكتبِ البَلاغيَّة عند المتأَخِّرين؛ لأَنَّه رأسُ مَدْرَسَتِهم؛ ممَّا جعلهُم يعكفُون عليه تَلْخيصًا وشَرْحًا، وظلَّت هذه الشُّروحُ والدِّراساتُ عمدةَ الدَّارسين للبلاغة إلى يَوْمنَا هذا.

وعليه: فإنَّ كتابَ «الفوائدَ الغياثيَّة» لعضُد الدِّين الإيجيِّ يُوازي كتابَ تخليصِ الخَطيبِ في المَنْزِلَة؛فكلاهُماختصرٌ للمفتاح.كمَا أَنَّ«تَحقيقَ الفَوائد» للكرمانيِّ يُوازي كتابَ الإيضاح للخطيب؛ فكلاهما شرحٌ لمُخْتَصر.

وإذا رأينا كثرةً من الشُّروحِ قامتْ على التَّلخيص؛ لاحْتِيَاجِه إلى الإيضاحِ والشَّرحِ حتَّى شَرَحَه صاحبُه نَفْسُه (الخطيبُ القَزْوينيُّ) في كتابِه المَشْهُورِ: «الإيضاح»؛ فإنَّ ذلك يُؤكِّد حاجةَ كتابِ الإيجيِّ إلى شرحٍ وإيضاحٍ؛ فجاءَ هذا الكتابُ موضوعُ التَّحقيقِ والدِّراسةِ محقِّقًا لهذا الهدف.

ومن هُنا نَلْمَسُ أهميَّةَ الكتابَيْن؛ المَشْروحِ والشَّارحِ.

٢ - تَمَيُّزُ الكتابين المُتقدِّمين-الشَّرح والمشروح-بأنَّهما لعَلَمَين

بارزَين عُرِفا بالثّقافة العَميقَة والاطّلاعِ الواسعِ ممَّا أَعْطى للكِتَابين صِبْغةً جَديدةً تُميِّزهما عَنْ غيرِهما من كُتبِ البلاغةِ الأُخْرى.

فصاحبُ الكتابِ المَشْروحِ هو/ عبدُ الرَّحمن بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الغفّارِ الإِيْجيُّ؛ المُكنَّى بأبي الفَضْل، والملقَّب بعضدِ الدِّين، قَاضي القُضَاةِ في زَمَنِه، وشَيخ الشَّافعيَّة في بلده.

قال عنهُ الأَسْنويّ في طَبقاته[1]: «كان إمامًا في عُلُومٍ متعدِّدةٍ، مُحقِّقًا مُدقِّقًا ذَا تصانيفَ مَشْهورة».

وصاحبُ الكتابِ الشَّارحِ هو/ شمسُ الدِّين؛ محمَّد بنُ يوسفَ الكِرْمَانيّ؛ عالمٌ ذاعَ صيتُه، وطَارَت بشهرته الآفاقُ؛ فقد كان أُصُوليًّا فَقيهاً مُحَدِّثاً، مُفسِّرًا مُتكلِّمًا، أَديبًا نَحْويًّا، بَيَانيًّا. ومن اتَّصف ببعضِ هذه الصِّفات فإنَّ كتابَه ــ ولا شكَّ ــ سَيكونُ ذا شأنٍ عظيمٍ؛ لما سَوف يحويه من فَرائدَ ونَفَائس؛ فكيفَ بمن اتَّصفَ بهذه الصِّفات كُلِّها؟!.

ثُمَّ إنَّ الكِرْمَانيَّ تتلمذَ على شيخه الإيجيِّ ولازمَه مُدَّةً طويلةً، وقَرَأَ عليه جُلَّ كُتُبه؛ ممَّا جَعَلَه من أخصِّ تلاميذه، وهذَا بدَوره يَجْعَله أَدْرى بمُرَاده، وأَعْلَمَ بكُتُبه، وقَدْ بَدَا ذلك جَليًّا مِنْ خلالِ كتابه «تحقيق الفوائد الغِيَاثيَّة» في أَثْناءِ تَعْليقه على بَعْضِ القَضَايا؛ حيثُ صرَّح في مَواضعَ مُتفرِّقة بأَنَّ لشيخه رأيًا حولَ هذه القَضيَّة لَمْ يذكُرهُ ويحسنُ بالمقامِ ذكرهُ فيَذْكره.

٣ - كَونُ «تحقيق الفوائد» من المَخْطوطاتِ النَّادرة الْمُهمّة الَّتي لَمْ تُنشرْ وإخراجُه يُعدُّ خدمةً جَليلةً للتُّراث العربيِّ، أمَّا «الفوائدُ الغياثيَّة» فإنَّه - وإنْ

(١) أي: طبقات الشّافعيّة: (٢/٢٣٨).

أُخرِجَ متأَخِّرًا[1] إلاَّ أَنَّه لَمْ يَظْهَرْ بالصُّورةِ المرضيَّة؛ حيثُ لَمْ يَلْقَ من المُحَقِّقِ العَنَايةَ المَأْمُولَة؛ ناهيكَ عَنْ اعتماده في التَّحقيقِ عَلَى نُسخٍ متَأَخِّرة.

٤ ــ تَمَيُّز كِتابِ «تحقيقِ الفَوائدِ» بالشُّمُولِيَّةِ وحُسْنِ العَرْضِ في الغالبِ الأَعَمِّ.

(١) أخرجه د. عاشق حسين. ونشـــرته - دار الكتاب العربيّ؛ القاهرة. ودار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، عام ١٤١٢هـــ ــ ١٩٩١م. وسبق أن طبع طبعة قديمـــة برفقـــة كتاب شرح الفوائد الغياثيّة لطاش كبرى زاده.

خطة البحث

هَذَا؛ وقَدْ قسَّمتُ موضوعَ الرِّسالةِ إلى قْسمينِ رئيسين؛ تسبقهُما مُقدِّمةٌ وتَعْقُبُهما الفَهَارسُ الفنِّيَّة، ورسمتُ الخُطَّةَ على النَّحوِ الآتي:

١ - **المُقدِّمة.**

٢ - **القسمُ الأَوَّل: قِسمُ الدِّراسة.**

ويشتملُ على تمهيدٍ وفَصْلين:

التَّمهيدُ: التَّعريف بالعضدِ الإيجيِّ وكتابِه «الفوائد الغياثيَّة»، وفيه مبحثان:

المَبْحثُ الأَوَّل: التَّعريفُ بعضدِ الدِّين الإيجيّ.

المَبْحثُ الثَّاني: التَّعريفُ بكتابِه «الفوائدِ الغياثيَّة».

الفصل الأَوَّل: التَّعريفُ بشمسِ الدِّين الكِرْمَانيِّ، وفيه: تمهيدٌ، وثلاثةُ مباحث:

التَّمهيدُ: نُبْذَةٌ موجزةٌ عن عَصْرِ الكِرْمَانيِّ.

المَبْحثُ الأَوَّل: حياةُ الكِرْمَانيِّ، وفيه ثلاثةُ مطالبٍ:

المطلَبُ الأَوَّل: اسمهُ، ونسبهُ، ولقبهُ، وكنيتُه.

المطلَبُ الثَّاني: مولدهُ، ونشأتهُ، ورحلاتُه.

المطلَبُ الثَّالث: عقيدتهُ، وأخلاقهُ، وصفاتُه.

المَبْحثُ الثَّاني: شيوخهُ، وتلاميذهُ، ومكانتُه العِلْميَّة، وفيهِ ثلاثَةُ مطالِبٍ:

المطلَبُ الأَوَّل: شيوخُه.

المطلَبُ الثَّاني: تلاميذُه.

المطلَبُ الثَّالث: مكانتُه العِلْميَّة.

المَبْحثُ الثَّالث: مصنَّفاتُه، ووفاتُه، وفيه مَطلبَان:

المطلَبُ الأَوَّل: مُصنَّفاتُه.

المطلَبُ الثَّاني: وفاتُـــــــه.

الفصل الثَّاني: التَّعريفُ بكتابِ «تَحْقيقِ الفَوائدِ الغِياثيَّة»، وفيه أربعـــةُ مباحث:

المَبْحثُ الأَوَّلُ: اسمُ الكتاب، وتَوْثيقُ نِسْبَته للمُؤَلِّف، ومنهجُ المؤلِّف فيه، وفيه ثلاثةُ مَطَالب:

المطلَبُ الأَوَّلُ: اسمُ الكتاب.

المطلَبُ الثَّاني: توثيقُ نِسْبَته للمؤلِّف.

المطلَبُ الثَّالث: منهجُ المؤلِّف فيه.

المَبْحثُ الثَّاني: مصادرُ الكتاب وشواهدُه، وفيه مَطْلَبَان:

المطلَبُ الأَوَّل: مصادرُ الكتاب.

المطلَبُ الثَّاني: شواهدُ الكتاب.

المَبْحثُ الثَّالث: تَقْويمُ الكتاب، وفيه مَطْلَبَان:

المطلَبُ الأَوَّلُ: مَزَايا الكتاب.

المطلَبُ الثَّاني: المآخذُ عليه.

المَبْحثُ الرَّابع: وصفُ مَخْطُوطَاتِ الكتاب، ومنهجُ التَّحقيقِ، وفيـــه مطْلَبَان:

المطلَبُ الأَوَّلُ: وصفُ مَخْطُوطاتِ الكِتاب.

المطلَبُ الثَّاني: منهجُ التَّحقيقِ.

٣ – القسمُ الثّاني: قِسْمُ التّحقيق.

٤ – الفَهارسُ الفنّيَّة.

وبعدُ... فَهذا خلاصةُ جَهْدي أَضَعُه بينَ يَدَي كلِّ مقوِّمٍ أو مُثَقِّف غيرَ مُسْتنكفٍ من الرُّجوعِ إلى الصَّواب؛ فالنَّقصُ مِنْ طبيعةِ البَشَرِ والكَمَالُ لله وحدَه ولِكتَابِه العَزيز؛ الّذي لا يَأْتيه البَاطلُ مِنْ بينِ يديه ولا مِنْ خَلْفه. وحَسْبي أَنَّني اجْتَهدتُ وسَلَكتُ ما اعْتقدْتُ أَنَّه صَوابٌ؛ فإنْ وافَقْتُ الصَّوابَ فذلك فَضْلُ الله وتَوْفيقُه، وإنْ كانَت الأُخرى فأَنا محلُّها ولَمْ أبغِ إليها سَبيلاً.

وأخيرًا: فإنَّني أحمدُ الله سُبحانَه وأشْكرُه؛ إذْ وفَّقني لطلبِ العِلْم أَوَّلاً وأَكْرَمني بإنجازِ هَذا البحث ثانيًا.

ثُمَّ إنَّني أتوجَّهُ بالشُّكرِ الجَزيلِ والتَّقدير الوَافرِ إلى مشرفي فضيلةِ الأستاذِ الدُّكتور: عبدِ السَّتَّارِ حُسَين زَمُّوط؛ حيثُ تفضَّلَ مَشْكورًا بالإشْراف على هَذا البحث، وتَعَاهده بالرِّعاية الدَّقيقة، والعنايةِ الفَائقة؛ مُنذُ أَنْ كانَ بذرةً إلى أَنْ خَرج إلى حَيِّزِ الوُجود. والحقَّ أقولُ: إنَّ لتوجيهاته المُفيدة، وآرائه السَّديدة، وخبرته في مجالِ تَحْقيق النُّصوصِ اليدَ الطُّولى في إخراجِ هذا البحث، ولنْ أنْسَى له -ما حَييتُ- ما غَمَرني به مِنْ الرِّعايةِ والاهْتمام، وأَوْلاَنيه من التَّوجيهِ والنُّصح، وتكرَّم به عليَّ من الجُهد والوقت؛ حيثُ فتحَ لي أبوابَ قلبِه قبلَ بيته، وعلَّمني بإشْفَاقه وحِلْمه خُلُقَ العُلَماءِ قَبْلَ عِلْمهم؛ فَجَزاكَ اللهُ عَنِّي - مُشْرفي ومُعَلِّمي - خيرَ الجزاء، واللهَ أسألُ أن يُباركَ لكَ في عُمُرك، ويَنْسَأَ لكَ في أَثَرِكَ، ويرزقَكَ العَفْوَ والعافية؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

كما أتوجَّهُ بالشُّكرِ الجزيلِ، والعِرفانِ الوافرِ، لكُلِّ من قدَّم لِي عَوْنًا أَوْ نُصحًا أَوْ توجيهاً مِنْ أساتذَتي الفُضَلاء وإِخْوتي الزُّملاء، وأَخصُّ منهم بالذِّكر؛ فضيلةَ الدُّكتورِ/ عبدِ الخالقِ بن مُسَاعدِ الزَّهرانيِّ، وفضيلةَ الدُّكتور/ تَرَحيبَ بن رُبَيْعَانِ الدَّوسريِّ. فللجَميع مِنِّي خالصُ الشُّكرِ والثَّناءِ. واللهَ أسألُ أَنْ يجزِيهم خيرَ الجَزاء.

ولا يَفُوتني – في الختامِ – أَنْ أشكرَ الجامعةَ الإسلاميَّة الَّتي احْتَضَنَتْني منذُ الصِّغَرِ وهَيَّأت لي ولسائرِ طلاَّب العِلْم من جميعِ أنحاءِ العالَمِ سبلَ التَّحصيلِ والمَعْرفةِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين، وصلاةً وسلامًا على رَسُوله الأَمين، وعلى آله وصحْبِه والتَّابعين، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

علي بن دخيل الله بن عجيّان العوفيّ

المدينة النَّبويَّة

القسم الأوّل

قسم الدِّراسة

ويشتمل على تَمهيدٍ وفصلين:

التَّمهيد:

التعريف بالعضد الإيْجيّ وكتابه «الفوائد الغياثيّة»

الفصل الأوّل:

التَّعريف بشمس الدِّين الكرمانيّ.

الفصل الثّانِي:

التَّعريف بكتابه «تَحقيق الفوائد»

التّمهيد:

التّعريف بالعضد الإيْجيّ وكتابه «الفوائد الغياثيّة»

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل:
التّعريف بعضد الدّين الإيْجيّ.

المبحث الثّاني:
التّعريف بكتابه «الفوائد الغياثيّة»

المبحث الأول

التعريف بعضد الدّين الإيْجي*

هُو / أَبو الفضل، عبدُ الرّحمن بن أَحْمد بن عبد الغفّار[١] بن أَحْمد الصِّدِّيقيّ[٢] الإيجيّ[٣] الشِّيرازيّ[٤]، عضد الدِّين، قاضِي القُضَاة في زمنه، وشيخ الشَّافعيَّة في بلده، المعروف بالقاضي العَضُد.

---

* ينظر في ترجمته:
طبقات الشَّافعيَّة الكبرى للسُّبكيّ: (١٠/٤٦ ــ ٤٧)، طبقات الشَّافعيَّة للأَسْنويّ: (٢/٢٣٨)، طبقات الشَّافعيَّة لابن قَاضي شَهْبه: (٢/٢٧ ــ ٢٨)، الدُّرر الكامنة؛ لابن حجر العسقلاني: (٢/٣٢٢ ــ ٣٣٣)، الدَّليل الشّافي؛ لابن تغري بردي: (١/٣٩٧)، المنهل الصَّافي؛ لابن تغري بردي: (٧/١٥٨)، بُغْية الوُعاة؛ للسّيوطيّ: (٢/٧٥ ــ ٧٦)، مِفْتاح السَّعادة؛ لطاش كبرى زاده: (١/٢١١)، شَذَرات الذَّهب؛ لابن العماد الحنبليّ: (٦/١٧٤)، البَدر الطَّالع؛ للشوكانيّ: (٣٢٦، ٣٢٧)، هديَّة العارفين؛ لإسماعيل باشا البغداديّ: (١/٥٢٧)، الأَعلام؛ للزّركلي: (٣/٢٩٥).

(١) نَسَبه إلى هذا الجدِّ أَجْمعت عليه جميعُ المصادرِ المترجمة لَه. أَمَّا نسبتُه «الإيجيّ» و«الشِّيرازيّ» فوردت في أَغْلب المصادر.

(٢) هكذا إلى أَبي بكر الصِّدِّيق ــ رضي الله عنه ــ، نَسَبهُ تقيُّ الدِّين الكرمَانيّ (ابن شَمْس الدِّين)؛ حيث نصَّ على اسم الإيجيِّ ونسبه في ترجمةٍ موجزة؛ سجَّلها بخطِّ يده على الوَرقة الأُولى من كتابِ أبيه «تحقيق الفوائد»؛ الَّذي أَنا بصدد تحقيقه ودراسته.
كما نصَّ على هذه النِّسبة تاج الدِّين السُّبكيّ؛ حيثُ قال: (الطَّبقات الكبرى: ١٠/٤٦): «يذكر أَنَّه من نَسْل أَبي بكر الصِّديق ــ رضي الله عنه ــ».

(٣) الإيجيُّ ــ بكسر الهمزة ــ: نِسْبة إلى (إيج)؛ بلدةٍ في أَقصى بلادِ فارس، كثيرةِ الخيرات، ويُنطق اسمُها عند أَهلِ فارس (إيك). ينظر: معجم البلدان للحمويّ: (١/٢٨٧).

(٤) الشِّيرازيّ - بكسر الشِّين - نِسْبة إلى (شِيراز): بلدٍ عظيمٍ في وسط فارس، عُرف بعذوبةِ مائه، وصِحَّة هوائه، وكثرةِ خَيراته. ينظر: معجم البلدان؛ للحمويّ: (٣/٣٨٠ - ٣٨١).

ولدَ بـ(إيج) – من نواحي شِيراز – بعدَ سنة ثَمانين وستمائة هجريّة؛ كما ورد عند أغلب المترجمين له[1].

ولَمْ يذكرْ المترجِمُون له شيئًا ذا بالٍ عن نَشْأته أَوْ رحلاته أَوْ مَشَايخه وغاية ما أَفْصحوا عنه أَنَّه أخذَ العلمَ عَلى مشايخ عَصْره، ولازمَ الشَّيخَ زينَ الدِّين الهنكيّ[2] تلميذَ القاضي نَاصرِ الدِّين البَيْضاويّ[3] وغَيْره. وأَنَّه رحلَ إلى مدينة السُّلطانيَّة[4]، وأَقامَ بها مُدَّةً طويلةً ثمَّ

(١) نصَّ بعضُ مَن ترجم له أَنَّ مولدَه كان بعد السَّبعمائة (ينظر: الدُّرر الكامنة: ٣٢٢/٢، مِفْتاح السَّعادة: ١٩٥/١، البَدر الطَّالع: ٣٢٦/١) وهو قول ضعيف – في نظري– لسَببين:

١– تأَخّر المصادرِ الموردة لهذا القَول زمنًا عن الأُخرى الموردة للقول الآخر.

٢– على افْتراض صِحَّة هذا القول فإنَّ مولدَه لا يبتعدُ كثيرًا عن مَوْلد تلاميذه؛ الأمر الَّذي يبعد معه–في الغالب الأعمِّ– أن يكون شيخاً لهم، وبخاصَّة مع مَا هُم عليه من النَّباهة والنُّبوغ.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) هو / أَبو سعيد، أَوْ أَبو الخير؛ عبدُ الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازيُّ البيضاويُّ. قاضٍ مفسِّرٌ، ولد قرب شيراز، وولي قَضَاءها مدّةً. له عدَّة مصنَّفات منها: «أنوار التَّنْزيل وأسرارَ التَّأويل» المعروف بتفسير البيضاويّ، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«لب اللّباب في علمِ الإعراب». تُوفِّي في تبريز سنة (٦٨٥هـ).

ينظر في ترجمته: البداية والنِّهاية؛ لابن كثير: (٣٤٤/١٣)، طبقات السُّبكيّ: (٥٩/٥)، بُغْية الوُعاة: (٥٠/٢ ــ ٥١).

(٤) هي مدينةٌ اختطَّها الملكُ التَّتريُّ غازان (ت ٧٠٣هـ)في مقاطعة أَذربيجان بالقُرب من تَبْريز،ومات قبل اكتمالها.فأكْملها ابنهُ خدابنده سنة(٧١٣هـ)، وألزمَ كثيراً من التُّجَّار والصُّنَّاع والمتعيِّشين سُكْناها. ويسميها المغول (تنغر لام). ينظر: نهاية الأَرب: (٤١٩/٢٧).

عادَ إلى إيج[١].

كان إمامـًا في عُلوم مُتعددة، محقّقـًا، مدقّقـًا، بَارعـًا في المعقولات، قائمـًا بالأَصلين (أَيْ: علم الكلام، وأُصول الفقه)، عَارفـًا بالبيان، والمعاني، والنَّحو، مُشَاركـًا في الفقه.

كما أَنَّه كان كريمَ النَّفس، نافذَ الكلمة، قويَّ الحُجَّة، كثيرَ المـال، كثيرَ الإِنْعام عَلى طَلَبة العلم[٢].

ويَبدو أَنَّه بجانب تَـولِّيـه قَضَاء القُـضَاة -بمملكة أَبي سـعيد[٣] -آخر مُلُوك التَّتار- صَرف همَّةً عاليةً إلى التَّدريس والتَّصنيف؛ حيثُ ذكرَ المترجمون له تلامذةً أفذاذًا[٤]، طبقت شُهرتُهم الآفاق، منهم:

١ ــ شمسُ الدِّين؛ محمَّد بن يُوسف الكِرمانيّ[٥].

---

(١) ينظر: طبقات السُّبكيِّ: (٤٧/١٠)، طبقات ابن قاضي شَهْبه: (٢٨/٣)، الدُّرر الكامنة: (٣٢٢/٢).

(٢) ينظر: أَغْلب المصادر السَّابقة المترجمة له.

(٣) هو / أَبو سعيد بن أَوْلجايتو (محمَّد خدابنده)، كان آخر من اجتمع شملُ التَّتار عليه ثمَّ تفرَّقوا من بعده. استمرَّ مُلكه من سنة (٧١٦هـ)حتَّى موته سنة (٧٣٦هـ). ويذكر أَنَّه نُصِّب ملكـًا وعُمره أحدَ عشر عاماً؛ فكان من خيرة ملوك التَّتار وأحسنهم طريقة. نهاية الأَرب؛ للنّويري: (٤٢٠/٢٧)، البداية والنِّهاية: (١٩١/١٤)، تاريخ الخلفـاء للسّيوطيّ: (٤٨٥ ــ ٤٨٦).

(٤) ينظر هؤلاء التلاميذ في: طبقات ابن قاضي شَـهْبه: (٢٨/١)، الـدُّرر الكامنـة: (٣٢٢/٢)، بُغْية الوُعاة: (٧٥/٢)، البَدر الطَّالع: (٣٢٧/١).
وقد قَدَّمت المصادرُ الثّلاثةُ الأُولى شمسَ الدِّين الكِرمَانيَّ على سائرِ تلاميذه، بينما قدَّم صاحبُ البَدر الطَّالع سعدَ الدِّين التّفتازانيّ.

(٥) هو صاحبُ الكتاب الّذي نحن بصددِ تحقيقه ودراسته. وسترد ــ بإذن الله ــ فيما =

٢ ــ الضِّياءُ العفيفيّ[١].

٣ ــ سعدُ الدِّين التَّفتازانيّ[٢].

كما ذكروا له عدّة مصنّفات؛ منها:

١ ــ «تحقيقُ التَّفسيرِ في تكثيرِ التَّنوير» في تَفْسير القرآن[٣].

٢ ــ «الفوائدُ الغياثيَّة في المعاني والبَيان» وهو مختصر لمفتاح السَّكّاكيّ[٤].

٣ ــ «كتابُ المواقفِ» في عِلم الكلام[٥].

= بعد ترجمة مفصّلة له.

(١) هو العلاّمة / ضياءُ بن سعيد بن محمَّد بن عثمان، ضياء الدِّين العفيفيّ. عُرِف بالصَّلاح والصِّدق وبَذْل الخير. أتقنَ التَّفسيرَ، والفقهَ، والأُصلين، والعربيَّة. تُوفِّي بالقاهرة سنة (٧٨٠هـ).

ينظر في ترجمته: طبقاتُ ابن قاضي شَهْبه: (٣/٩٣-٩٤)، طبقاتُ المفسِّرين: (١/٢٢٢).

(٢) هو العلاّمةُ/ مسعودُ بن عمر بن عبد الله؛ سعد الدِّين التّفتازانيّ. ولد سنة (٧١٢هـ). كان عَالمًا، مُشَاركًا في النَّحو، والتَّصريف، والمَعاني، والبَيان، والفقْه، والأُصْلين، والمنطق. له عدَّةُ تَصانيف، منها: «شرحا تلخيصِ المِفْتاح؛ المختصر، والمطوّل»، و«حاشية على الكشّاف». تُوفِّي سنة: (٧٩٣هـ).

ينظر في ترجمته:

الدُّرر الكامنة: (٤/٣٥٠)، بُغْية الوُعاة: (٣٩١)، شَذَرات الذَّهب: (٦/٣١٩).

(٣) هديَّة العارفين: (١/٥٢٧)، معجم المؤلّفين؛ لعمر كحالة: (٥/١١٩).

(٤) أَغْلب المصادر المترجمة له. كشف الظُّنون؛ للحاج خليفة: (٢/١٨٥٣، ١٨٦١ ــ ١٨٩٤، ١٢٩٩)، المصدران السَّابقان.

(٥) أَغْلبُ المصادرِ المترجمة له. كشف الظُّنون: (٢/١٨٥٣، ١٨٦١ ــ ١٨٩٤، ١٢٩٩)، المصدران السَّابقان.

٤ ــ «كتابُ الجَواهر» وهو مُختصر للمواقف[١].

٥ ــ «شرحُ مختصرِ ابن الحاجب» في أُصول الفقه[٢].

٦ ــ «المَدْخل في عِلم المعَاني والبَيان»[٣].

٧ ــ «أَشْراف التَّواريخ»[٤].

٨ ــ «بُهْجةُ التَّوحيد»[٥].

٩ ــ رسالةٌ في عِلمِ الوَضْع[٦].

---

(١) أَغْلبُ المصادرِ المترجمة لـه. كشف الظُّنون: (٢/١٨٥٣، ١٨٦١ ــ ١٨٩٤، ١٢٩٩)، المصدران السَّابقان.

(٢) أَغْلبُ المصادر المترجمة لـه. كشف الظُّنون: (٢/١٨٥٣، ١٨٦١ ــ ١٨٩٤، ١٢٩٩)، المصدران السَّابقان.

(٣) الأَعلام: (٣/٢٩٥).

(٤) كشف الظُّنون: (١/١٠٤)، هديَّة العارفين: (١/٥٢٧)، الأَعلام: (٣/٢٩٥).

ويبدو أنَّ حاجي خليفة وَهِمَ أَوْ ذهل حين أَورَد هذا الكتاب في كَشْفه تحت اسمين: أَوَّلهما: العنوان الآنف الذِّكر في المتن، والآخر تحت عنوان: «زبدة التَّاريخ في تَرجمَة أشراف التَّواريخ»: (كشْف الظُّنون: ٢/٩٥١)، وتابعه في ذلك صاحب هديَّة العارفين: (١/٥٢٧).

والحقُّ: أَنَّ الكتاب المسمَّى بـ «زبدة التَّاريخ» لا يَعْدُو كونه ترجمةً بالتُّركيّة لـ «أشراف التَّواريخ» قام بها علي مصطفى جلبي (ت ١٠٠٨هـ). ينظر ما ذكره جرجي زيدان في تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة: (٣/٢٧١).

(٥) كشف الظُّنون: (١/٢٥٨)، هديَّة العارفين: (١/٥٢٧).

(٦) بُغْيَة الوُعَاة: (٢/٧٦)، «مِفْتاح السَّعادة»: (١/٢١١)، كشف الظُّنون: (١/٨٧٧ ــ ٨٧٨)، هديَّة العارفين: (١/٥٢٧)، معجم المؤلِّفين: (٥/١١٩).

١٠ ـ «العقائدُ العضديَّة». وهي آخر مؤلَّفاته[١].

وتوفّي – رحمه الله – مسجونـًا بقلعةِ دِرَيميان – بكسرِ الدَّال وفتحِ الرَّاء – بالقرب من مسقط رأسه (إِيج)؛ بعدَ أَنْ غَضِب عليه صاحبُ كرمان فَحَبسَه.

وكانت وَفَاتُه سنة ستٍّ وخَمْسين وسبعمائة[٢]، وقيل: سَنةَ ثلاثٍ وخَمْسين وسبعمائة[٣].

(١) تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة: (٢٧١/٣)، معجم المطبوعات؛ ليوسف سركيس: (١٣٣٢/٧، ١٣٣٣).

(٢) ينظر: أَغْلب المصادرِ المتقدِّمة في تَرْجمته.

(٣) طبقاتُ الأَسْنويِّ: (٢٣٨/٢)، الدَّليلُ الشَّافي: (٣٩٧/١).

المبحث الثّاني:

التّعريف بكتابه «الفوائد الغياثيَّة»

عنوانه:

كتابُ الفوائدِ الغياثيَّة مؤلَّفٌ بلاغيٌّ ينتظمُ في سلكِ المدرسةِ السَّكّاكيّة؛ الّتي تعتمد على كثرة التّقسيمات، والتّفريعات، وإخراج المحترزات، والتّعويل على المنطق أكثر من الذّوق، وكنّا ننتظرُ أَنْ نقفَ على هويَّةِ الكتابِ أَوْ موضوعه أَوْ على أقلِّ تقدير الفنّ الّذي يندرجُ تحته من العنوانِ الّذي على غلافه كما جَرت به عادةُ الكتب، حيثُ يصدق العنوانُ على مضمونِ الكتاب، ويشتمل على جميع جزئيَّاته ومباحثه اشتمال الرَّحم على الجنين؛ من مثل: كتاب عبد القاهر الجرجانيّ الّذي وسمه بـ«دلائل الإعجاز» مُنْطلقًا في هذه التَّسمية من الغايةِ السَّامية الّتي أُلِّفَ من أجْلها كتابَه ولحظَها في جميع مباحثه؛ وهي خدمة كتابِ الله العظيم؛ ببيان أسرار النَّظم وتفاوتِ أبعادِ الكلام جودةً ورداءةً.

وسلوكُ هذا الطَّريق ـــ أَعْني صدقَ العنوانِ على المعنونِ له ـــ منهجٌ قويمٌ، لا يعدم الدَّارسون ثمارَه ولو لم يكن منه إلاّ معرفة الفنّ الّذي ينضَوي تحته الكتاب-كَمَا أَسْلفت- لكفى، وكمْ من كتابٍ صرفَ عنه عنوانُه !!

غيرَ أنّ الإيجيَّ ـــ رحمه الله ـــ ارْتَضى سلوكَ منهجٍ آخر، تسابق إليه بعضُ من سبقه، حيثُ يعزونَ مؤلَّفاتهم إلى أَشْهرِ أعلامِ عصْرِهم، تزلُّفًا إليهم أَوْ اعترافًا بنِعْمتهم عليهم، أَوْ حتَّى تَشْجيعًا لهم على الأَخذ بيَدِ طلبة العلم والعلماء وتيسير أمورهم؛ كما نلتمسُ العذرَ به للإيْجيّ، الّذي

نسَبَ كتابه الَّذي بين أيدينا-إلى غياث الدِّين الوزير؛ ذلك الرَّجلِ التَّقيِّ الصَّالح؛ الَّذي سلكَ سبيلَ العلمِ، وتأدَّبَ مع العلماءِ، بجلوسه بين أيديهم مع سائر الطُّلاَّب في حلقاتهم العلْميَّة. وفي مقدِّمة كتابه ينصُّ على عنوانه فيقول[١]: «... فهذا مختصرٌ في علْمَيِ المعاني والبَيان يَتَضمَّنُ مقاصدَ مفتاحِ العلومِ سمَّيتُه بـ«الفوائد الغياثيَّة»[٢] تيمّناً باسم من أَلْقى إليه الدَّهر قياده...».

سبب تأليفه:

يعود الفضلُ في إخْراج هذا الكتاب إلى الوزيرِ غياث الدِّين؛فهو الَّذي أمرَ بتأليفه، وبذا صرَّحَ الإيجيُّ نَفْسُه في مقدِّمة كتابه؛ إذ قال-بعد إيراده النَّصَّ المتقدِّم في تسمية الكتاب[٣]-: «وامتثالاً له حين أمر بتلخيصِ مُسْتودعاته، وتجريدها عن فَضْفَاض عباراته المُنَمَّمة...».

أَمَّا السَّببُ المباشرُ الَّذي جعلَ الوزيرَ يطلبُ من شيخه الإيجيِّ تلخيصَ «مفتاحِ العلوم» فمردّه-كمَا صرَّحَ ابن الكرمانيِّ في عبارةٍ موجزة سطَّرها على غلافِ شرحِ أبيه-إلى[٤]: «أَنَّ الوزيرَ كانَ يقرأُ

---

(١) ينظر: الفوائد الغياثيَّة للإيجيّ (مخطوط فيلمي بالجامعة الإسلاميّة تحت رقم: ١٠٣): (ل ١/ب).

(٢) ولتصريح الإيجيّ باسم كتابه لم أجد ــ فيما وقفت عليه من مصادر نصَّت على اسمه ــ من سمَّاه بغير هذا الاسم. ينظر: المصادرُ المتقدّمة الَّتي نصَّت على هذا الكتابِ ضمن مصنَّفاته.

(٣) الفوائد الغياثيَّة: (ل ١/ب).

(٤) تحقيق الفوائد، غلاف نسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا؛ وهي النّسخة الَّتي اعتمدتها لهذا الكتاب أصلاً.

«المفتاح» للسَّكّاكيِّ على الشَّيخ عَضُد الدِّين، وكان يفيدُ عند الدَّرسِ فوائدَ زوائدَ على «المفتاح»؛ فسأَله الوزيرُ أَنْ يجمعَ تلك الفوائدَ مفردةً، فجَمَعها...».

مضمون الكتاب:

تضمَّن كتابُ «الفوائد الغياثيَّة» تلخيصاً وافياً للقسم الثَّالث من مفتاحِ العلومِ مع إيجازٍ شَديدٍ مَشُوب ببعضِ التَّنبيهاتِ المُهمَّة، والتَّذنيباتِ المُتمّة، والفوائدِ القيِّمة الَّتي زيدت على «المفتاح».

وعليه فإنَّ كتابَ «الفوائد الغياثيَّة» يوازي كتابَ تلخيصِ الخطيب في المَنْزِلة؛ فكلاهما مختصرٌ للمفتاح وإن تميَّزَ الثَّاني بالبُعْدِ عن الرُّوح المنطقيَّة، والتَّوسّع في التَّحليل، والاسْتشهاد، وبسطِ الآراء، وإبْدَاءِ الاعْتراضات؛ وبخاصَّة على السَّكّاكيِّ نَفْسِه؛ متى لم يَقْتَنِعْ برأيه، وهو ما نُفَسِّرُ به ذيوعَ صيته، وكثرة الشّروح حوله مقارنة بمؤلّف صاحبنا.

ويَبْدو لنا ــ بالمقابل ــ مختصرُ الإيجيِّ مركّزَ العبارة، عميقَ الفكرة، ظاهرَ الصَّنعة، جيِّد السّبك، لم يغبْ عن مُؤلِّفه ــ ولو طَرْفة عينٍ ــ أَنَّه يعدُّ مختصراً صالحاً للحفظ.

ومَهْما يكن من أمرٍ فقد نالَ كتابُ الإيجيِّ حظَّه من الفَضْلِ والمكَانة، وتلقَّاه العلماءُ بالقَبولِ والرِّضا، وبخاصّة علماءُ المشرق، وتواردَ عليه الشُّرَّاحُ من مختلف العُصورِ يفكُّون عباراته ويَنْشُرون عَبيرَه.

وممَّن صرَّحت كتبُ المؤلّفين بذكْرِهم من أُولئك الشُّرَّاح ممّا يدلُّ على أهميَّة الكتاب ما يلي:

١ ــ السّيّد عبد الله بن محمد أحمد الحسينيّ (ت ٧٧٦هـ).

٢ ــ شمس الدِّينِ الكرمانيّ (ت ٧٨٦هـ) (صاحبَ الكتاب الَّذي نحن في صدد تحقيقه).

٣ ــ شمس الدِّينِ؛ محمَّد بن حمزة الفَناريِّ (ت ٨٣٤هـ).

٤ ــ محمَّد بن السَّيِّدِ الشَّريف (علي) الجرجانيّ (ت ٨٣٨هـ).

٥ ــ الشّريف مير علي البخاريّ (ت ٩٥٠هـ).

٦ ــ السَّيِّد عيسى بن محمّد الصَّفويِّ (ت ٩٥٣هـ).

٧ ــ عصامَ الدِّين؛ أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ).

٨ ــ محمود بنَ محمَّدِ بن شاه الفاروقيّ الجونبوريّ (ت ١٠٦٢هـ)[(١)].

وعن قيمة الكتاب العلميّة يقول آخرُ الشّرّاح في مقدِّمة شرحه[(٢)]:

«ولعمري إنَّه مع تَنَاهيه في الإيجازِ جاوزَ حدَّ السِّحر وإن لم يبلغ الإعجاز، وهو قمين بأن ينمَّق بطباقِ العينِ على طباقِ العين:

فَفِي كُلِّ لَفْظٍ مِنْه رَوْضٌ من المُنى

وفِي كُلِّ سَطْرٍ مِنْه عقْدٌ من الدُّرَرِ».

---

(١) تنظر هذه الشُّروح، ووصفٌ موجزٌ لبعضها في كشف الظُّنون: (١٢٩٩/٢).

(٢) المسمّى: «الفرائد في شرح الفوائد»، وتوجد نسخة خطِّيَّة منه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء. (ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة العربيّة بالجامع الكبير بصنعاء، ص: ٤٦٢). وقول آخر الشّرّاح «الجو نبوريّ» نقلته عن د. عاشق حسين في دراسته لكتاب الفوائد الغياثيَّة: (٣١)، وذكر د. عاشق في معرض حديثه عن الكتاب أنَّه مقسّمٌ إلى قمسين؛ أحدهما ينتهي إلى علم المعاني، والثّاني يحتوي على علم البيان والبديع. وأنَّه اطّلع على الجزء الأوَّل منه. ينظر: المصدر السّابق: (٣٢).

الفصل الأوّل:

التّعريف بشمس الدِّين الكرمانـــيّ

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التّمهيد:

نبذة موجزة عن عصر الكرمانِيّ.

المبحث الأوّل:

حياة الكرمانِيّ.

المبحث الثّاني:

شيوخه وتلاميذه ومكانته العلميّة.

المبحث الثّالث:

مصنفاته ووفاته.

التّمهيد:

نبذةٌ موجزةٌ عن عصر الكرمانيّ

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإنْسانَ قرينُ بيئته، يتأثَّر بها، ويُؤثِّر فيها، وبقطعِ النَّظرِ عن حجمِ التَّأثير وقوَّةِ التَّأثُّر بينهما؛ فإنَّنا لا نستطيعُ أنْ نتصوَّر أحدَهما بدون الآخر، حتَّى باتَ في الظَّاهر أنَّ الحكمَ عَلى أحدِهما حكمٌ عَلى الآخر ــ في الغالبِ الأعمِّ ــ.

ومن هنا يتحتَّمُ علينا أنْ نلقيَ الضَّوءَ عَلى عصرِ مُؤلّفنا؛ وبخاصَّةٍ إذا أردنا أنْ نَسْبر غَوْره حقَّ السَّبر، ونَقْتفي حياتَه حقَّ الاقْتفاء.

وقبل البدءِ في تَفْصيلاتِ عصرِ المؤلِّف يجدرُ بي أنْ أُشير إلى أنَّ ما أَعْنيه بعصرِ المؤلفِّ هُو تلك الحقْبَةُ الزَّمنيَّة الَّتي شهدت مولدَه، ورافقت حَيَاته حتَّى وفاته، بكلِّ ما تَحْمله من تأثيرٍ واضحٍ عَلى الفَردِ والمُجْتَمع والأُمَّة الإسلاميَّةِ آنذاك.

وقد جرت سُنَّةُ الدَّارسين لأيِّ عصرٍ من العصور أنْ يتحدَّثوا عنه - في الغالبِ - من زوايا ثلاثة؛ تكشفُ أَسْتارَه وتُجَلِّي معالِمَه؛ وهي:

١ ــ الحالةُ السّياسيةُ.

تكشفُ لنا الكتبُ المؤرِّخة لعصرِ مصنِّفنا عن مَزيد من التَّفكُّك والانْقسامِ داخلَ البلادِ الإسْلاميَّة، ممَّا نتجَ عنه ظُهورُ إماراتٍ جَديدةٍ لَمْ تَكُنْ قائمةً من قبل، أَوْ قيام بعضِها عَلى أَنْقاضِ بعضِها الآخر[1].

---

(١) ينظر أهمّ تلك الإمارات، أسماؤُها، قيامُها، نهاياتُها، في «محاضرات في تاريخ الأُمم =

وهذا بدوره أَفْضى إلى نشوبِ الخلافاتِ واشتعالِ الحروبِ سَـواءٌ فيما بين تلك الإمارات بعضها لبعض، أَوْ فيما بينهما وبين غَيْرهـا مـن الأُمم الأُخرى المجاورة.

وقد هَيَّأَ لذلك الانْقسام وما ترتَّب عليه عدَّةُ أسبابٍ سبقت عصـر الكرمانيِّ، أُجْملها فيما يلي:

١- الحملاتُ الصَّليبيَّةُ الحاقِدة الَّتي شَنَّها النَّصارى الأُوربِّيُّون عَلـى الأَقاليم الإسلاميَّة[(١)]؛ بقصد النَّيل من المسلمين واستغْلال ثَرواتهم[(٢)].

٢- انْقِضاءُ دولةِ بني العبَّاس إثر الهجوم التَّتري الغاشِم، الَّذي أَسْفر عـن سقوطِ بغداد سنة ٦٥٦هـ[(٣)]، وقتل الخليفة، واجْتياح أغلب البلاد الإسلاميّة.

= الإسْلاميّة »؛ لمحمَّد الخضري: (٤٨٣).

(١) اختلف المؤرّخون في نشأَتها على أَقوالٍ عدَّة؛ أَرْجحُها أنَّها بدأت سـنة (٤٩٠هـ)، واستمرّت حتَّى سنة (٦٩٠هـ) أي: قرنين كاملين.

ينظر: المرجع السَّابق: ص (٤٤٠).

والحقُّ: أَنَّ خطر الصَّليب ما زال يُحْدق بالأُمَّة الإسلاميّة، ويتربّص بها الدَّوائر، وليس ثمّة فرق ـــ في حقيقة الأمر ـــ بين حملات الأَمس وحملاتِ اليوم؛ اللّهـم إلاّ بمـا اسْتترت خلفه حملاتُ اليوم من أقنعةٍ زائفة وشعاراتٍ برّاقة.

(٢) ينظر: الحركة الصّليبيّة، د/ سعيد عاشور: (٢١/١ ـــ ٢٥). ومن عجبٍ أَنْ يَرْجـع بعضُ المؤرّخين أسباب تلك الحملات ـــ مع ظهورها ـــ إلى دوافعَ أخرى لا تمـتُّ إلى الحقيقةِ بصلة.

راجع تلك الآراء في: المرجع السَّابق (الصّفحات نفسـها)، وأوروبـا في العصـور الوسطى للمؤلِّف نفسه: (٤٢٤/١).

(٣) ينظر: البداية والنِّهاية: حوادث سنة (٦٥٦): (٢٢٦/١٣ ـــ ٢٤٣)، وتاريخ الخلفاء =

٣- انتشارُ الخلافاتِ المذهبيَّة والطَّائفيَّة.

ومع أنَّ الأمَّةَ الإسلاميّةَ استطاعت بفضلِ الله ثمّ بفضلِ جُهودِ المخلصين للإسلام آنذاك تجاوز خطر السَّببين الأوَّلين؛ في القضاءِ عَلى الإسلامِ واقْتلاعِ جذُوره؛ بالتَّصدِّي لحملاتِ الصَّليبِ العَاتية؛ بلْ وتَوجيه ضَرباتٍ موجعةٍ لها عَلى أَيْدي الأَيُّوبيِّين، وبخاصَّةٍ صلاح الدِّين[1] الأيُّوبيّ الَّذي أَوْقع بهم هزيمةً ساحقةً في معركةِ حطِّين سنة (٥٨٣هـ)؛ كسرَ من خلالها شوكتَهُم، واستردَّ بيتَ المقدس بعدَ غيابٍ زاد عَلى تسعين عامًا[2].

وكذا هزيمة التَّتارِ عَلى أَيدي المماليك بقيادةِ الملك المُظفَّر قُطُز[3] في

= للسّيوطيّ: (٤٧١ ــ ٤٧٣).

(١) هو / أبو المظفّر، يوسفُ بن أيّوب بن شادي، الملقّب بالملك النَّاصر، أحدُ ملوك بني أيّوب؛ قائدٌ فذٌّ؛ أعاد الله به سيرة الفاتحين الأوّلين، وبه ردَّ كيد الحاقدين الصَّليبيِّين، وُلد بتكريت سنة (٥٣٢ هـ)، ونشأ بالشَّام، وابتدأ حكمُه بمصر، ثمّ توسَّعت أطرافُ مملكته. تُوفِّي ــ يرحمه الله ــ سنة (٥٨٩هـ).

ينظر في ترجمته: الكامل في التَّاريخ؛ لأبي الحسن عليّ بن الأثير:(١٠/٢٢٤- ٢٢٥)، وسيرُ أعلامِ النُّبلاء؛ لشمس الدِّين الذّهبيّ:(٢١/٢٧٨-٢٩١)، الأعلام:(٨/٢٢٠)؛ وقال مؤلّفه: «وللمصنّفين كتبٌ كثيرةٌ في سيرته؛ منها كتابُ: «الرَّوضتين» لأبي شامة...، و«النَّوادر السُّلطانيَّة»، و«المحاسن اليوسفيّة» لابن شدَّاد... ».

(٢) ينظر: الكامل في التَّاريخ، أحداث سنة (٥٨٣هـ): (١٠/١٤٦ ــ ١٥٨).

(٣) هو / سيف الدِّين؛ قُطُز بن عبد الله المعزي: ثالثُ ملوك التُّرك المماليك، كان فارسًا شجاعًا، سائسًا، ديّنًا، محبّبًا إلى الرَّعية، قُتل غَدْرًا وهو في طريقه إلى مصر سنة (٦٥٨هـ) ولَمْ يُكمل سنةً في السَّلطنة.

ينظر في ترجمته: سيرُ أعلامِ النُّبلاء: (٢٣/٢٠٠)، طبقاتُ السُّبكيِّ: (٨/٢٧٧)، =

عين جالوت سنة (٦٥٨هـ)[١]،وانْحسار نفوذِهم عن الشَّام إلى أَطْراف العراق.

أَقولُ: مع تجاوزِ خطر هذين السَّببين إلاَّ أَنَّ ثَلْمهما لَمْ يؤربْ بسهولة، وبقيت آثارُهما مع اسْتِفحال السَّببِ الثَّالثِ حائلاً دون توحيدِ البُلْدان الإسلاميَّة، أَوْ حتَّى بقائِها عَلى ما كانت عليه.

فهذه بلادُ العراقِ وفارس ما زالت تَرْزح تحت سُلطانِ المَغُول حيثُ استطاعَ هولاكو[٢] أَنْ يُقيمَ لنَفْسه وذُرِّيَّته دولةً عظيمةً اتخذ من إيران مركزًا لها، وسُمِّيت فيما بعدُ بدولةِ (الإيلخانيّين)، وما زال خلفاؤه يَتعاقبون رئاسَتها من منتصف القرنِ السَّابع الهجريّ حتَّى منتصفِ القرن الثَّامن سنة (٧٤٤هـ (حيثُ توفِّي آخرُ ملوكِها[٣] (أَبو سعيد)[٤].

= البداية والنِّهاية: (١٣/٢٥٦ ــ ٢٥٨).

(١) ينظر: البداية والنِّهاية (١٣/٢٤٨-٢٥١)، جوامع التَّواريخ (الإيلخانيّون) م ٢، ج ١، ص:(٣١٣ ــ ٣١٤) التَّرجمة العربيَّة.

(٢) هو / هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان؛ أحدُ أعتى قادة المغول جبروتًا، وأَشدُّهم غلظة، وهو أوَّل ملوك الدَّولة المغوليّة الإيليخائيّة، استمرَّ حكمُه عشر سنوات، وتُوفِّي إثر مرض أَلَمَّ به في شتاءِ سنة (٦٦٣هـ) عن عمر يناهز الثَّمانية والأَربعين عامًا.

ينظر في ترجمته: البداية والنِّهاية: (١٣/٢٧٧)، تاريخ وصّاف لشهاب الدِّين عبد الله الشِّيرازيِّ الملقَّب بـ(وصّاف) ص: (٣٠).

(٣) إيران ماضيها وحاضرها، دونالد ولبر: (٦٥).

(٤) هو / أَبو سعيد بن أولجايتو (محمَّد خدابندا) تولّى الملك بعد أبيه ونُصِّب وعمرُه ستة عشر عامًا، كان بينه وبين النَّاصر محمَّد قلاوون مكاتباتٌ ومراسلاتٌ وتودُّد، =

وبعد هذا الأَخيرِ اضطربت الدَّولة، واستولى الطَّامعون عَلى بعضِ الأَقاليم، وبَقُوا عَلى ذلك زَمنًا حتَّى تغلَّب عليهم محمَّدُ[1] بن المظفَّر الَّذي لَمْ يُوفّق في تَرْسيةِ قواعد متينةٍ لدولتهِ الفَتيَّة، وذلك عندما ارْتكب خَطأً فادحًا بتقسيمِ البلادِ بين ابْنيه المتنافسين؛ حيثُ ولَّى أحدَهما مُلْكَ أَصْبهان، والآخَر مُلْكَ شيراز وكرمان؛ تَاركًا البابَ مفتوحًا لنشوبِ الخلافاتِ المُسْتَمرَّة بينهما؛ ممَّا أدَّى إلى إعلانِ الحربِ بينهما أَكْثر من مرَّة، وضعف أَمْرهما، وأَخيرًا اسْتيلاء تيمور لنك عَلى أَمْلاكهما سنة (٧٨٨هـ)[2].

ولَمْ يكن الحالُ في مصر والشَّام آنذاك بأَفضل منه في بلادِ فارس والعراق؛ حيثُ وجدَ الْمَمَاليكُ الَّذين جاءَ بهم الملكُ الصَّالِحُ نجمُ الدِّين[3]

= وبموته سنة (٧٤٦هـ) انتهت دولةُ الإيليخانيّين.

ينظر: نهاية الأَرب: (٢٧/٤١٩ ــ ٤٢٠)، صبح الأَعْشى في صناعة الإِنْشا؛ للقلقشنديّ: (٤/٤٢٠ ــ ٤٢١).

(١) هو / مبارز الدِّين؛ محمّد بن مظفّر؛ مؤسّس دولة بني مظفّر. وكان أبوه قد هيّأ لقيام الدّولة عندما كان والياً من قِبَلِ السّلطان أبي سعيد (آخر ملوك الإيليخانيين)؛ فلمّا مات خلفه ابنه محمّد واستطاع الانقلاب على أبي سعيد وسيطر على كرمان وفارس وكردستان، توفّي سنة (٧٦٥ هـ).

ينظر: كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر...»المشهور بتاريخ ابن خلدون: (٥/١١٧٧ ــ ١١٧٩)، و«الدُّول الإسلاميَّة»؛ لستانلي لين: (٢/٥٤٥).

(٢) ينظر: إيران؛ ماضيها وحاضرها: (١٢٧)، وتاريخ ابن خلدون: (٥/١١٧٧).

(٣) هو/ أبو الفتوح، أَيُّوب بن محمَّد بن أَبي بكر بن أَيُّوب. ولاَّه والدُه بعضَ الدِّيار الشَّاميَّة، فَبقي فيها إلى أَنْ تملكَ الدِّيار المصريَّة بعد وفاةِ والده. تُوفّي سنة (٦٤٧هـ). =

أيّوب للدِّفاع عن سَلْطَنته–فرصةً سانحةً للانْقضاضِ عَلى دَولةِ بني أَيُّوب إثر الخلاف الشَّديد الَّذي دبَّ بين ملوكِها في آخر سنيها. وسرعان ما غدا لأُولئك المَمَاليك كلمة مَسْموعة –في مصر– بعدَ قَتْل تُوران شاه[1] سنة (٦٤٨هـ) وتسلُّم شَجرةِ الدُّرِّ[2] مقاليدَ الحُكم من بَعْده؛ تلك المرأة الَّتي اعتبرها المقريزيُّ[3]: «أوَّل من مَلَكَ مصر من مُلوك التُّرك المَمَاليك».

ولَمْ يَلْبَث نُفوذُهم في ازْدياد وشوكَتُهم في قُوَّة حتَّى تَمَّ لهم الاسْتيلاءُ عَلى الشَّام ومزاحمةُ التَّتار في أَطراف العراق؛ مُعْتمدين في ذلك عَلَى سياسَةٍ حكيمةٍ؛ تقومُ عَلى مُوادعةِ النَّاسِ والتَّودُّدِ إليهم ابْتداءً، ثمَّ أَخْذهم بالحزْمِ والصَّرامةِ بعدَ ذلك.

= ينظر في ترجمته: سيرُ أَعلامِ النُّبلاء: (٢٣/١٨٧ ــ ١٩٣)، والنُّجوم الزَّاهرة؛ لابن تغرى برْدى: (٦/٣١٩).

(١) هو / غياثُ الدِّين؛ تُوران شَاه بن الملك الصَّالح: آل إليه الملك بعد وفاةِ أَبيه، ولَمْ يدم فيه طَويلاً، وقُتل على أَيْدي المماليك البَحريَّة.

يُنظر في ترجمته: ذيلُ الرَّوضتين؛ لأبي شامة المقدسيّ: (١٨٥)، وسيرُ أَعلامِ النُّبلاء: (٢٣/١٩٣ ــ ١٩٦).

(٢) هي / شجرةُ الدُّر بنتُ عبد الله: كانت جاريةً تحت الملك الصَّالح فأَعْتقها وتَزَوَّجها، وأَنْجب منها. ولاَّها المماليكُ السُّلطةَ بعد وفاةِ تُوران شَاه بن الملك الصَّالح، ولَمْ تَدُمْ فيها أَكْثر من ثَمانين يومًا حيثُ قتلت سنة (٦٤٨هـ) بعد قتلِها زوجَها المملوكيّ الَّذي خلعَتْ عليه الحُكم.

ينظر في ترجمتها: الخطط؛ للمقريزيّ: (٣/٩٠ ــ ٩٢)، والنُّجوم الزَّاهرة: (٦/٣٧٣ ــ ٣٧٩)، وأعلام النِّساء؛ لعمر كحالة: (٢/٢٨٦).

(٣) السّلوك؛ للمقريزيّ: (١/٣٦١).

وهكذا ظلَّ المماليكُ البحريَّة[١] « يحكمون مصر والشَّام نحو قرنٍ وثلث (٦٤٨-٧٨٤هـ) اسْتطاعُوا فيها مواجهةَ المشاكل العَديدة الَّتي واجهت المسلمين في الشَّرق الأَدنى عندئذ، سواءٌ كانت هذه المَشَاكل خارجيَّة من جانب الصَّليبيِّين والتَّتار، أَوْ داخليّة في صُورةِ ثورات أَوْ مؤامرات أَوْ أَزمات اقْتصاديَّة »[٢] حتَّى أَذنَ اللهُ لها بالزَّوالِ لتحلَّ محلَّها دولةٌ أُخْرى من المماليك - أَيضًا -؛ هم المماليك الجَراكِسة أَوْ البُرجيَّة[٣].

وجديرٌ بالذِّكر أَنَّ هذه الدَّولة مع ما حَصل لها من التَّوسُّع والامْتداد والنُّفوذ لَمْ تَعرفْ الاسْتقرارَ الدَّاخليَّ إلاّ لِمَامًا من الزَّمن في عهد قادةٍ قلَّة؛ عُرفوا بالدِّين والصَّلاح.

ويَبْدو لي أَنَّ أهمَّ ما يُميّز سلاطينها: تشوّقُهم إلى السُّلطة، وتدافعُهم إلى كُرسيِّ الحكم حتَّى غدا شِعارهم-كَما نصَّ عليه بعضُ المحدثين[٤]-: «مَنْ قتلَ ملكًا أصبحَ هُو الملك ».

---

(١) يُرجِّحُ المؤرِّخون أنَّ السَّبب في تَسْمية المماليك بالبَحريَّة « يرجعُ إلى اخْتيار الصَّالح نجم الدِّين جزيرةَ الرَّوضة في بحر النِّيل مركزًا لهم ». الأَيُّوبيُّون والمماليك في مصر والشَّام، د. سعيد عاشور: (١٧٧). وينظر: بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور؛ لمحمَّد الحنفيّ: (٦٧).

(٢) الأَيُّوبيُّون والمماليك: (١٧٧ ــ ١٧٨).

(٣) سُمُّوا بالجراكسة نسبةً إلى أَصْلهم الجرْكسيِّ، وبالبُرجيَّة لاختيار السُّلطان قلاوون أَبراج القعلة سكنًا لهم. ينظر: الجوهر الثّمين في سير الخلفاء الملوك والسّلاطين؛ لابن دقمان: (٣٠٦ ــ ٣٠٨)، والأَيّوبيّون والمماليك: (٢٢٧).

(٤) الملك الظّاهر بيبرس. د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر. ص (٣٠).

أخلصُ من هذا كُلِّه إلى القَوْل:

إنَّ الاضْطرابَ السِّياسيَّ كان سِمةً مُمَيِّزةً لهذا العصر؛ فلم تكُن تلك الدُّويلاتُ المتناثرةُ هنا وهُناك داخلَ الرّقعة الإسْلاميّة عَلى وِفاقٍ فيما بينها؛ بل إنَّا لا نكادُ نَظْفر بالاسْتقرار الدَّاخليِّ داخل أَسْوار الدَّولة الوحيدة المُسْتَقِلّة، أَوْ حتَّى بين أَفْراد الأُسْرة الحاكمة الواحدة.

هذا، وإنَّما تَركَّز حديثي حَوْل العراق وفارس ومصر والشَّام دون غيرِها من أَقْطارِ العالمِ الإسْلامي الممتدِّ شرقًا وغربًا آنذاك ــ لأَنَّ تلك البُلدان هي الَّتي نالت حظَّها من شمس الدِّين الكرمانيِّ، إمَّا مولِدًا، أَوْ منْشأً، أَوْ هجرةً في طلبِ العلم، أَوْ اسْتيطانًا، أَوْ وفاةً.

٢ ــ الحالةُ الاجْتماعيّة:

اتضَّح لنا ــ فيما مضى ــ أنَّنا أمامَ عصرٍ قلقٍ، يموجُ بالفتن، ويتَّسمُ بالقَلاقل، ذاقت فيه الأُمَّة الإسلاميّةُ عَلى امتدادِ رقعتها الجُغرافيَّة ويلاتِ الحروب، وصنوفَ العذاب، وعلى الأَخصِّ بلدان فارس، والعراق، ومصر، والشَّام؛ تلك البلدان الَّتي حفلت ــ ولو لمدَّة يسيرةٍ ــ باحتضان شمسِ الدِّين الكرمانيِّ.

وطبيعيٌّ - والحالُ ما ذكرت - أَنْ نجدَ صورةَ ذلك العصرِ ماثلةً في أبنائه، منعكسةً ــ بصدقٍ ــ عَلى مناحي حيَاتهم وأمورِ عَيْشهم.

فالنِّظامُ الطَّبقي يبرز واضحًا للعيان، مُتَّخذًا صورًا شتَّى:

١ ــ منها ما يكونُ بين أجْناسِ الشُّعوبِ المتناحرةِ فيما بينها تبعًا للغلبة؛ فكلُّ عُنْصر يرى أنّه الأَجْدر بالسِّيادة، والأَولى بعمارةِ الأَرض، وغيرَه لا يستحقُّ إلاَّ الرِّقَّ والإذْلال. ويتمثّلُ ذلك بجلاء في هجوم التَّتار الخاطف عَلى حواضرِ المسلمين وسلبِ خيراتهم؛ فقد كانوا يَرون أنَّهم أوصياءُ الله عَلى خَلْقه؛ أرسلهم لتأديب من حلَّ عليهم غضبُه؛ وبذا أفصح هولاكو للقائدِ المظفّر قُطُز عندما أرسلَ إليه رسالةً يهدّده فيها ويأمرُه بالاسْتسلام، يقول[1]: « يَعلمُ الملكُ المظفَّرُ وسائرُ أمراءِ دولته وأهل مملكته بالدِّيارِ المصريَّة وما حولها من الأَعْمال أنَّنا جندُ الله في أرضه، خلقنا من سخطِه، وسلَّطنا عَلى من أحلَّ عليه غضبَه؛ فسلموا إلينا أمورَكُم تَسْلموا».

---

(١) صبح الأَعشى في صناعة الإنشا: (٦٣/٨).

وقِس عَلى هذا السُّلوك التَّتري سلوكَ الصَّليبيِّين – أَيْضـًا –.

كمْا يتمثَّلُ هذا التَّمييزُ العُنصريُّ في الانقلاباتِ العرقيَّة المفاجئة الَّتي عمَّت البلادَ شرقـًا وغربـًا، وأسفرَ بعضُها عن قيامِ دولٍ أخر، كقيامِ دولةِ المماليك البَحريَّة عَلى أَنْقاضِ الدَّولة الأيُّوبيّة، ثمّ قيامِ الدَّولة الجركسيَّة عَلى أنقاضِ البحريَّة في مصر والشَّام. وكقيامِ دولةِ بني المُظفَّر عَلى الدَّولة المغوليَّة، ثمّ تغلُّب الأخيرة عَلى الأُولى في فارس.

٢ ـــ ومنها: ما يظهرُ بين أبناءِ الجنسِ الواحدِ أَوْ الدَّولة الواحدة؛ حيثُ يتكوَّنُ المجتمعُ الواحدُ من عدَّةِ طبقات، ولعلِّي لا أبتعدُ كثيرًا إذا قَسَّمتُها إلى ثلاثٍ؛ ليقتربَ صدقُها عَلى جميعِ الدُّول والإمارات الَّتي وجدت آنذاك[1]:

أ ـــ طبقة عُليا: وتمثلُ السَّلاطين، والأُمراء، والقَادة، والوُزراء، وكبارَ المُستشارين، ومَن لفَّ لفّهم من أبْنائهم وزَوجاتهم.

وهؤلاءِ كانوا يَحْظون بالامتيازاتِ الكُبرى في الدَّولة، ويسْتأثِرون

(١) يتَّفق المؤرِّخون لهذا العصر على وجودِ النِّظام الطَّبقيِّ بمظاهرَ مختلفةٍ في جميع الدُّول والإمارات الَّتي عاشت في ذلك الوقت، ولكنَّهم يتفاوتون في تعدادها وتصنيفها بحسب كل إمارة؛ فالمقريزيُّ ـــ على سبيل المثال ـــ يقسِّم المجتمعَ في عصر المماليك سبعَ طبقاتٍ؛ جعل أعلاها: أهلَ الدَّولة وهم سلاطينُ المماليك والأمراءِ وأتباعهم من جندِ المماليك والوزراء... وغيرهم. وأدناها ذوو الحاجةِ والمسْكنة وهم السُّؤَّال الَّذين يتكفَّفون النَّاسَ ويعيشون منهم. ينظر: إغاثة الأمّة؛ للمقريزيّ: (٧٢).

وقد حاولتُ ـــ جهدي ـــ التَّقريبَ بين آرائهم فتحصَّلَ لي ثلاثُ طبقاتٍ رئيسةٍ تؤولُ إليها أَغْلبُ تقسيماتهم.

بالرَّفاهية ورغدِ العَيش، وتَتَفاوتُ الإقطاعات فيما بينهم بحسب مَنَـازلهم قربـًا وبعدًا من السُّلطان.

ب ـ طبقةٍ وسْطى: وتمثلُ أعيانَ البلدِ، وكبارَ العلماء، والجنـودِ، والتُّجَّارِ، وموظّفي الدَّولة. وهؤلاء ينالون من الحظوة بقدر ما تُفيدُ منـهم الطبقةُ المتقدِّمة؛ فمن رُضِي عنه أُجزلَ له العطاءُ وقُرِّب، ومَنْ سُخط عليه ضُيِّق عليه وأُبْعد. غـيرَ أَنَّهم - في الغالب الأَعَمِّ - يـدورون في فلـكِ الطَّائفةِ الأُولى طمعـًا أَوْ خوفـًا؛ سواءٌ كانوا من جِنْسهم، أَوْ من أهـلِ البلادِ الأصْلِيِّين.

جـ ـ طبقة دُنيا، وتُمثِّلُ السَّوادَ الأعظمَ من الرَّعيَّة. وغالبـًا مـا يكونون صُنَّاعـًا، أَوْ زُرَّاعـًا، أَوْ تُجَّارًا، أَوْ رُعاةً. وهـؤلاءِ تتفـاوتُ حياتُهم باختلافِ الحُكَّام وأَسَاليبهم في إدارة البلاد؛ فتارةً يَنْعمون بالأَمن، ويَأْمنون عَلى أَنْفسِهم وأموالِهم، وتارةً أُخرى يَرْتكسُـون في الخَـوف، ويَتَعرَّضُون للقتلِ والسَّلب. عَلى أَنَّ الحالةَ الثَّانية هي الغالبةُ عليهم، وهـم إِنْ سَلِموا من القَتل والتَّهجير فَلن يَسْلَموا من المكُوس والمغَارم الَّتي تُفْرض عليهم.

ومع هذا التَّوزيع الطَّبقيِّ يبدو لنا ذَلك المجتمع ممتـزجَ الأجنـاس، مُخْتلطَ الدِّماء، مختلفَ العَادات والأَعراف، متنوِّعَ المذاهب والأَديان، يموجُ بسائر الأَفْكار والمُعْتقدات.

وليسَ بغريبٍ في مِثل هذا المُجْتمع المفكَّكِ أَنْ نجدَ من أطلقَ لنَزواته وشهواته العنان، وتفنَّن في اقتناءِ الجواري الملاح والغِلمان الصِّباحِ، والمغنِّيـات، والقَينات من كلِّ لون وجنس؛ لا يَرْدعه عمَّا صرف همَّه إليه رَادع، ولا يَثْنـيه

عن المُضيِّ في غيِّه دينٌ أَوْ مبدأٌ؛ يقول السّبكيُّ[١]: « ولقد سمعت أَنَّ واحداً منهم (أي: أُمراء المماليك) خَرج مرَّةً إلى الصّيد فافتضَّ هُو ومماليكُه من بناتِ أهل البرِّ ما يزيدُ عَلى سَبْعين بنتاً حَراماً ».

كما أَنَّه ليسَ بمستغربٍ أَنْ نجدَ فيه مَن تجرَّع الذُّل والهوان، وذاقَ طعمَ الجوعِ والمرضِ، وعاشَ إمَّا عالةً عَلى غَيْره ممَّن يكدحُ من أربابِ المهنِ والصِّناعاتِ، وإمَّا مُتلصِّصاً يقطعُ الطّريقَ ويسرقُ النَّاس. وظَهر من هذه الشَّريحة « من اتّخذَ السُّؤالَ صنعةً؛ فيَسْألون من غيرِ حاجةٍ، ويقعدون عَلى أَبْواب المَساجد يَشْحذُون من المُصلّين ولا يَدْخلون للصَّلاة مَعَهم »[٢].

وفي هذا المجتمع أَقْبل النَّاسُ عَلى الخمرِ، يَشْربونها، ويتفنّنون في صُنعها، وكَثُر معاقروها في الطَّبقتين؛ العليا والدُّنيا؛ ناشدين بذلك الهروبَ من واقعهم المُعاشِ، فهو مُملٌّ، مقيتٌ للسَّادة المُتْرفين، ومُؤلِمٌ قاسٍ للضُّعفاءِ والمَعْدمين.

وإذا ما عرضنا لواقعِ المرأةِ فإنَّه في جانبٍ منه يعدُّ أَشدَّ أسىً وحُزناً؛ إذ احترفت فئاتٌ من النِّساء البِغاء وارتضين العيش منه، كما الْتَمسَ كثيرٌ منهنَّ العملَ بالمغاني وضروبِ الملاهي كالرَّقص، وأسرفن في التَّشبُّه بالرِّجال حتَّى لبسن العمامَة[٣].

وفي الجانبِ الآخر نجدُ بعضَهنَّ يقررن في بيوتِهن، ويَصْرفن أَنْفسهنَّ

---

(١) معيد النّعم؛ لتاج الدِّين السّبكيّ: (٥٢).

(٢) المصدر السَّابق: (١٣٦).

(٣) السُّلوك: (١/٥٠٣).

لخدمةِ أَزواجهنَّ، وربَّما اشْتغلن بأعمالٍ تليق بهنَّ كالغزلِ والتَّطريز، ومنهنَّ من سَمت مكانتُها باشْتغالها بالعلمِ والتَّصدِّي للتَّدريس، من مِثْل: زينب[1] بنت الكَمال، الَّتي ذكر ابنُ حجرٍ أنَّها روت كثيرًا، وتزاحمَ ببابها الطّلبةُ يأخذُون عنها العلم، ويَقْرأون عَليها الكُتبَ الكِبارَ[2].

٣ ــ الحالةُ العلميَّة:

يرى كثيرٌ من الباحثين أنَّه على الرُّغم من تلك الأحداث الَّتي دَهمت هذا العَصْر وما لَحقَه من التَّخْريب فيه أَوْ قبلَه عَلى أَيدي المَغُول والصَّليبيين، وما اكْتنفَه من فتنٍ وثوراتٍ؛ على الرُّغم من ذلك كلِّه فإنَّهم يرون أَنَّ العُلوم والمعارفَ ظلَّت مُزدهرةً؛ بل كانت غنيَّةً بالنِّتاجِ الأَدبي، ونجدهم يُعلِّلون ذلك بأسبابٍ عدَّة؛ منها: تشجيعُ بعضِ الملوكِ للعلمِ والعلماء، وحثُّهم عَلى البَحث في شتَّى فروعِ المعرفة.

وأَجدُني -إذ أُؤيد ما أَشاروا إليه من كَثْرةِ النِّتاجِ وتشجيعِ بعضِ الملوك العلمَ وأَهله ــ مُتشكِّكًا في عدمِ تَأثير تلك الأحداثِ العظامِ عَلى حياةِ العلم وتطوُّرِه، ولعلَّ الواقعَ الملموسَ يُصدِّقني في ذلك؛ فالحياةُ العلميَّة - كما هُو مُشَاهد - إنَّما تَنْمو وتَزْدهرُ في ظلِّ الاسْتقرارِ والأَمن؛ عندما يَنْصرفُ النَّاسُ عن همِّ الجوعِ والخوفِ إلى همِّ التَّحصيل والدَّرس.

---

(١) هي / زينب بنت أحمد بن عبد الرَّحيم المقدسيَّة المعروفةُ ببنت الكمال: عالمةٌ، محدِّثةٌ، تزوَّجت العلم وانْقطعت له، حتَّى أشاد بعلمِها غيرُ واحدٍ من العُلماء، منهم: ابنُ حجر، والذَّهبيّ. تُوفِّيت سنة (٧٤٠هـ).

ينظر في ترجمتها: الدُّرر الكامنة: (١٦٧/٢)، أعلام النّساء: (٢٣١/٢).

(٢) ينظر: الدُّرر الكامنة: (١٦٧/٢).

وأقطعُ بأَنَّ النِّتاجَ الفكريّ لا يُقاسُ ازدهارُه بكثرةِ المؤلّفاتِ الَّتي تَتواردُ عَلى فكرةٍ معيَّنةٍ تردّدها وتشرحُها وتُوسِّعُ الحديث حولها ــ وهو ما تَتَّسمُ به مؤلَّفاتُ ذلك العصرِ بوجهٍ عامٍّ ــ، وإنَّما الشَّأنُ في قياسه مردّهُ الابْتكارُ والعمقُ والدِّقَّةُ، وهو ما تَحقَّق في مؤلَّفاتٍ كثيرةٍ سابقةٍ، أُلِّفت في عصورٍ مُطْمئنَّة آمنة؛ نجزمُ مُطْمئنّين أَنَّها تَفُوق بمراحلَ نِتاجَ عصرِنا المُضْطرب.

ومعَ ذلك فلستُ أنكرُ فضلَ مؤلَّفاتِ عصرِ الكرمانيِّ وأثرها الفَاعل في الحِفاظِ عَلى مُقدَّراتِ الأُمَّة العلميَّة، وما اتَّسمَت به من وفرةٍ مردُّها إيضاحُ الفكرةِ، وتقريرُ المعنى، وتأكيدُ المعلومة؛ كما أَنِّي لا أتجاهل همَّةَ عُلمائه وصدقَ عزيمتهم في الانْقطاع للتَّدريسِ ونشرِ العلم؛ وإن كُنت أَتساءلُ عن واقع حالِهم وطلاّبِهم، وقد أَحاط ببلدِهم جيشٌ عَرَمْرَم أَوْ نَزَل بِسَاحتهم ثائرٌ أهوج !.

وإذا تقرَّر هذا فإنَّ عواملَ عديدة شاركت في استمرارِ الحركةِ العلميَّة، وظهورِ كثيرٍ من المصنَّفات المخْتلفة في ذلك العَصْر؛ أَذْكُر منها عَلى وجهِ الإيجازِ ما يلي:

١ ــ تَقْديرُ بعضِ السَّلاطين للعلم، وإجلالهم لأَهله، والمبالغة في إكْرامهم، وتَهْيئة الجوِّ العلميِّ لهم – أَحْيانًا –، ويُذْكرُ في محاسن هولاكو أَنَّه كان يشجّع « العلماءَ والحكماءَ عَلى مواصلةِ البحثِ والدَّرسِ؛ إذ كان يُخصِّص لهم الرَّواتب، ويُغْدق عليهم الهبات، ويُزيِّن مجلسَه بحضورِهم كَمَا أَنَّه كانَ شَغُوفًا بعلوم الحِكْمة والنُّجوم والكيمياء فلاغَرْو أَن كان يصرفُ بسخاءٍ في سبيلِ تقدُّم هذه العُلوم، وليس أَدلّ عَلى هذا

الشَّغف من أنَّه عهد إلى العَالِم الرِّياضيِّ الفَلكيِّ نصير الدِّين[١] الطُّوسيِّ ببنـاءِ مرصدٍ كبيرٍ... »[٢].

كما يُذْكرُ عن الظَّاهرِ بيبرس[٣] - أحدِ ملوك المماليـك - وَلَعُـه الشَّديد بعلمِ التَّاريخ وميله إلى أهله ميلاً شديدًا، وكان يَقُول[٤]: «سماعُ التَّاريخ أَعظمُ التَّجارب ».

وممّا يحسبُ لأُولئـك السَّلاطـين - في هذا المضمار - ممَّا يـدلُّ عَلى اهتمامهم بالنَّشاط العلميِّ ــ العناية بإنشاءِ المؤسَّساتِ التَّعليميَّةِ مـن مدارسَ وغيرِها حيثُ حَرص سلاطينُ المماليك وأمراؤُهم على إنشاءِ عددٍ كـبيرٍ مـن المـدارسَ؛ مثـل المدرسـةِ

(١) هو / أبو عبد الله، نصير الدِّين محمَّد بن محمَّد الحسن الطُّوسيّ، الفيلسوف، كـان رأساً في علم الرّياضيّ والأرصاد، أعجب به هولاكو فبوّأهُ منْزلةً عاليـة، وجعـل الأموال في تصريفه، وكان يطيعه فيما يشير به عليه،له تصانيف كثيرة، منها: «كتاب المتوسّطات بين الهندسة والهيئة»، و« التّجريد في المنطـق»، و«التّلخـيص في علـم الكلام». توفّي في بغداد سنة اثنتين وسبعين وستمائة هجرية.

ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات؛ لصلاح الدِّين الصّـفدي: (١٧٩/١ ــ ١٨٣)، فوات الوفيات والذّيل عليها؛ لمحمَّد الكتبي: (٢٤٦/٣ ــ ٢٥٢).

(٢) المغول في التّاريخ، د. فؤاد الصّيّاد: (٣٢٤ ــ ٣٢٥).

(٣) هو / الظّاهرُ بيبرس بن عبد الله البندقداري: رابع ملوك المماليك البحريَّة؛كان قائدًا شُجاعًا،له مواقف مشرِّفة ضدَّ التّتار والصَّليبيِّين.توفّي سنة ستّ وسبعين وستمائة.

ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيّات:(٣٢٩/١٠)، فوات الوفيّات: (٢٣٥/١).

ولمعالي الدّكتور: عبد العزيز الخويطر كتاب بعنوان: « الظّاهر بيبرس ».

(٤) النُّجوم الزّاهرة: (١٨٢/٧).

الظّاهريّة[١]، والمدرسة المنصوريَّة[٢]، والمدرسة الشَّيخونيَّة[٣]، والمدرسة الصَّرغتمشيَّة[٤]، ولَمْ يكتفوا بإنشائها بل «وقفت عَلى هذه المدارس الأَوقاف الغَنيَّة لتضمن للطُّلاَّب والمدرّسين قَدْرًا من الحياةِ الهادئة تجعلهم يَنْصرفون إلى الاشْتغال بالعلمِ آمنين مُطْمئنّين»[٥].

٢ ــ انتشارُ المراكزِ التَّعليميَّة من جوامعَ ومدارسَ ومكاتبَ؛ ففي الجوامع تُلقى الدُّروس العامَّة، وتُعقدُ حلقاتُ العلم، ولكلِّ شخصٍ يدخلُ المسجدَ الحقُّ في سماعِ الدُّروس والإفادةِ منها. ويبدو أَنَّ من أهمِّ تلك الجوامع الَّتي أدَّت دورَها كاملاً في المجال التَّعليميِّ آنذاك: الجامعَ الأَزْهر

(١) نسبةً إلى مُؤسِّسها الظَّاهر بيبرس البندقداري، وكمُل بناؤُها سنة (٦٦٢هـ)، وجَعل بها خزانة كتبٍ جليلة، وبَنى بجوارِها مرفقًا لأبناءِ السَّبيل، وتَولَّى التَّدريس بها عددٌ من العلماءِ والكبارِ، منهم الحافظ الدِّمياطيّ. ينظر:البداية والنِّهاية: (١٣/٢٤٢).

(٢) نسبة إلى مؤسّسها المنصور قلاون، ورسم بعمارتها مارستاناً وقبّة ومدرسة. وتَمَّ بناؤها جميعاً في أحد عشر شهراً وبضعة أيّام. ورتّب بها لإقراء القرآن قرّاءً ولتدريس الفقه على المذاهب الأربعة علماء.

ينظر: السّلوك: (٣/١٠٠١).

(٣) نسبة إلى الأمير شَيخون (ت ٧٥٦هـ) ولفخامتها لم تَقْتصر على مذهبٍ بعينه، بل جُمعت فيها المذاهبُ الأَربعة، وأُنشئت بها دارٌ للحديث.

ينظر: البداية والنِّهاية: (١٤/٢٥٨).

(٤) نسبةً إلى الأمير صَرْغتمش، وكَمُل بناؤُها سنة (٧٥٦هـ)، وقصرَها منشؤُها على المذهبِ الحنفيِّ، وكان معاديـًا للشَّافعيَّة.

ينظر: الدُّرر الكامنة: (١/٤١٥).

(٥) الأَيُّوبيُّون والمماليك في مصر والشَّام: (٣٢٧).

بالقاهرة ــ وسيأتي معنا إن شاء الله أَنَّ شمسَ الدِّين الكرمانيَّ دَرَس في هذا الجامع في أثناءِ طلبه العلمَ في مصر ــ[١]، وجامعَ عمرو بن العاص حيثُ نَالا رعايةَ المماليك في تلك المدَّة، ويَذْكُر لنا العلاَّمةُ شمسُ الدِّين، محمَّدُ بن الصَّائغ الحنفيُّ أَنَّه أدركَ بجامع عمرو قَبْل الوباء الَّذي حدث سنة (٧٤٩هـ) بضعًا وأربعين حلقةً لإقراء العلمِ لا تكادُ تبرح منه[٢].

وأَمَّا المدارسُ فكانت تُعْنى بالدُّروس الخاصَّة المنظَّمة، ويقومُ عليها نخبةٌ ممتازةٌ من المدرِّسين، ولَمْ يكن إنشاؤُها مقصوراً عَلى السَّلاطين والأُمراءِ - كما تقدّم -، بل شاركَ فيه - أيضًا - الوزراءُ، والعلماءُ، والقُضاةُ، وعليةُ القومِ[٣].

وهي أَنواعٌ؛ فمنها: المعاهدُ الخاصَّةُ بتدريسِ الحديث، ومنها المعاهدُ الخاصَّةُ بتدريسِ الفِقْه، وغالبًا ما تَقتصر عَلى مذهبٍ واحدٍ، ومنها المُتَخَصِّصُ في علومِ اللُّغة، ومنها المُتَخَصِّصُ في الطِّب، و« معنى التّخصّص في هذه المدارس: أَنَّ المادَّة الأساسيَّة فيها هي الَّتي أُنشئت المدرسةُ من أجلها، وليس ذلك بمانعٍ من أَنْ تُدرَّس إلى جَانبها موادّ أُخرى »[٤].

أَمَّا المكاتبُ فكانت تُعنَى بالتَّعليمِ الأَوَّلي، وأغلب طلاَّبها من الأَيْتام،

---

(١) ص (٧١) من هذا البحث «قسم الدّارسة ».

(٢) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة؛ لجلال الدِّين السّيوطيّ: (١٥٢/٢).

(٣) ينظر بعض مدارسهم في: الخطط: (٣٨٣/٢ ــ ٣٨٨).

(٤) الحياة العقلية في عصر الحروب بمصر والشّام: (٤١).

الأمر الّذي دعا الخيِّرين إلى الإكثار منها وحبس الأموال عليها[1].

هذا فيما يتعلّقُ بأهمِّ الأَسْباب الّتي أَدَّت إلى النُّهوض بالحركة العلميَّة، وهُناك أسبابٌ أُخرى أَدَّت دورَها الفعَّال، ولكن عَلى نطاقٍ محدودٍ، وفي إطار شريحةٍ خاصَّةٍ، منها: خزائنُ الكتبِ الخاصَّةِ، ومجالسُ السَّلاطين والأمراء، وبيوتُ العلماءِ، وحوانيتُ الورَّاقين.

أَمَّا ما يتعلّقُ بطبيعة نتاج ذلك العصرِ فإنَّه شمل جميعَ العُلوم والمعارف، ولَمْ يغلب عليه طابعُ الابْتكار والتَّأصيل – كمَا هُو الحال في العُصور العبَّاسيَّة الأُولى –، وإنَّما غلب عليه طابعُ الجمعِ والتَّقرير والشَّرح والاخْتصار.

ولذا وجدنا أغلب مُؤلّفاته إمَّا موسوعاتٍ عامَّة، تشملُ كثيرًا من المعلوماتِ المتنوّعةِ المتباينة؛ من مثل؛ كتاب « نهاية الأَرب في فنون الأدب» لشهابِ الدِّين النُّويريِّ المتوفّى سنة (٧٣٢هـ)، ويقعُ في نَيِّفٍ وثلاثين مجلّدًا، وكتاب «مَسَالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهابِ الدِّين بن فضلِ الله العمريِّ المتوفّى سنة (٧٤٨هـ)، ويقعُ في أكثر من عشرين مجلّدًا.

أَوْ موسوعاتٍ خاصَّةٍ تشملُ كثيرًا من المعلوماتِ الّتي تَنْدرج تحتَ فنٍّ واحدٍ من مثل « لسان العرب » للعلاَّمة جمالِ الدِّين محمَّدِ بن مكرم بن منظورٍ الإفريقيِّ المصريّ المتوفّى سنة (٧١١هـ).

أَوْ شروحاتٍ إمَّا لكتبٍ ألّفها المؤلِّف نفسُه؛ من مثل «شَرْح شذورِ الذَّهب في معرفةِ كلام العرب» لجمالِ الدِّين أبي محمّد عبدِ الله بن يوسفَ بن

(١) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، د. سعيد عاشور: (١٥٠ ــ ١٥٢).

أَحْمدَ (ابن هشام) المتوفّى سنة (٧٦١هـ) حيثُ شرحَ فيه كتابَه المسمَّى « شذور الذّهب في معرفة كلام العرب »، وإمَّا لكتبٍ أَلّفها غيرُه؛ كالكتابِ الّذي نحن بصددِ دراسته وتحقيقه؛ فإنَّه شرحٌ لمختصرِ الإيجيّ « الفوائد الغياثيَّة في المعَاني والبَيان ».

أَوْ مختصرات إمَّا لكتبٍ ألّفها المؤلّفُ نفسُه؛ من مثل: «الطّبقات الصُّغرى » لتاجِ الدِّين عبدِ الوهَّاب بن تقيِّ الدِّين السّبكيّ المتوفّى سنة (٧٧١هـ)؛ حيثُ اختصر فيه «الطّبقات الكبرى » و« الطّبقات الوسطى» الكتابين اللّذين ألّفهما في تَراجم فقهاءِ الشّافعيَّة. وإمَّا لكتبٍ ألّفها غيرُه؛ كمختصرِ الإيجيِّ المتقدِّم فإنَّه اختصارٌ لقسم البلاغة في مفتاحِ السَّكّاكيِّ.

وأَخيراً أودُّ أن ألفت النَّظرَ إلى أنَّ علمَ التَّاريخ كان أبْرز عُلوم ذلك العصرِ؛ إذْ ظَهر فيه عددٌ كبيرٌ من المؤرِّخين الّذين تَركوا تُراثًا ضَخْمًا يَحكي واقعَ العَصْر وأحداثَه ويترجمُ لأَبرز شخصيَّاته.

ونجدُ أَنَّ تآليفَ هذَا الفنِّ تخرجُ في صورٍ مختلفةٍ من«تاريخٍ عامٍّ للدُّول الإسلاميَّة إلى جَمْعٍ لتاريخِ البَشَرِ مُنذ بدءِ الخليقة، مُنْضمًّا إليه تاريخُ بعضِ الأُمم المجاورة، ومن رُوَّاد هذا الاتِّجاه: أَبو الفِداء[1]، وابنُ كثيرٍ[2].. ومنهم

---

(١) وهو الملك المؤيّد، إسماعيل بن الأَفضل عليِّ بن عبد الملك المظفّر محمود الأيُّوبيّ: ولد سنة ٦٧٢هـ، وتُوفّي سنة ٧٣٢هـ.)ينظر: البداية والنّهاية:١٤/١٧٢، وفوات الوفيّات: ١/١٨٣، والنّجوم الزّاهرة: ٩/٢٩٢)، وله كتاب: «المختصر في تاريخ البشر ».

(٢) وهو / إسماعيل بن عمر المفسّر – أيضًا – ولد سنة ٧٠٠هـ، وتُوفّي سنة (٧٧٤هـ) (ينظر: تذكرة الحفّاظ؛ للذّهبي: ٤/١٥٠٨، والذّيل على العبر في خبر من عبر؛ لابن العراقي: ٢/٣٥٨. وله في التّاريخ كتاب « البداية والنّهاية ».

من اتَّجه إلى التَّاريخ لدولة[١]، أَوْ لبلد أَوْ إقليم..[٢].

وأَمَّا السِّيَرُ والتَّراجمُ؛ فمنها السِّيَرُ العامَّة[٣]،... ومنها السِّيَرُ الخاصَّةُ لجماعةٍ من الرِّجال تربطهم رابطة ما[٤]»[٥].

(١) مثل رشيد الدِّين فضل الله الهمذانيّ المتوفّى سنة (٧١٨هـ) في كتابه: «جامع التَّواريخ » ويقع في مجلّدين كبيرين، ويعدُّ أهمَّ كتابٍ في تاريخ دولة المغول.

(٢) مثل جعفر بن ثعلب الإدفوي المتوفّى سنة (٧٤٨هـ) في كتابه: «الطَّالع السَّعيد في تاريخ الصَّعيد ».

(٣) مثل: «فوات الوفيّات »لابن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، و«الوافي بالوفيات » لابن شاكر الكرديّ (ت ٧٦٤هـ)، و« العبر في أخبار مَنْ غَبَر » لشمس الدِّين محمَّد ابن أحمد الذّهبيّ (ت ٧٤٨ هـ).

(٤) مثل: « تذكرة الحفَّاظ » لشَمسِ الدِّين، محمَّد بن أحمد الذّهبي (ت ٧٤٨هـ)، و« طبقات الشَّافعيَّة » للسُّبكيِّ (ت ٧٧١هـ).

(٥) الأدب في العصر المملوكيِّ، د. محمَّد زغلول سلاّم: (١٣٩ ــ ١٤٠).

المبحث الأوّل:
حياة الكرمانـــيّ.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل:
اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

المطلب الثّاني:
مولده ونشأته ورحلاته.

المطلب الثّالث:
عقيدته وأخلاقه وصفاته.

المطلب الأوّل:

اسمه، ونسبه، ولقبه، وكنيته

هُو / محمَّد بن يُوسف بن عليٍّ بن سعيدٍ الكرمانيّ، ثمّ البَغْداديّ.

هكذا ورد اسمُه ونسبُه في أغلب المصادر المُترجِمة[1] له من غيرِ خلافٍ يُذْكر؛ سِوى ما ورد في بعضِها من ذِكْر (بن محمَّدٍ) بعدَ (بن عليٍّ)، وقبل: (بن سعيدٍ)[2]. وما وردَ في بعضِها الآخر من إيراد (بن عبدِ الكريمِ) بدل (بنِ سعيد)[3].

---

(١) ينظر: مجمع البحرين وجوهر الحَبْرين؛ ليحيى بن محمَّد بن يوسف الكِرمَانيّ؛ تقيّ الدِّين المعروف بـ(ابن الكِرمَانيّ) (جـ ١/ ل ٣)، والدُّرر الكامنة: (٧٧/٥)، والنُّجوم الزَّاهرة: (٣٠٣/١١)، والدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي: (٧١٦/٢)، نزهة النّفوس والأبْدان في تواريخ الزَّمان؛ للخطيب الجوهري: (١٠٩/١)، وبُغْية الوُعاة: (٢٧٩/١)، وطبقات المفسِّرين للدّاودي: (٢٨٥/٢)، ومِفْتاح السَّعادة؛ لطاش كبرى زاده: (٢١٢/١)، ذيل وفيَّات الأعيان؛ المسمّى بـ«درّة الحجّال في معرفة أسماء الرّجال»؛ لابن القاضي المكناسي: (٢٥٠/٢)، والبَدر الطّالع: (٢٩٢/٢)، والفتح المبين في طبقات الأصوليّين: (٢١٠/٣)، والأعلام: (٢٧/٨).

(٢) ينظر: هديَّة العارفين: (١٧٢/٢)، والضَّوء اللاّمع؛ للسّخاويّ: (٢٥٩/١٠) عند ترجمته لابن المؤلّف (يحيى).

(٣) ينظر: إنْباء الغمر: (١٨٢/٢)، وشَذَرات الذّهب: (٢٩٤/٦).

ومع إطباق المصادر جميعًا على اسمه وأبيه وجدِّه فلا يُعدُّ الاختلاف فيما عداه من السِّلسة - في نظري - أمرًا ذا بال؛ لكونه سمةً غالبةً قلّ أن ينجو منها علَم من الأعلام مهما علا شأنُه؛ وبخاصَّة مع ما دَرج عليه المترجمون من إسقاطِ بعض الأسْماء المغمورةِ اختصارًا.

والكِرْمانيُّ – بكسر الكاف – كما ضَبَطها الكِرْمانيُّ نفسُه[١]. وقيل: بفتحِها، كما ضَبَطَها غيرُ واحدٍ[٢] – وسكونِ الرَّاء نسبة إلى كرمان؛ وهو إقليمٌ واسعٌ يلي بلاد فارس من جهة الشَّرق، يحتوي عَلى بلدان شَتَّى[٣] «كثيرة النَّخل والزَّرع والمواشي والضَّرع.. وأهلُها أخيارٌ؛ أهلُ سنَّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاحٍ»، افْتُتحت كلُّها في زمنِ الخليفةِ

---

(١) ينظر ضبطه لها في الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاريّ (١٩٥/٩). ويلحظ أنّه نقل في سياق ذلك ــ عن النَّووي قولَه: «وهو بفتح الكاف» وردَّه في أكثر من مناسبة، منها: قوله: «هو بلدُنا، وأهلُ البلد أعلمُ ببلدِهم من غَيْرِهم، وهم متَّفقون على كسرها»، وقال في موضعٍ آخر من كتابه السَّابق: (١٠٥/١٧): «أقولُ: هو بكسرِها. وهي بلدتُنا ــ حماها الله تعالى ! ــ، وأهلُ مكَّة أدرى بشعَابِها».
على أنَّه نصَّ في كتابه الآنف الذِّكر ــ أيضاً ــ في مواضعَ منه على رواية الفَتْح مُبيِّناً أنَّه بخلاف المُستعمل عن أَهْلِها. ينظر: (٨٦/٨)، و(١٦٢/١٤).

(٢) على هذا الضَّبط السَّمعانيّ المتوفى سنة (٥٦٢هـ) حيث قال في كتابه الأَنْساب: (٦٥/٥): «والكرمانيُّ بكسر الكاف، وقيل: بفتحها... وهو الصَّحيح غير أنَّه اشتهرَ بكسرِ الكاف».
وليس ثَمَّة مانع أَنْ يُقال: إنَّ كلا الضَّبطين واردٌ، وبه يتميّز المراد؛ «فالمشهور عند أهلِها الكَسر، والمستعملُ عند غيرهم الفتح» كما رجّحه أخي وزميلي عيسى بن محمَّد الجاموس، محقّق النّقود والرّدود للمؤلّف (مخطوط) رسالة ماجستير ص (٢٣) أَوْ «لعلّ الصَّواب فيها في الأَصل الفَتْح ثُمَّ كثر استعمالها بالكَسر تغيير من العامَّة»، كما رجّحه ابن حجر العسقلانيّ في الفتح: (٣٠١/١٤)، ويقوِّي هذا الأخير أنَّ السَّمعانيَّ مصحّح الضَّبط بالفتح نسَّابةٌ، علاّمة، متقدِّم زماناً على من رجَّح الكسرَ.

(٣) منها: جيرَفت، وموقان، وخبيص، وبَمّ، والسِّيرجان، وزماسير، وبُرْدَسير، وغير ذلك. وعلى الكلِّ يُطْلق كرمان. ينظر: معجم البلدان: (٤٥٤/٤).

الرَّاشدِ عمرَ بن الخطَّاب - رضي الله عنه -. وإليها يُنْسب خَلْقٌ عظيمٌ من العلماء[١].

وكذا البغداديُّ، نسبة إلى بغداد، إحْدى الحواضر الإسْلامية في زَمنه.

وهو إذ يُنْسب لكرمان لعِرْقٍ له فيها؛ فإنَّه يُنْسب إلى بغداد لإلْقاءِ عصا التِّسيار بها.

وليس له مِنْ نسبةٍ ثالثة إلاَّ ما ذكَره السَّخاويُّ في ترجمةِ يحيى ابْنه[٢]؛ حيثُ انْتهى به إلى « السَّعيديِّ » نسبةً لسعيدِ بن زيدٍ ـــ رضي الله عنه ـــ أحد العَشَرةِ المبشَّرين بالجنَّة[٣].

أَمَّا لقبُه المشْهورُ به فهُو: (شَمْس الدِّين)[٤]، وكنيتُه: (أبو عبدِ الله)[٥]. ولا أَعْلم فيهما خِلافًا.

وهناك لقبٌ آخر يصفه به بعضُ مَن ترجم له، فيقولُون: « شارح

---

(١) ينظر: معجم البلدان: (٤/٤٥٤ ـــ ٤٥٥).

(٢) ستردُ ترجمتُه مفصَّلةً عند ذكرِ تلاميذِ المؤلِّف ـــ إن شاء الله تعالى ـــ.

(٣) ينظر: الضَّوء اللاّمع: (١٠/٢٥٩). ولم أقف على مصدر آخر يُؤكِّد أَوْ يَنْفِي عنه هذه النِّسبة.

(٤) نصَّ عليه من المصادر السَّابقة: مجمع البحرين: (جـ١ ل / ٣)، إنباء الغمر: (٢/١٨٢)، النُّجوم الزَّاهرة: (١١/٣٠٣)، الدَّليل الشَّافي: (٢/٧١٦)، نزهة النّفوس: (١/١٠٩)، بُغْية الوُعاة: (١/٢٧٩)، طبقات المفسِّرين: (٢/٢٨٥)، مِفْتاح السَّعادة: (١/٢١٢)، دُرَّة الحجّال: (٢/٢٥٠)، هديَّة العارفين: (٢/١٧٢)، الفتح المبين: (٢/٢١٠)، الأعلام: (٧/١٥٣).

(٥) نصَّ عليها من المصادر السَّابقة: هديَّة العارفين: (٢/١٧٢).

البُخاريِّ »، أَوْ « صاحب شَرح البُخاريّ »[1]، ولكنَّه لقبٌ لا يصدُق عليه مُنْفردًا، ولا يقوى مُميِّزًا له عن غيرِه من شُرَّاح البُخاريِّ.

(١) نصَّ عليه من المصادر السَّابقة: النُّجوم الزَّاهرة: (٣٠٣/١١)، الدَّليل الشّافي: (٧١٦/٢)، نزهة النّفوس: (١٠٩/١)، بُغْية الوُعاة: (٩١١)، طبقات المفسِّرين: (٢٨٥/٢)، دُرَّة الحجَّال: (٢٥٠/٢).

المطلب الثّاني:

مولده، ونشأته، ورحلاتــه

لَمْ تضنّ علينا المصادرُ المترجمة لشَمس الدِّين الكِرْمانيّ بشــيءٍ مــن حياته، كما وقعَ لغيره من العُلماء ممَّن طوت الأَيَّامُ حياتَهم، ولفَّ النِّسيانُ سِيَرهم وأَخْبارَهم، فلم يُبْق لهم مَا يُذكرُون به إلاَّ ما بقي مــن آثــارِهم. ولعلَّ الفضلَ كلَّ الفضلِ في ذلك يعودُ إلى ابن المــؤلِّــف البارِّ (يحيى)؛ حيثُ ترجمَ لوالده ترجمةً وافيةً ضافية؛ تعــرَّض فيــها ــ بشــيءٍ مــن التَّفصيل ــ لَمسيرة حياته، ابتداءً من ولادته وحتَّى مماته[1]، وهو ما نفسِّــر به اتِّفاقَ المترجمين له عَلى نُقاطٍ كثيرةٍ في حياته، وعدمِ اختلافهم حوله إلاَّ في التَّفصيلاتِ الدَّقيقة، وفي النَّادر اليسير.

مولده:

وُلِدَ شمس الدِّين الكِرْمانيّ يومَ الخميس، السَّادسَ عشرَ من جُمــادى الآخرة، سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهِجْرة النَّبويَّة[2].

---

(١) ينظر كتابه: مجمع البحرين وجَوْهر الحبرين: (ج ١ ل/٣).

(٢) ينظر مصادر ترجمته السَّابقة، نفس الصّفحات؛ فجلّها أَجْمع على تحديد شهر وسنة ولادته، ولم يشذّ عنها إلاَّ السُّيوطيُّ في البُغْية حيث قال (٢٧٩/١): « ولــد يــوم الخميس سادس عشرين جمادى الآخرة ».

والدَّاوديُّ في طبقاته؛ حيث قال (٢٥٨/٢): « ولد يوم الخميس ســادس عشــرين جمادي الآخرة ».

=

وعن مكانِ ولادته يقولُ ابنُه[١]: « كان مولِدُه ببلدة (كونان) مِنْ أَعْمال (كوبيان)[٢]، بينها وبين بَلده كرمان مسيرةُ ثلاثة أَيَّام، رأيتُها في مدَّة والدي ـــ رحمه الله تعالى ـــ، وهي بلدةٌ طيِّبةٌ، وهواؤها طيِّبٌ صحيحٌ، وأهلُها عُلَماء فُضَلاء صُلَحاء... ».

نَشْأته ورحلاته:

ساق ابنُ الكِرْمانيّ – رحمهما الله – في معرضِ حديثه عن نَشْأة والده ورحلاته حَديثًا مُخْتصرًا شَافيًا؛ لا أجدُ مَحيصًا من إيرادِه بتَمامه. وفيه يتَّضحُ بجلاءٍ أَنَّ الكِرْمانيَّ شبَّ في بيتِ والده (بهاءِ الدِّين، يوسف)، ونشأَ عَلى مرأًى ومَسْمعٍ منه، يُلقِّنه المعارفَ والعُلوم، ويغرسُ في نفسِه الصِّفاتِ النَّبيلةَ والأَخلاقَ الفاضلةَ، كما يتَّضحُ منه جلَدُه

= والبغداديُّ في هديَّة العارفين حيث قال (١٧٢/٦): « ولد سنة ٧١٨ »، كما أنَّ محقِّق الدُّرر الكامنة للحافظ ابن حجر (محمَّد سيِّد) أشار إلى أَنَّه وجد في بعض نُسخ الدُّرر المخطوطة أَنَّ مولدَ الكِرمَانيِّ كان في سنة سبع وعشرين وسبعمائة على أَنَّ أَغلبها تنصُّ على أَنَّه في السَّابع عشر. وهو ما صحّحه. (ينظر: هامش الدُّرر: ٧٧/٥).

وظاهر أنّ تلك النُّقولات الشَّاذَّة لا تبتعد كثيرًا فتقدَّم فائدةً تُذكر؛ ناهيك عن أَنّ احتمال التّحريف منها ليس ببعيد.

(١) مجمع البحرين وجوهر الحبرين: (ج ١/ ل ٣).

(٢) (كوبيان) وربَّما قيل لها: (كوكيان) كما صرَّحَ بذلك ياقوت الحمويّ (٤٨٧/٤): « من قرى كرمان، فيها وفي قرية أخرى يقال لها بهاباذ يعمل التّوتيا (حجر يكتحل به). (اللّسان: توت: ١٨/٢) الّذي يحملُ إلى أقطار الدُّنيا».

وصبْرُه في طلبِ العلمِ؛ حتَّى غَدا عالمـًا عَاملاً، ويكفي شَاهدًا عَلى ذلك: أَنَّه رحلَ - في سبيل تحصيل العلم - إلى بلـدانٍ مختلفـةٍ متباعـدةٍ أَدَعُ التَّصريحَ بها لابْنِه في سياقِ حديثه التَّالي عن أَبيه.

يقول[1]: « نشـأَ والدي - رحمه الله - بها - أَيْ: ببلدة كونان -، واشْتغل عَلى والده يوسف[2]، وكان من العُلماءِ العاملين. حكى لي والدي عنه أَنَّه ما كان يأكلُ إلاَّ من ثمنِ مصحفٍ شريفٍ كان يكتُبه في كلِّ شهرٍ بخمسة دَراهم، يبيعه ويقتاتُ بالدَّراهم طولَ شهْره؛ فإذا انقضى الشَّهرُ بعد كتَب آخر؛ فينسخه ولا يأكل إلاَّ منه مع كثرةِ أملاكه وسعةٍ من الدُّنيا... ثمّ لَمَّا بلغَ والدي مبلغَ الرِّجال ارتحل إلى كرمان، وقرأَ بها عَلى علمائها، ثمّ بلغَه شرحُ أصولِ ابن الحاجبِ للشَّيخ عضدِ الدِّين عبد الـرَّحمن، فكتبـه ونسخه، وأَرادَ قراءتَه عَلى بعضِ علماءِ كرمان... فرحلَ بإذن والـده إلى (شباكار)[3] وهي بلدٌ من أعمالِ (شيراز)[4]، وفيها الشَّيخ عضدُ الـدِّين، فلازمَه واشتغلَ عليه وقرأَ عليه شرحَ مختصرِ ابن الحاجب، وكتابَ المواقف في أصولِ الكلام. وغـير ذلك من مؤلَّفـات شيخه عضـد الـدِّين، ثمّ وقعت خراب في بلاد (شيراز)، وقُتل سـلطانها، وكـان مُحسـنًا إلى

(١) مجمع البحرين وجوهر الحبرين: (ج ١/ ل ٣).

(٢) لم أقفْ له على ترجمةٍ ــ إلاّ ما حكاه حفيدُه عنه ــ فيما وقفتُ عليه من مصادرَ.

(٣) لم أقفْ لها على ترجمةٍ فيما بين يديَّ من مصادر البلدان.

(٤) هو بكسر الشِّين وآخره زاي: بلد عظيم في وسط بلاد فارس، وهي ممـا اسـتجدّ عمارتها واختطاطها في الإسلام؛ لكونها عذبة الماء كثيرة الخيرات.

ينظر: معجم البلدان: (٣/ ٣٨٠ ــ ٣٨١).

والدي، وكان دائمـــاً يَتَرَحَّمُ عليه. وقصدَ بغداد، ثمّ قصدَ الشَّام، ثمّ أتَـــى مصر. ولكنَّه في سنة خمسٍ وخمسين وسبعمَائة ورد مصر وسُلْطانها الملـــك الصَّالح، والأمير الكبير بها شَيْخون. فأرادَ السُّلطـــان شـــيخون أَنْ يُقِـــيم بالقاهرةِ ويريدُ أنْ يحجَّ. فحجَّ من طريقِ الحاجِّ المصـــري، بعـــدَ أَنْ قـــرأَ البخاريّ بالقاهرةِ بالجامعِ الأزهر عَلى الشَّيخ ناصر[1] الدِّين الفَارقيِّ، وغيره من علمائِها. ثمّ لَمَّا حجَّ رجع إلى بغداد، وكانت بغـــدادُ إذ ذاك عـــامرةً بأَهلِها من أحسن بلادِ الدُّنيا؛ فأقامَ بها، واشْتَغل بالتَّأليف، وشُغل النَّاسُ في فنون العلم. وحجَّ مرَّات وجاورَ وأَنا في خدمَته ســـنة خمـــسٍ وســـبعين وسبعمائة. ثمّ رجعَ إلى بغداد، وأقامَ بها إلى سنة خمس وثمانين، فقصدَ الحجّ وأَنا في خِدمتِه؛ فحجَّ سنة خمس وثمانين... ».

(١) سترد الإشارة إليه – إن شاء الله – قريبـــاً ضمن الحديث عن شيوخ المؤلّف ص (٧٦).

المطلب الثّالث:

عقيدته، وأخلاقه، وصفاتــه

عقيدته:

ليسَ ثَمّةَ أَدْنى شكٍّ يُساورني في أَنَّ شمسَ الدِّين محمَّد بــن يُوســف الكِرْمانيِّ أشعريُّ المعتقد؛ فقد بدا ذلك واضحــًا جَليــًّا من خلال كُتبه الّتي ألّفها، ويبدو بروز ذلك بشَكلٍ ظاهرٍ في مولّفَين من مؤلّفاته هما:

١ ــ « الرُّدود والنُّقود ». مؤلّفٌ في أُصول الفقه[١].

٢ ــ « تحقيقُ الفوائد الغياثيَّة ». الكتابُ الّذي بين يديّ.

ولعلَّ السَّببَ في بروزِ معتقده في هذين الكتابين دونَ غَيْرهمــا مــن مؤلّفاته يعودُ إلى طبيعة مادَّتهما من جهة، وما يَسْتلزمانه من كيفيَّة المعالجة من جهةٍ أُخرى. الأَمر الّذي يؤوبُ بالباحث فيهما إلى العودَة إلى كثيرٍ من المُرتكزات العَقديَّة الّتي يَنْطلقُ منها.

والنَّاظرُ في هذين الكتَابين يقفُ عَلى مواضعَ عِدّةٍ، تؤكِّدُ انْتسابه إلى المذهب الأَشْعريّ، منها:

١- جاءَ في « الرُّدود والنُّقود » عند حديثه عن مَسْــألــة التّكليف بما لا يُطاق قولُه[٢]: « فإنَّا معشرَ الأَشَاعرة نُجوّزه - أَيْ: التّكليف بالمحال

---

(١) مخطوط في مكتبة المخطوطات في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، لــه نســخ متعدّدة أفضلها ذات الرقم (٨٨٨٧ ف١)، وهي نسخة فلميّة مصوّرة عن مكتبــة لالى باستانبول. والكتاب مهم في بابه، ولأهميته عهد إلى بعض طلاّب الدراســات العليا بقسم أصول الفقه تحقيقه؛ فسجّل بعضه رسائل « ماجستير ».

(٢) (ل ١٢٦/ب) مخطوط رقم: (٨٨٨٧ ف١) في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة.

– وإنْ لَمْ يقع، والمعتزلةُ تَمْنعه ».

والعبارة صريحة لا تحتمل صَرفـًا ولا تَأْويلاً.

٢– جاء في « تَحْقيقِ الفوائد » عند حديثه عن الاستعارة التَّخْييليَّة – بعد إيراد قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ ﴾[١] –قوله[٢]: « فإنَّه يلزم من ازدواج اللَّفظِ في ﴿ يُبَايِعُونَكَ ﴾ و﴿ يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ أَن يكون هُو – سبحانه – مبايعًا، وإذ لا بدَّ للمبايع من يد فتُخيّل له سبحانه وتعالى شيءٌ يُشْبه اليد وهو القُدْرة، فيطلق عليها لفظ أَوْ يقول إنَّه استعارةٌ بالكناية بإدْخال الله سبحانه وتعالى في جِنْس المبايعين ادِّعاءً وإثبات ما هُو مِنْ خَواصّهم ».

وظاهر أَنَّ هذا القَولَ ينطلقُ من مُعْتقدِ الأَشاعرة في الصِّفات؛ حيثُ يثبتونَ لله سبحانه وتعالى سبعَ صفات هي: الإرادة، والحياة، والعلم، والقدرة، والسَّمع، والبصر، والكلام، ويُؤوِّلون ما عَدا ذلك كاليَد، فإنّها – بزعمهم – تَعْني القُدْرة[٣].

---

(١) سورة الفتح؛ من الآية: ١٠.

(٢) قسم التّحقيق من هذا البحث ص: (٧٦١).

(٣) ينظر معتقدهم في الصِّفات في: الاقتصاد في الاعتقاد؛ للغزالي: (٨٤ ــ ١٠١)، تحفة المريد « شرح جوهرة التّوحيد »؛ للبيجوريّ: (٩٠).

وراجع الرّد عليهم في هامش (٥) من ص (٧٦١-٧٦٢) من هذا البحث «قسم التّحقيق».

٣- جَاء في « الرُّدود والنُّقود » عند حَديثه عن القرآن وهو بصدد الرَّدِّ عَلى القُطيِّ في قوله إنَّ المعنَى القَائم بذات الله ليس بكتابٍ - قَوْلُه[١]: « المشهورُ عند الأَشَاعرة... أنَّ كلامَ الله عبارةٌ عن ذلك المعنى؛ وهذه الألفاظ دَالَّةٌ عَلَيه ».

ولا يكشف السِّياقُ الَّذي وردَت فيه تلك العبارة عن مسوِّغٍ مقنعٍ لإيرادِ مَذْهب الأَشاعرةِ في كَلامِ الله هنا (في معرض الرَّدِّ) سوى انتسابِ الكِرْمانيِّ إلى هذا المَذْهب[٢]. بل ظهر في غيرِ مَوْطن في «تحقيقِ الفوائدِ الغياثيّة » ثمرةُ اعتقادِه في كلامِ الله بما يتَّفق مع المذهبِ الأَشْعريِّ، منها:

---

(١) (ل ١٤٤/أ) مخطوط رقم (٨٨٨٧ ف١) في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة.

(٢) ينظر معتقدهم في كلام الله في: اللّمع في الرَّدِّ على أهل الزّيغ والبدع؛ لأبي الحسن الأشعريّ: (٢٢)، وتمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل؛ للقاضي الباقلاّني: (٢٦٨ - ٢٨٤)، والإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد؛ لأبي المعالي الجويني: (١٠٣ — ١٠٧).

وهو بخلافِ مذهب السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين، الَّذين يُثْبتون صفةَ الكلام لله تعالى ويرون (شرح العقيدة الطّحاويّة: ١٨٠): « أنّه تعالى لم يزل مُتكلِّمًا إذا شاءَ ومتى شاءَ وكيف شاءَ، وهو يتكلّمُ بصوتٍ، وأنّ نوعَ الكلام قديم وإنْ لم يكن الصَّوت المعين قديمًا ». وينظر: العقيدة الواسطيّة: (١١١). وتبعًا لذلك فإنَّهم يعرِّفون القرآن بقولهم (العقيدة الطّحاوية: ١٧٩): « القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفيَّة قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنّه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البريّة ». وينظر: العقيدة الواسطيّة: (١٣٦)، و مجموع الفتاوى لابن تيميّة (١٢/١٧، ٦٥، ٢٤٤، ٣٠٦)، ومختصر الصّواعق: (٢/٢٩٢).

إيرادُه لتعريف شيخه الإيجيِّ للأمر، وأنَّه[١]: «اقتضاءُ الفعلِ بالقولِ استعلاءً»، وشَرْحه إيَّاه وعدم تسجيلِ أيِّ اعتراضٍ عليه إلاَّ في موافقته المعتزلة في القَيْد الأخير (الاستعلاء)، واعْتذاره عن تلك الموافقة بقوله[٢]: «وذكره هذا من حيثُ متابعتُه السَّكَّاكيَّ وإلاّ فعندَه – كمَا هُو مذهبُ أهلِ السُّنَّة – لا دخل للاسْتعلاءِ في مَفْهومِ الأَمر ».

وباعتذارِه عن القيدِ الأخير وتَسْليمه ببقيَّة القيود فإنَّه يقفُ جنبًا إلى جنب مع الأشَاعرة؛ الَّذين يسمون الأَمر بأَنَّه « اقتضاءُ الفعلِ بالقَول» انْطلاقًا من مُعْتقدهم في كلامِ الله سُبْحانه وتعالى أنَّه معنى قائمٌ بنفسه. ولا يغرّنك قوله «كما هُو مذهب أهل السّنّة»؛ فإنَّ الأشاعرة كثيرًا ما يُطْلقون عَلى أَنْفسهم « أهل السّنّة »، وبخاصَّةٍ عندما يكونون في مُواجهةِ المُعْتزلة[٣].

أَضف إلى ذَلك أَنَّه عُنِيَ عناية خاصَّةً بمؤلّفات شيخه الإيجيّ – أحدِ أقطابِ الأشاعرة في زمانه –، وأَشْبعها دَرسًا وشرحًا، ولَمْ يُنقَل

---

(١) قسم التّحقيق من هذا البحث ص (٥٩٥).

(٢) قسم التّحقيق من هذا البحث ص (٥٩٥-٥٩٦).

(٣) والحقُّ أَنَّ للأشاعرة جهداً محموداً وسعياً مشكوراً في الدِّفاع عن السُّنَّة وبخاصَّة أمام الباطنيّة والرّافضة والفلاسفة؛ في هتك أسرارهم وكشف أستارهم. يقول شيخ الإسلام في درء التّعارض (٢٧٥/٨): « فإنَّ الواحد من هؤلاء له مساعٍ مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام، والرَّدِّ على طوائف من المخالفين لما جاء به الرّسول؛ فحمدهم والثّناء عليهم بما لهم من السّعي الدّاخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح... وما من أحدٍ من هؤلاء ومن هو أفضل منه إلاَّ وله غلط في مواضع ».
وينظر: الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع الجهني: (٨٧/١ - ٩٨).

عنه أنّه استدرك أَوْ نبَّه عَلى فسادِ معتقده. مِمَّا يدلُّ - أيضًا - عَلى انتسابِه إلى المذهب الأشعريِّ.

أخلاقه وصفاته:

يظهرُ لي أن شمسَ الدِّين الكِرْمانيّ كانَ شديدَ التَّعلُّق بالله سُبْحانه وتَعالى، محبًّا له ولِرَسوله صَلَّى الله عليه وسلم، عالي الهِمَّة، صادقَ العزيمةِ، شريفَ النَّفْس، عَلى جانبٍ عظيمٍ من التَّواضع وحسنِ الخُلق، قويّ الشَّخصيَّة، زاهدًا في الدُّنيا، معرضًا عن أهلها، محبًّا للفقراء وطلبة العلم.

قالَ عنه ابنُ حجر[1]: «وكان تامَّ الخَلق، فيه بشاشةٌ وتواضعٌ للفقراء وأهلِ العلم، غيرَ مكترثٍ بأهلِ الدُّنيا، ولا مُلْتفتٍ إليهم؛ يأتي إليه السَّلاطينُ ويسألونه الدُّعاءَ والنَّصيحةَ».

وقال غيرُه[2]: «كانَ مُقبلاً عَلى شَأنه، مُعْرضًا عن أَبْناء الدُّنيا».

ومن يطالعُ بعضَ مقدِّمات مؤلَّفاته يلمس قوّة إِخْلاصه لله، وانْصرافه عمَّن سواه.

---

(١) ينظر هامش الدُّرر الكَامِنَة نقلاً عن إحدى النّسخ المخطوطة للكتاب: (٥/٧٧)، ونقله السّيوطيُّ في البُغْية: (١/٢٦٩)، وكذا الدَّاوديُّ في طبقات المُفسِّرين: (٢/٢٨٥)، وابن القاضي في درّة الحجّال: (٢/٢٥١).

(٢) هو / ابن العماد الحنبليّ في شَذَرات الذَّهب: (٦/٢٩٤)، وفي معنى قوله وردَ قَوْلُ ابن حجر في الدُّرر الكَامِنة: (٥/٧٧)، والشَّوكانيِّ في البَدرِ الطَّالع: (٢/٢٩٢).

يقول في مقدِّمة الكواكب الدَّراري[١]: « وما توسّلت به إلى غرضٍ دنيويٍّ من مالٍ أَوْ جاه، أَوْ تقرُّبٍ إلى سُلْطان أَوْ خليفة – كما هُو عادة أَبْناء زَمَاننا من أَصْحاب الهِممِ القَاصرةِ والعقولِ الضّعيفة –، بَلْ جَعَلْته لله ولوجهه خالصاً ».

كما يقُول في مقدمته للنُّقود والرُّدود[٢]: « وما تَقَرَّبت به إلى أحدٍ الخلائق رجاءَ أَنْ يكون سبب قُربتي إلى الخالق؛ فإنَّه عَلى ذلك قدير، وبتحقيق رجاء الرَّاجين جَدِير. وما توفيقي إلاَّ بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب ».

ويبدو أَنَّه كان عَابدًا طَائعاً مُكْثرًا من النَّوافل والقُرب؛ فعلى الرّغم من أَنَّه كان لا يَمْشِي إلاَّ عَلى عَصا مُذْ كان ابن أربعٍ وثلاثين سنة[٣] إلاَّ أَنَّه حجَّ من بغداد مرَّات. كما ذكر ابنه[٤].

---

(١) (١/٦).

(٢) ينظر: (ج١، ل٢/ب) (مخطوط)، فلميّ في الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة رقم (٦٤١٢/ف)، وقد سبقني إلى الإشارة إلى ذلك الزّميل الباحث عيسى الجاموس في رسالته للماجستير الّتي حقّق بها جزءاً من كتاب النّقود والرّدود. مخطوط ص (٦٢).

(٣) ينظر: إنباء الغمر: (١٨٢/٢)، وشذرات الذّهب: (٢٩٤/٥)، وذُكر أنّ سبب ذلك سقوطه من عليّه.

(٤) راجع ص: (٦٦) من هذا البحث « قسم الدّراسة ».

المبحثُ الثَّاني

شُيوخُه، وتَلاميذُه، ومكانتُه العِلْميّة.

وفيه ثلاثةُ مطالب:

المطلبُ الأوّل:

شيوخُه.

المطلب الثّاني:

تلاميـــذُه.

المطلب الثّالث:

مـــكانتُه العلميَّة.

المطلب الأوّل:

شـــيوخـــه

ننتظرُ ونحن أَمَام عالمٍ ذائعِ الصّيت، بارعٍ في علومٍ متعدِّدة، رحَّالــة يطلب العلم كشمس الدِّين الكِرْمانيّ - أن نظفرَ له بمشائخ كُــثر - وهم بلا شكٍّ كذلك ــ، غيرَ أَنَّ ما حفظته لنَا كتبُ التَّــراجم منــهم قليــل لايَتَجاوزون أُولئك المَشْهورين في عَصْره، وربما وجدَ المترجمون في شُهْرتهم واسْتفاضة علْمهم، أَوْ قُرْبهم من الكِرْمانيّ وتأَثُّره بهم ما يُغْني عــن ذِكْــر غَيْرهم ممن لَمْ يكُونُوا كَذلك.

وممّن صرَّحت كتبُ التَّراجم بأَسْمائهم من مَشَايخه ما يَلي:

١ - والده: بهاء الدِّين؛ يُوسف بن عليٍّ الكِرْمانيّ.

ولَمْ أُفْلح في الوقوفِ عَلى تَرْجمةٍ له سوى ما ذَكرهُ حفيــدُه التَّقــيُّ الكِرْمانيُّ عنه[١].

وعَــلَى يديه تَلَقّــى الكِــــرْمانيُّ دروسَــــه الأُولى. ويَبْدو لي - في ثَنَايا الأَخْبارِ اليَسيرة الوَارِدة عنه - أَنَّه عالمٌ ورعٌ، من بيــت صــالحٍ، كسائر بيوتِ قريته الَّتي اشْتَهر أهلُها بالصَّلاحِ وتوارثِ الفَضيلة[٢]؛ ولستُ واجدًا دليلاً يؤكِّدُ ذلك أَقْوى من اهْتمامِ الوالدِ بابنهِ في هذه الأُسرة[٣].

---

(١) ينظر ص (٦٥) من هذا البحث. « قسم الدِّراسة ».

(٢) ينظــر مــا ذكــره التّقيّ الكرمانيّ عن أهل قرية والــده ص: (٦٤) مــن هــذا البحث. « قسم الدِّراسة ».

(٣) ويظهر ذلك بجلاء من خلال تعليم بهاء الدِّين؛ لابنه شمس الدِّين، وتعليم الأخير لابنه تقيّ الدِّين.

٢ – **القاضي**: عَضُد الدِّين؛ عبد الرّحمن بن أَحْمد بن عبد الغَفّار الإيجيّ وسبق الحديث عنه في المبحث التّمهيديّ[١]. وهو شيخه الّذي لازمَه ثنتي عَشْرة سنة محبًّا لشخصه عاكفًا عَلى دَرْسه، نَاهلاً من مَعينه، شَارحًا لكُتبه.

وقد بَدا – لي – شِدَّةُ تَأَثُّره بهذا الشَّيخ وعظيمُ توقيره له؛ فهو لا يَسِمه إلا بالأُسْتاذ[٢]، ولا يذكره إلا بالثّناءِ العاطرِ[٣].

٣ – **المحدِّث**، ناصر الدِّين، محمّد بن أَبي القاسم الفَارقيّ[٤]. ولَمْ تُسْعِفنا كتب التّراجم بشيءٍ عنه سِوى مَا تقدَّم من اسمه ونَسَبه.

وعنه تَلقّف شمس الدِّين الكِرْمانيُّ الحديثَ، وبينَ يديه في الجَامع الأَزْهر قرأَ صحيحَ البخاريّ[٥].

---

(١) ينظر ص: (٦٥) من هذا البحث. «قسم الدِّراسة ».

(٢) تتبَّعت الكِرمَانيّ في مؤلّفه الّذي أعدّ حوله الدّراسة فلم أَجده يطلق «قال الأستاذ» إلاّ على شيخه الإيجيّ، و لم يظفر بهذا الوصف من الكِرمَانيِّ أحدٌ سواه !.

(٣) ينظر ما قاله عنه في مقدِّمات شرحه لبعض كتبه، ومنها – على سبيل المثال –: ما قاله عنه في مقدِّمة شرحه لهذا الكتاب ص (٢٠٧) قسم التّحقيق.

(٤) الضَّوء اللّامع: (٨٣/١٠).

(٥) ينظر في الحديث عن شيوخ الكرمانيّ:
مجمع البحرين وجوهر الحبرين: (جـ١/ق: ٣)، إنباء الغمر: (١٨٢/٢ – ١٨٣)، الدّرر الكامنة: (٧٧/٥)، بغية الوعاة: (٢٧٩/١)، طبقات المفسّرين: (٢٨٥/٢)، درّة الحجال: (٢٥١/٢)، شذرات الذّهب: (٢٩٤/٦)، البدر الطّالع: (٢٩٢/٢).

المطلب الثّاني:
تــلامــيذه

لَمْ يَفْتَأ شَيخُنا الكِرْمانــيُّ - رحمه الله - يتضلّعُ صــنوفَ العلــومِ والمعارف ويعبُّ من مَعينها الصَّافي حتَّى ارتوى وفَاضَ خيرُه عَلى غــيره؛ فكان له تلاميذ أَبْرار يجتمعون إليه ويُفيدون منه.

ويَذْكُرُ المترجمون له - في هذا الصَّددِ - أنَّه استوطنَ في نهايةِ تَطْوافه بغدادَ، «وتصدَّى فيها لنَشْر العلم مدَّةَ ثلاثين سنة»[(١)].

ومع أَنَّهَا مدَّة تكفي لتَخْريج أجيالٍ يُعجز المرءَ حصرُهُم - وهم بلا شكٍّ كذلك -، إلاّ أنّ ما حفظته المصادرُ لنا منهم عدد يسير ممن شُــهر فيما بعدُ، جَرْيــًا عَلى عادة تلك المصادرِ الّتي لا تُنوّه من قربٍ أَوْ بعدٍ إلاّ بأولئك الأَفْذاذ الّذين فَرَضوا أَنْفسهم عليها.

ومنهم:

١ ــ **ابنه يحيى:** تقيُّ الدِّين، المَعْروف بابن الكِرْمانيّ[(٢)].

ويعدُّ أبرزَ تلاميذه، وأكثرهم إفادةً منه؛ لملازمته له جلَّ وقته؛ يَقُولُ السَّخاويُّ[(٣)]: «ولكن جلّ انتفاعه إنَّما كان بوالده؛ فإنَّه لازَمــه ســفرًا

---

(١) ينظر: الدُّرر الكامنة: (٧٧/٥)، طبقات المفسِّــرين: (٢٨٦/٢)، البَــدر الطّــالع: (٢٩٢/٢).

(٢) ينظر ترجمته في: الضَّوء اللاّمع: (٢٥٩/١٠ - ٢٦١)، شــذرات الــذّهب: (٢٠٦/٧ - ٢٠٧)، هديّة العارفين: (٥٧٢/٢).

(٣) الضّوء اللاّمع: (٢٥٩/١٠).

وحضرًا، وجَابَ معه نحو خمسين مدينة ».

ولِدَ في رجب سنة (٧٦٢هـ) ببغدادَ، وحفظَ القرآنَ صَغيرًا، ثمَّ الشَّاطبيَّة، والكَافيَة، والشَّافيَة، والحَاوِي، والمُلْحة، وغيرَ ذلك، وما زَال يَنْهل من معين والده ويَرْتشف رحيقَ غيره من عُلماءِ عَصْره؛ أَمْثال أَسْعد بن محمّد بن محمود الحنفيّ، وسعيد بن محمَّد المالكيّ، والقَاضِي العلاء الهَرَويّ، والجمال ابن الدَّبَّاغ الحنبليّ ــ حتَّى تبحَّر وبَرَع؛ فأَتْقن الحديثَ، والطِّبَّ، والتَّاريخ[1].

وتذْكرُ بعضُ المَصَادر أَنَّه أَخَذ عن والده: « الكتبَ السِّتَّة سَمَاعًا غيرَ مرّة، وأَعْربَ عليه غالبَ القُرآن، وسَمِع عليه الكشَّافَ، وتفسيرَ البَيْضاويِّ غيرَ مرّة، وجميعَ كافيةِ ابن الحاجبِ في النَّحو، وشَافيته في الصَّرفِ، والمِنْهاج الأَصْليّ، وشرحه للبرهان العبديّ، والطَّوالع للبيضاويّ، وشرحه للشَّمس الأَصْبهانيّ، والمطالع في المنطق، وشرحه للقطب التّحتانيّ، مع أسئلةٍ واعْتراضاتٍ عليه، والفوائد الغِياثيّة لشَيخه العَضُد، و...، و...»[2] وتَعْدادُها يَطولُ.

وله من التَّصانيف:

* مَجْمَعُ البَحْرين وجَوْهر الحبرين في شرحِ صحيحِ البُخاريّ. كتبه بخطّه، وأَخْرجه في ثمانية أَجْزاء كبار.

---

(١) ينظر: المصادر السَّابقة في ترجمته.

(٢) الضَّوء اللاّمع: (١٠/٢٥٩ - ٢٦٠).

* شرحُ صحيحِ مُسلم.

* المَقْصودُ من تحفة المودود. لابن القيّم.

* هذا بالإضافة إلى خدمته كتبـًا كَثيرة، إمَّا باختصارها، أَوْ بإعادة صِيَاغتها نظمـًا أَوْ نثرًا، ويُذْكر من ضمن مُؤلّفاته - أيضـًا -: كتابٌ في الطِّبِّ[1].

توفّي - رحمه الله - مطعونـًا بالقاهرة سنة (٨٣٣هـ) بعد أن كفّ بصره.

٢ - ابنه: حميد الدّين الكِرْمانيّ[2].

واسمُه: عبدُ الحميد، ويبدو أَنَّه كان أَقلَّ ملازمةً لأَبيه من أَخيه تقيِّ الدِّين، ومع ذَلك فقد أَخذَ عن والده كثيرًا، ونالَ حظَّه منه، وتُطْلعنا المصادر أَنَّه هُو الَّذي نسخَ لوالده شَرحَ البُخاريِّ بخطِّه، وأَنَّ له عدَّةَ رحلاتٍ في طلبِ العلم بينَ بغداد والقَاهرة والشَّام الَّتي استوطنها إلى أَن توفِّي بها سنة عشر وثمانمائة (٨١٠هـ) وقد زاحمَ الأَرْبعين.

٣ - زميلُه في الطَّلب: العلاَّمة السَّرائي[3].

وهو/ يوسفُ بن الحَسنِ بن محمود السَّرَّائيّ، المولود بتبريز سنة (٧٣٠هـ).

---

(١) ينظر: المصادر السَّابقة في ترجمته، وكشف الظُّنون: (٥٤٦، ٩١٩، ١٦٢٩)، ومعجم المؤلّفين: (١٣/٢٣٠).

(٢) ينظر ترجمته في الضَّوء اللاَّمع: (٤/٣٩ ــ ٤٠).

(٣) ينظر ترجمته في الضَّوء اللاَّمع: (١٠/٣٠٩ ــ ٣١٠)، بُغْية الوُعاة: (٢/٣٥٦)، طبقات المفسِّرين: (٢/٣٧٩).

زامل الكِرْمانيَّ في الطَّلب، وتَتلمذ عَلى شيخه الإيجيِّ، وعندما عَلِم بعودة زميله محدِّثًا إلى بغداد رحلَ إليه، ولَمْ يَسْتنكف من الأَخذ عنه لعلْمه بفَضْله وموفورِ علْمه.

له عدّة مؤلّفات، منها:

* شَرْح منهاجِ البَيضاويِّ.

* حاشية عَلى الكشَّاف.

* حاشية عَلى شَرحِ الشَّافية.

اختلف في وَفَاته فقيل: سنة (٨٠٢هـ)، وقيل (٨٠٤هـ). رحمه الله وأسكنَه فسيحَ جنّاته !.

٤ – المجد الشِّيرازيّ[١]:

وهو / محمَّد بن يعقوب بن محمّد الشّيرازيّ الفيروزآباديّ، وفد عَلى شمس الدِّين الكِرْمانيِّ سنة أربع وخمسين وسبعمائة (٧٥٤هـ (، وقرأ عليه، ثمَّ رحل معه إلى الشَّام، ثمَّ إلى مصر، وهناك سمعا الصَّحيحَ عَلى الفارقيِّ، وهُناك افترقا بعود الكِرْمانيِّ إلى الحجّ ـــ كما سبق ذكره ـــ.

له عدّة مصنّفات، منها:

* بصائرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتابِ العزيزِ.

* القَاموس المُحيط. وكان مطوَّلاً في مجلّداتٍ عديدةٍ، وبأَمرِ شيخه الكِرْمانيّ اخْتصره في مجلّدٍ ضخمٍ.

---

(١) ينظر ترجمته في: طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شبهة (٦٣/٤ – ٦٦)، الضَّوء اللاّمع: (٧٩/١٠ – ٨٦)، طبقات المفسِّرين: (٢٧٤/٢ – ٢٧٩).

* القَاموس الوَسيط لِمَا ذَهب من لغة العرب شَمَاطِيط[١].

تُوفي في شَوَّال سنة سبع عَشْرة وثمانمائة، عن عمرٍ يُناهز الثّامنة والسّبعين عامًا.

٥ - أَبو الفتح التّستريّ[٢]:

وهو/ نصرُ الدِّين؛ أَحْمد بن محمّد التّستريّ البغداديّ. ولد سنة (٧٣٣هـ)، واشْتَغَل بالعلم حتَّى برع في علمِ الحَديث، مُفيدًا من شيخه شَمْس الدِّين الكِرْمانيِّ، وعليه قرأَ الكتابَ الَّذي نحن بصدد تحقيقه، وأَجازَه روايَتَه، يقول السَّخاويُّ[٣]: « قال التَّقيُّ فيما قرأْتُه بخطِّه: قرأ على والدي شرحَ المختصر، وأَجَازه والدي واستفدتُ أنا منه فوائدَ جمَّةً ». والتَّقيُّ بذلك يشيرُ إلى نصِّ الإجازةِ الواردةِ في إحدى نُسَخِ الشَّرحِ المَخْطوطة والَّتي اعْتمدتُها أَصْلاً، كما سيأتي إيضاحُه فيما بعدَ[٤].

ولهذا التِّلميذِ النَّجيبِ مؤلّفاتٌ، منها:

* نظمُ غريبِ القرآن.
* حاشيةٌ عَلى فروعِ ابن مفلح.
* حاشيةٌ عَلى تَنْقيح الزّركشي في الحديث.
* وله منظومةٌ في الفِقْه تزيدُ عَلى سبعةِ آلاف بيت، وأُخرى في

---

(١) الشّماطيط: القطع المتفرّقة. اللّسان (شمط): (٣٣٦/٧).

(٢) ينظر ترجمته في: الضّوء اللاّمع: (١٩٨/١٠)، شذرات الذّهب: (٩٩/٧).

(٣) الضّوء اللاّمع: (١٩٨/١٠).

(٤) راجع ص: (١٨٣) من هذا البحث « قسم الدّراسة ».

الفرائضِ تَقَعُ في مائة بيت.

توفِّي سنة ثنتي عشرة وثمانمائة من الهجرة، وله من العُمر تسعةٌ وستّون عامًا.

٦ – محبّ الدِّين التّستريّ[١]:

وهو أَحْمدُ بن نصر الله (أبي الفتح) المتقدِّم، ولِدَ بمسقط رأسِ أبيه (بغداد) سنة (٧٦٥هـ)، وعلى حلقاتِ شيخ أبيه – أيضًا – تفتّح سمعُه وشقَّ بصرُه؛ فأخذَ يستنشقُ عبيرَها ويَرْتشفُ رحيقَها حتَّى فتح الله عليه فجادَ أدبًا وعلمًا، وغدا « قدوةً يُرْجَعُ إليه، وإِمَامًا تحطُّ الرَّواحل لديه، مع استحضاره للفروع والأصول، والمعقول والمنقول، وصدق اللَّهجة، والوقوف على الحجَّة »[٢].

وقد كان موضعَ تَقديرِ الكِرْمانيّ وموطنَ ثقته؛ إذْ أَجازه روايةَ ما صحَّ عنه من التَّفاسير والأحاديث والأصولِ والفُروعِ والأَدَبيّاتِ وغيرِ ذلك، خصوصًا: الصِّحاحِ الخَمْسة الَّتي هي أصول الإسلام ودفاترَ الشَّريعة، وشرحه صحيحَ البخاريّ المسمَّى بالكواكب الدَّراري[٣].

له عدَّةُ حواشٍ عَلى بعض المصنَّفات، منها:

* حَاشِيتُه عَلى تنقيح الزّركشيّ.

---

(١) ينظر ترجمته في: الضَّوء اللاّمع: (٢/٢٣٣ ــ ٢٣٩)، شَذَرات الذّهب: (٧/٢٥٠ ــ ٢٥١).

(٢) الضّوء اللاّمع: (٢/٢٣٥).

(٣) المصدر السّابق (٢/٢٣٤) بتصرّف يسير.

* وأُخرى عَلى فروعِ ابن مفلح.

* وثالثة عَلى الوَجيز.

توفِّي رحمه الله سنة أربعٍ وأربعين وثمانمائة، ولَهُ من العُمر ثلاثٌ وسبعون سنة.

المطلب الثّالثُ:

في مَكانته العلميَّة

تَسنَّم أَبو عبدِ الله الكِرْمانيّ منْزلةً علميّةً رفيعةً، بزَّ بها أقرانَه، وفاقَ بها كثيرًا من علماء عصره، وقد هَيَّأ لذلك ما تميَّز به من عُلوِّ الهمّةِ وسموِّ النّفسِ ويَكْفي شَاهِدًا عَلى رسوخه في العلم وتمكُّنه منه ما نقله المترجمون أنّه: « تصدَّى لنشرِ العلم ببغدادَ ثلاثين سنة... »[(١)]، وبغدادُ آنذاك تمثِّل إحدى أكبر حواضر المسلمين العِلْميّة، إليها يفدُ طلاّبُ العلمِ من كلِّ فجٍّ، وفي رحابها تعقدُ الحلقاتُ وتُدارُ المحاوراتُ والمُناظرات.

ولَمْ يكن شَيْخُنا فيها كغيرِه من شيوخ عَصْرِه ممَّن كانت تَقُوم بهم الحَلقات، بل كان مشارًا إليه فيها، معقودًا له بناصية العِلْم بين عُلَمائها.

يقول عنه الدَّاوديّ[(٢)]: « وكان مُشَارًا إليه بالعراق وتلك البلادِ في العِلْم »، ويقول أُخرى[(٣)]: « ومَهَر وفاقَ أقرانَه وفضل غالبَ زَمانه ».

وقد تقدَّم – في مطلب تلاميذه – مِمَّا يوضِّحُ مكانتَه العِلْميّة أنَّ العلاَّمةَ السَّرائيّ؛ وهو مَن هُو في العلم؛ وقد زاملَه في الأخذ عن الإيجيّ يَنْكسرُ للعلمِ فَيأخذ عن الشَّمسِ ويتتلمذُ عَلى يَديه[(٤)].

---

(١) إنباء الغمر: (١٨٢/٢).

(٢) طبقات المفسِّرين: (٢٨٦/٢).

(٣) المصدر السّابق: (٢٨٥/٢).

(٤) راجع ما تقدّم ص (٨٠) من هذا البحث. « قسم الدِّراسة ».

أضف إلى ذلك أنَّ تلاميذَه أصْبَحوا ـــ فيما بعـــدَ ـــ مـــن العلمـــاءِ المَشَاهير.

ويَبْدو أنَّ الفَضْلَ في تبوّئه تلك المَكَانةَ المرموقةَ يعود ـــ بعدَ توفيـــق الله ـــ إلى تَنْشئته الصَّالحة الَّتي تعاهدها أبوه، ثمَّ إلى حرصه وإخْلاصـــه في طَلَبِ العلمِ، وأخيرًا إلى اهْتمامه بسنّةِ الرَّسول صلى الله عليه وسلّم وَتبحُّره في علمِ الحديث[1].

(١) ذكر الزّميلُ الباحثُ / عيسى الجاموس في رسالته للماجستير الَّتي حقّق بها جزءًا من كتاب النّقود والرّدود: «أنَّ مكانةَ الكرمَانيِّ العلميّةِ عَلَتْ، وازْدَادت شهرتُه في آخر عُمره، خاصَّةً بعد أنْ شرحَ صحيحَ البُخاريِّ في زمان مجاورته بمكّةَ المكرَّمة». النّقود والرّدود. مخطوط (ص ٤٣) بتصرّف يسير؛ بالتّقديم والتّأخير في أوّل كلامه.

المبحث الثَّالثُ:

مصنّفاتُــه ووفاتُــه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل:
مصنفاتُــه.

المطلبُ الثّاني:
وفــاتُــه.

المطلب الأوّل:

مصنّفاتــه

ترك لنا محمّدُ بن يوســـــفَ الكِرْمانيّ ـــ بعدَ رحلةٍ مباركةٍ حافلةٍ بالجدِّ والنَّشاطِ - آثارًا علميَّةً جليلةً؛ تشهدُ بموفورِ علمْه، وسعةِ اطّلاعــه، وتكشفُ عن عالمٍ فذٍّ طرقَ أبوابَ العلومِ وحصَّل ثمارَها؛ فلا تكادُ تجــدُ فنــًّا من الفنونِ المعروفةِ في زمنه إلاّ وله فيه مؤلَّفٌ أَوْ شَرْحٌ أَوْ مختصرٌ.

وفي ظنِّي أَنَّ هذا الرَّجلَ لو خُلِّيَ مَا بينه وبــين التَّــأليف في سِــني انْقطاعِه للتَّدريس لفَاقتْ مؤلَّفاتُه غيرَه ممّن بلغ شأوًا في التَّصنيف.

ومَنْ يَدْري لربَّما كانت مؤلّفاتُه كذلك، لكن عَفَا عليها الــزَّمنُ، وجَارت عليها المصائبُ والنّكباتُ، وبخاصَّة تلك الّتي اتّسم بها عَصْرُه.

ومن المُؤسفِ حقــًّا: أَنَّ تلك المصنّفات - عَلى عظيم نَفْعها وجَليل قَدْرها - لَمْ تعرف طريقها إلى كثيرٍ من طلبةِ العِلْم في عصرنا الرَّاهن؛ فما زَالَ بَعْضُها غائبــًا لا نَعرف عنه شيئــًا إلاّ ما صرَّح به المترجمونَ، ومــا فتئ الآخرُ قابعــًا داخل سُجونِ المخطوطات. هذا إذا اسْتثنينا منْها شرحه لصحيحِ البخاريِّ، فَقَد نَالَ حظَّه من الطَّبع ولَمْ ينل حظَّه من التَّحقيق.

أَمَّا مؤلَّفاته الَّتي ذكرهَا المترجمون له فهي:

١ – « تحقيقُ الفوائد الغياثيّة في المعاني والبيان » (موضوع الدّرس والتّحقيق) وسيأتي الحديثُ عنه مفصّلاً ــ فيما بعدَ ــ إنْ شاءَ الله تعالى.

٢ – « الكَواشفُ البُرهانيَّةُ في شرح المواقف السُّلطانيَّة »[(١)] وهو كما يَظْهر من عنوانه شرحٌ لكتابِ شيخه العَضُد الإيجيِّ الموسوم بـ« المواقف في علم الكلام ».

٣ – «الزَّواهر»[(٢)] -وهو أَيضًا – شرحٌ لكتابِ شيخه العَضُد «الجواهر في أصول الكلام ». وهذا الأَخيرُ مختصرٌ لكتاب «المواقف» المتقدّم.

ويفهمُ من حديثِ تقيِّ الدِّين الكِرْمانيِّ عن مؤلّفاتِ أبيه أنَّ هذه الشّروحاتِ الثّلاثة دوِّنت فيما بينها عَلى التَّوالي؛ وبحسب التَّرتيب المتقدِّم، وهذا ما جَعَلني أُقدّمها عَلى غيرِها؛ فقد نصَّ عَلى أنَّ أوّلَ مؤلّفاتِ والده: شرحُ الفوائد الغياثيّة، ثمَّ قال عقب ذلك مباشرة[(٣)]: « ثمَّ شرحَ المواقف في أصولِ الكَلام، ثمَّ الجَواهرَ في أصول الكلام؛ وهذه الأُصول من مؤلّفات شيخه عَضُد الدِّين »عَلى أَنَّه ينبغي أَنْ لا يغفل أنَّ التَّرتيبَ

---

(١) ينظر تسميته في الضَّوء اللاّمع: (١٠/٢٦٠)، والإشارة إليه في مجمع البحرين: (ج ١: ق ٣)، الدُّرر الكامنة: (٥/٧٨)، بُغْية الوُعاة: (١/٢٨٠)، طبقات المفسِّرين: (٢/٢٨٥)، درّة الحجّال: (٢/٢٥١)، كشف الظُّنون: (٢/١٨٩١)، هديَّة العارفين: (٦/١٧٢)، معجم المؤلّفين: (١٢/١٢٩).

(٢) ينظر تسميته في الضَّوء اللاّمع: (١٠/٢٦٠)، والإشارة إليه في المصادر السَّابقة.

(٣) مجمع البحرين: (ج ١/ق٣).

المشار إليه مقطوعٌ به فيما بين الشُّروحاتِ الثّلاثةِ دون النَّظرِ إلى غيرِها من المؤلَّفات الأُخرى؛ فالعطف بـ(ثمَّ) - كما هُو معلوم - يفيد التَّرتيبَ مع التَّراخي، وليس ثَمَّة مانعٌ يَمْنع أَنْ يكون بين هـذه الشُّـروح مؤلَّـف أَوْ مؤلَّفات؛ يؤكّدُ هذا حديثُ التَّقيِّ نفسه عن مؤلَّفاته والده، إذ قالَ عقبَ قولِه السَّابقِ مُبَاشرة[١]: « ثمَّ شرحَ تفسيرَ البيضاويِّ، ووصل فيها إلى سورةِ يوسفَ فاخترمته المنيَّةُ، وهي آخرُ مصنَّفاته »، ومن المقطوع به أنَّ هنـاك مؤلَّفات أُخرى لشمس الدِّين الكِرْمانيّ لَمْ يَذْكرها ابنُه في سياقِ حديثه.

٤ ـ **النُّقود والرُّدود**[٢]، وسمّاه: « **السَّبعة السَّيارة** »؛ لأَنَّه جمعَ فيه سبعة شروحٍ فالتزمَ استيعابَها، وذُكر أَنَّه أردفها بسبعةٍ أُخرى لكن بغـيرِ اسْتيعاب[٣].

وهو مؤلَّفٌ حافلٌ غنيٌّ في بابه، استوعبَ فيه المصنّفُ جلَّ مسـائلِ أُصولِ الفقْه، ولا يَعيبه إلاَّ التَّكرار[٤].

وقد أحسنت الجامعةُ الإسْلاميّةُ بالمدينةِ النَّبويّة صُنعـاً عنْدما وجَّهت طلابَ الدِّراساتِ العُليا في قِسْمِ أُصولِ الفقه إليه، وشَجَّعتهم عَلى تَحْقيقه.

٥ - « **الكواكبُ الدَّراريّ في شرحِ صحيحِ البُخاريِّ** »[٥].

---

(١) المصدر السَّابق (نفس الجزء والورقة).

(٢) ينظر: المصادر السَّابقة.

(٣) الدُّرر الكامنة: (٧٧/٥)، وينظر: بُغْية الوُعـاة: (٢٨٠/١)، طبقـات المفسِّـرين: (٢٨٦/٢).

(٤) ينظر: الدُّرر الكامنة: (٧٧/٥).

(٥) ينظر تسميته في مقدَّمته للشَّمس الكِرمَانيّ: (٦/١١)، ومجمع البحـرين: (ج ١/ق ٣)، =

وهو الكتابُ الوحيدُ المطبوعُ للمصنّف ـــ كما أَسْلفتُ ـــ، وفي يَقيني أنَّ شُهْرَته من جهةٍ وارْتباطَه بعلمِ الحديثِ من جهةٍ أُخرى هُمَا اللَّذان وجَّها الأَنْظار إليه ولفتا ـــ بعدَ ذلكَ ـــ إلى طَبْعه.

وقد نصَّ التَّقيُّ الكِرْمانيّ أنَّه « كَمَّله بمكّةَ سنة خَمْس وسَبْعين (أَيْ: بعدَ السَّبعمائة) حين مجاورته بها قُبَالةَ الرُّكنين اليَمَانيَّين »[(١)].

٦ – **أُنموذجُ الكشَّاف**. وهو تعليقاتٌ عَلى كشَّافِ الزمخشريِّ، ونصَّ عَليه ابنُه[(٢)].

٧ – **عقائدُ عضُد الدِّين**. ونصَّ عليه ابنُه[(٣)].

٨ – **رسالةٌ في كافيةِ ابن الحاجب**. ونصَّ عليها ابنُه[(٤)].

٩ – **رسالةٌ في التَّصوير والتَّصديق في المنطق**. ونصَّ عليها ابنُه[(٥)].

١٠ – **رسالةٌ في مَسْأَلة الكُحل**. ونصَّ عليها ابنُه[(٦)].

١١ – **أسئلةٌ واعْتراضَاتٌ عَلى شرحِ القُطب التَّحتانيّ للمَطَالع في المَنْطق**[(٧)].

= الدُّرر الكامنة: (٥/٧٧)، وغيرها. وانظر الإشارة إليه في بقيّة المصادر.

(١) مجمع البحرين (ج ١/ ق ٣).

(٢) مجمع البحرين (نفس الجزء والورقة)، وينظر جلّ المصادر السَّابقة.

(٣) المصدر السَّابق (نفس الجزء والورقة).

(٤) المصدر السَّابق (نفس الجزء والورقة).

(٥) المصدر السَّابق (نفس الجزء والورقة).

(٦) المصدر السَّابق (نفس الجزء والورقة)، وينظر جلّ المصادر المتقدّمة.

(٧) الضَّوء اللاّمع: (١٠/٢٦٠).

١٢ – ذَيْلُ مَسَالك الأبصار في التّاريخ[١].

١٣ – شرحُ أَخْلاقِ عَضُد الدِّين[٢].

١٤ – ضَمَائرُ القرآن[٣].

١٥ – حاشِية عَلى تَفسير البَيْضَاويِّ، وتقـــدَّم – عَلى لسانِ ابنه – أنَّه آخرُ مصنَّفاته، وأَنَّ المنيَّةَ اخْترمته قَبْل أن يُتمَّه؛ حيثُ وصـــلَ فيـــه إلى سُورةِ يُوسُفَ[٤].

(١) هديَّة العارفين: (١٧٢/٦).

(٢) المصدر السَّابق: (١٧٢/٦).

(٣) الأعلام: (١٥٣/٧).

(٤) ينظر نصُّ قول ابنِه عنه ص (٩١)، وينظر جلّ المصادر المتقدّمة.

المطلب الثّاني:
وفـــاتـــه

اتّفقت كلمةُ المُترجمين لشَمْس الدِّين محمَّد بن يوسفَ الكِرْمانيِّ عَلى أَنَّه توفِّي بكرةَ خميسِ السّادسَ عَشَرَ من الشَّهر المحرَّم سنة سِـــتّ وثمـــانين وسبعمائة من الهجرة في طريق عَوْدته من الحجِّ[١].

ولوصيّةٍ كان قد أَوْصى بها نَقَله ابنُه التَّقيُّ إلى بغدادَ ودَفنه بموضـــع كانَ قد اخْتارَه في حياتِه بقربِ أبي إسحاق[٢] الشِّـــيرازيِّ وغـــيرِه مـــن العُلماءِ[٣].

رحمه الله، وأسكنه فسيحَ جنّاته !.

---

(١) ينظر: مصادرُ ترجمته المتقدّمة.

(٢) هو / إبراهيمُ بن عليٍّ بن يوسف الفيروزأباديّ الشِّيرازيّ، ولـــد ســـنة (٣٩٣هـ)، وتتلمذ على علماء شيراز والبصرة وبغداد، حتَّى تفرَّد بالعلمِ الـــوافر مـــع السِّـــيرة الجميلة؛ كان زاهدًا، ورعـــًا، متواضعـــًا، ظريفـــًا، طلقَ الوجه، قويَّ الحجّة، مليح المحاورة؛ له عدَّة مصنَّفات؛ منها: « التّنبيه »، و«المهذّب » في الفقه، و«التّبصرة » في أصول الشَّافعيَّة. تُوفِّي سنة (٤٧٦هـ).

ينظر في ترجمته: الأنساب للسَّمعانيِّ: (٩/٣٦١ ــ ٣٦٢)، الكامل لابـــن الأثـــير: (٨/٤٣٢)، وفيات الأعيان: (١/٥٥ - ٥٨)، تهذيب الأسماء واللُّغـــات للنّـــووي: (٢/١٧٢ - ١٧٤)، سيرُ أعلامِ النُّبلاء: (١٨/٤٥٢ - ٤٦٤).

(٣) ينظر ما قاله ابنُه عن وفاتِه في مجمع البحرين (ج ١/ ق ٣).

الفَصلُ الثّاني :

التَّعريف بكتاب « تحقيق الفوائد »

وفيه أربعةُ مباحـــث :

المبحث الأوَّل :

اسمُ الكتابِ، وتوثيقُ نسبته للمؤلّف،

ومنهجُ المؤلّف فيه

المبحث الثَّاني :

مصادرُ الكتابِ وشواهدُه .

المبحث الثَّالث :

تقويم الكتاب .

المبحث الرَّابع :

وصفُ مخطوطاتِ الكتابِ ومنهجُ التَّحقيق

المبحث الأَوَّل :

اسمُ الكتابِ، وتوثيقُ نسبتهِ للمؤلّفِ، ومنهجُ المؤلّف فيه

وفيه ثلاثةُ مطالب :

المطلب الأَوَّل :

اسمُ الكتابِ.

المطلب الثَّاني :

توثيقُ نسبتِه للمؤلِّف.

المطلب الثَّالث :

منهجُ المؤلِّف فيه.

المطلب الأوّل :

اســـم الكتـــاب

لم يكُن أَمامي بدٌّ - وأَنـــا أنشـــدُ تحقيقَ عنوانِ الكتاب ـــ من سلوكِ منهجِ الاسْتقراءِ والتَّقصِّي لكلِّ ما من شَأنه أَنْ يصلَ بي إلى حقيقةٍ قاطعةٍ أطمئنُّ إليها في وسمِ الكتاب بعنوانه الّذي سَمَّاه به صاحبُه .

وفي سبيلِ ذلك تتبّعتُ جميعَ كتبِ التَّراجمِ الّتي تَرْجمت للمؤلِّف وأَشارت من قُربٍ أو من بعدٍ إلى مؤلَّفاته . كما تتبّعتُ جلَّ الفَهَارسِ البلاغيَّة، بلْ وغيرِ البلاغيَّة تحسّبـــًا لما قَدْ يقعُ فيه بعضُ المفهرسين من إيرادِ الكتابِ في غير فنِّه . كما حرصتُ على الاطّلاع على الكُتب البلاغيّة الّتي جاءت عَقِبَ كتابِ المؤلِّف وبخاصَّة تلك الّتي عُنيت بشرحِ الفَوائد الغياثيّة، فربَّما وجدت في إحداها عبارةً صَريحة أَوْ إشارةً عابرةً تكشفُ عن اسمِ الكتابِ مما هو واقعٌ متحقّقٌ في حالاتٍ كَثيرة، عند غالبِ المصنِّفين الّذين يُصرِّحون في كُتبهم بأَسْماء كتبٍ أُخرى نَقَلوا عنها.

كمَا أنَّني - قَبلَ هَذا وذَاك - استعرضتُ ما وقعَ بين يديَّ من كتبِ المصنِّف وآثارِه، ناهيكَ عن كتابِه الّذي بين يديّ ونُسَخه المتعدّدة وكلُّ ذلك بغيةَ الاهتداءِ إلى أيِّ خيطٍ يقود إلى الاسم الحقيقيِّ للكتاب!!.

والحقَّ أقولُ : إنّني - بعد خَوْضي تلك التَّجْربة الشَّاقَّة - ظفرتُ بثلاثةِ عنوانات لا رابعَ لها، وهي على النَّحو التَّالي :

١ – شرحُ الفوائدِ الغياثيَّة .

وعَلَى هذه التَّسْمية أَغلبُ من تَرْجم له ممَّن ذكرَ مصنّفاته[١] . وإليها يُشيرُ بعضُ شرَّاحِ الفَوائد الآخرين عندما يُحيلونَ إلى الكتابِ، وهو العنوانُ الَّذي أُثْبت على الورقةِ الأُولى من النُّسخة « الأصل »، وكذا بقيةِ النُّسخِ الأُخرى .

٢ – التَّحقيقُ في شَرْحِ الفَوائد الغيَاثيّة .

وانْفردَ به صاحبُ هديَّة العَارفين[٢].

٣ – تحقيقُ الفَوائد .

نصَّ عليه صاحبُ كَشْف الظُّنون[٣]. وقَبْله صاحبُ تاريخِ آل مُظَفَّر[٤]، وهو الواردُ برفقةِ العنوانِ الأَوَّل على ظهر الورقةِ الأَولى من النُّسخة التركية؛ الموجود أصلها في مكتبة شهيد .

وبعدَ إمعان النَّظر وإِعْمال الفكرِ ترجَّح عِندي العنوانُ الأخير؛ وذلك للأَسْباب الآتية :

---

(١) ينظر : ما نقله محقّق الدّرر الكامنة عن إحدى نسخ الكتاب في هامش رقم (١) : (٧٧/٥)، بغية الوعاة : (٩١١)، مفتاح السّعادة : (٢١٣)، طبقات المفسّرين : (٩٤٥)، ذيل وفيات الأعيان المسمّى « درّة الحجال في أسماء الرّجال »: (٢٥٢) .

(٢) (١٧٢/٢) .

(٣) (١٢٩٩/٢) .

(٤) (٢٩٠/٢)، وهو باللّغة الفارسيّة .

١ - أنَّ العنوانَ الأَخيرَ «تحقيقَ الفوائد» نصٌّ صريحٌ في التَّسمية؛ ورد في مصادر مُتقدِّمة لصيقة بالمؤلِّف؛ كما هُو الحال في تاريخ آل مُظفَّر، أَوْ متخصِّصة في أسماء المؤلَّفات؛ كما هُو الحال في كَشْف الظُّنون. فالأَخذُ عنها أَوْلى وأَدقُّ، ثمَّ إنّ من حَفظَ حجّةٌ على من لَمْ يحفظْ.

٢ - أنَّ العنوانَ الأَوَّل «شرح الفوائد» أَقْربُ إلى الوصف منْه إلى التَّسمية، وكثيرٌ من الكتب المَشْهورة تُنْعت بوصْفها، فيكونُ طاغيًا على التَّعريف بها مع وجود أسماء حقيقة لها. منْها - على سَبيل المثال - : «الكَواكبُ الدَّراري في شَرح صحيح البُخاريِّ» للكرمانيِّ نفسه؛ فعلى الرَّغم من أَنَّ الكرمانيّ نصَّ على اسْمِ الكتاب صراحةً في مقدِّمته[1] إلاَّ أَنَّه اشْتَهرَ بين النَّاس بوَصْفه، حيث يَقُولون «شرحُ صحيحِ البخاريِّ» للكرمانيِّ، أو «شرح الكرمانيِّ على الصَّحيح».

٣ - ليس من عادة الكرمانيِّ في مؤلَّفاته تَرْكَها بلا تَسْمية أو تسميتها بـ«شَرْح ...»، بل إنَّه يحرصُ على تَسْميتها بأَسْماء مميِّزة لها، فَهُو يعرفُ تمامَ المعرفة أَنَّه في عصرٍ يغصُّ بالشّروح. وتركَها هَكَذا في إطار الوَصف لا يَضْمن تمييزها أَوْ حتَّى نسبتها إلى غير صاحبها. ولذَا نجده يُسمِّي شرحَه لصَحيح البخاريِّ بـ«الكواكب الدَّراريِّ». ويسمِّي شَرْحه للمواقف: «الكواشفُ البرهانيَّةُ في شرح المواقف السُّلطَانيَّة»[2]، ويسمِّي شرحَه للجواهر في أُصول

(١) ينظر مقدّمة شرحه للصّحيح: (١/٦).
(٢) الضّوء اللاّمع: (١٠/٢٦٠).

الكلام بـــ« الزَّواهر »[١].

٤ – جاءَ في الورقة الأولى من النُّسخة التُّركيّة الموجود أصلها في مكتبة شهيد، (إحدى النُّسخ الّتي لم أَعْتمدها في تحقيقِ الكتاب لأَسْبابٍ سوف أُوردها فيما بعدُ) ما نصُّه: « كتابُ شرح الفوائد الغياثيَّة، وسمَّاه بـــ« تحقيقِ الفوائد » وسُطِّر أسفل منه عبارة « صحَّ أنَّ الشَّارحَ للفوائدِ شارحُ صحيحِ البخاريِّ، وهو مولانا العلاَّمةُ شمسُ الدِّين بن محمّد بن يوسف الكرمانيِّ الشَّافعيِّ ـــ رحمة الله علينا آمين ـــ . وسمَّى هذا الشَّرحَ في إجازةٍ أجازَ بها بتحقيق الفوائد بخطِّه » .

ونحنُ إنْ لم نَقِفْ على تلك الإجازةِ الَّتي حَظِيت باسم الكتاب إلاَّ أنَّنا نَطْمئنُّ إلى العبارةِ السّابقة، ونَرى أنَّها تقومُ مقَامَها وبخاصَّة أَنَّها كُتبت بنفس الخطِّ الَّذي سُوِّد به الكتاب، وهو خطٌّ قديمٌ أُرجِّحُ أنَّه كُتبَ في عصرِ المؤلِّف أو قريبـــاً منه؛ كمَا يؤكّدُه نوعُ الورقِ والتَّمليكات الَّتي سُجِّلت على المَخْطوط .

٥ – أَمَّا العنوانُ الثَّاني : « التَّحقيـــقُ في شـــرحِ الفوائد » فَيُستَأنسُ به في صِحَّةِ العنوانِ الثَّالث . ولا يَقْوى مُنَاهضـــاً له، لتأَخُّر البغداديِّ (ت ١٣٣٩هـــ) وانْفراده به . واليقينُ أَنَّه تصرَّفَ فيه اخْتصارًا، جَرْيـــاً على عادة بعض المترجمين في إيراد أَسْماء بعضِ الكُتب.

وبذا نختمُ المبحثَ، مطمئنّين إلى أَنَّ اسمَ الكتابِ هو « تحقيقُ الفوائدِ».

---

(١) المصدر السّابق : (١٠/٢٦٠) .

المطلبُ الثّاني :

توثيقُ نسـبته للمؤلِّف

بلا أَدْنى شكٍّ أستطيعُ القولَ بأنَّ تحقيقَ الفوائد مؤلَّفٌ لشمس الدِّين محمّد بن يوسف الكرمانيِّ . لا يُنازعه فيه مُنازعٌ، ولا يَنْفيه عنه حاسدٌ .

وقد تَأكَّد ذلك من أَوْجه عدَّة؛ منها ـــ إضافةً إلى ما تقدَّم في المبحث السَّابق ما يَلي - :

١ - نصَّ الكرمانيُّ نفسُه على ذَلك في أَوَّل كتابه في نُسْخَة (أ) المُعْتمدة، والنُّسْخَتين التّركيّة والإيرانيّة المُهْملتين؛ حيثُ قَال : « ... وبعدُ؛ فيقولُ العبدُ؛ أصغرُ عباد الله - تعالى - محمّدُ بن يوسف الكرمانيُّ أَعْلى الله مترلَه، ومنْزلَته في المَنْزلَين ... قالَ الأُسْتاذُ ... ».

٢ - نصَّ ابنُ الكرمانيِّ « يحيى » - أَيْضـــًا - على ذلك؛ حيثُ قَالَ في مقدمة كتابه « مجمع البحرين »؛ في أثناء حديثه عن والده[1]: « وله تصانيف مُفيدة؛ منها شرحُ البخاريِّ، وسمَّاهُ بالكواكب الدّراري ... وله شرحُ الفوائد الغياثيَّة في المعاني والبَيان، وهو أَوَّل مصنَّفاته، ثمَّ شرح ... ».

وقالَ - أيضـــًا - في تَقْريظ مقتضب كتبَه بخطِّ يده على ظَهْر الورقة الأُولى من النُّسخة الَّتي اعتمدتُها أَصْلاً لكتاب « تحقيق الفوائد »؛ مُنوِّهـــًا بشيخ والده الإيجيِّ ومؤلَّفاته . قالَ : « وله شرحُ المختصر لابن الحاجب وهو أحسنُ شروحه وأَشْكلُها، وقد نَقَّحه والدي؛ الشَّارحُ للفوائد المذكور أَعْلاه (إشارة إلى عنوان الكتاب) » .

---

(١) « مخطوط » (جـــ ١/ ق ٣) .

٣ ــ أنَّ اسمَ شمسِ الدِّين محمّد بن يوسف الكرمانيِّ ذُكرَ برفقةِ عنوانِ الكتابِ على غلافِ كلِّ نسخةٍ من نُسخ المخطوط الّتي وقَفْتُ عليها .

٤ ــ وجودُ بعضِ نصوصِ الكتابِ أو آرائه الخاصَّة في كتبِ المتأخِّرين وعَلى وجهِ الخُصوصِ شُرّاحِ الفوائدِ؛ منسوبةً إلى شمسِ الدِّين الكرمانيِّ صراحةً، أو كنايةً؛ كقوله : « قال بعض الشُّرَّاح من تلاميذ المصنِّف »ممّا يدلُّ دلالةً قويّةً على أنَّ الكتابَ له .

من ذلك قولُ طاش كبرى زَاده في شَرْحِه للفوائد الغياثيَّة[1]: «قال الكِرمانيّ في شَرْحه : (والحملية - بالحاء المهلمة - هو المناسبُ لقوله فبالحمل . وبالجيم هو المناسب لاصْطلاحاتِ الفَنِّ - كما سيأتي - وكلٌّ منهما قُرئ على الأُسْتاذ؛ هذا كلامه » .

وهذا الكلامُ بعينه موجودٌ ضمنَ كتابِ صاحبِنا[2].

٥ ــ لم أَجدْ ــ فيما وقفتُ عليه ــ من فهارسَ؛ نَقلَت شَيئـًا من أوّل الكتابِ وآخره أو مصادر عُنيت بالمؤلِّف أَوْ كُتبِه من ينسبُ هذا الشَّرحَ لغيرِه من العلماءِ مع كثرةِ الشُّرَّاح وتَقَاربِ الشُّروح .

وبذا نَختم المبحثَ مُطْمئنّين إلى أَنَّ صاحبَ « تحقيق الفوائد » هو شمسُ الدِّين محمَّد بن يوسف الكرمانيّ .

---

(١) ص : (٤٤٩) قسم التّحقيق . وانظر مواضع أخرى في الكتاب نفسه صرّح فيها بالكرمانيّ أو كنّى عنه؛ منها - على سبيل المثال - : ص (١٦، ٤٧، ٥٧، ٥٩) .

(٢) راجع ص : (٤٤٩) من قسم التّحقيق .

المطلبُ الثّالثُ :

مَنْهج المؤلِّف فيه

لَمْ يشــر شَمْسُ الدِّين الكــرمانيُّ ــ على غيرِ عَادته في بعضِ مقدِّمات كُتبه - إلى المَنْهج الّذي سَلَكه في تَأليف كتابه « تحقيق الفوائد» وبخلاف ما دَرَج عليه المُصنِّفون في الغَالب من تَنْميق المقدِّمات وتَحْبيرها نَراه عَجِلاً إلى الالتحام بكلام شَيخه الإيجيّ «صاحب المُختصــر» فإنَّك لا تَكادُ تَتَجاوز السَّطرين حتَّى تجدَ نَفْسكَ وجهــًا لوجهٍ أَمام الإيجيّ مُسْلمــًا له العنانَ في رحلة طويلة تبدأ من مبتدأ الكتاب وتنتهي بنهايته .

وقَدْ تَتَساءلُ كيف يكونُ ذلك ونحنُ أمامَ كتاب للكرمانيّ لا للإيجيّ ؟!

وهُنا أقولُ : لقد أظهرَ الكرمانيُّ قــــدرةً فــائقــةً في الدَّمج بين كتابه « تحقيق الفوائد » وكتاب شيخه « الفوائد الغياثية » حتَّى صارا كأنهما كتاب واحد؛ وكلُّ ذلك من غيرِ أن يغمطَ شيخَه حَرفــًا واحدًا من كتابه . وأسوقُ للدِّلالة على ذلك النَّصَّ التَّالي[1]:

« **الثّامنُ : إتباعُ الاستعمال**؛ فإنَّه إذا كانَ الاستعمالُ واردًا على الحذف منه أَوْ من أمثاله ونظائره ــ كمَا قالَ في المفتاح ــ وقامت القرينَة لابُدَّ من حذفه؛ **كما في** : (**نعم الرّجل زيدٌ** !)؛ على قول من يَرى أَصلَ الكلامِ « نعم الرَّجل هو زيد » وكمَا في : « **ضَرْبي زيدًا**

(١) قسم التّحقيق ص : (٢٩٥-٢٩٧) .

قَائمـــاً » فإنَّ التَّقدير – على الأَصحّ –: « ضربي زيدًا حاصلٌ إذا كانَ قائمـــاً »، وكمَا في قَوْلهم : (**سقـــيا**)، إذ التَّقـــدير : « **سَقَاك الله سقيـــاً** »، وكَذا : (**عجبـــاً**) إذ التَّقدير : عَجِبتُ عجبـــاً، وكما في قولها : « **إلاَّ حَظيَّةٌ فَلا أَليَّةٌ** » .

فالكَلامُ المكتوبُ بالخطِّ المثقَّل للإيجيّ؛ أي : كتاب « الفَوائد الغياثيّة» والكلامُ المكتوب بالخطِّ المخفَّف للكرمانيِّ؛ أي : كتاب « تحقيق الفوائد». وكَمَا هو ملاحظٌ تحقَّقَ الرّبطُ بينهما بعناية فائقة يَتعذَّرُ معها – لولا مغايرة حجـــم الخطِّ – التَّمييزُ بَيْنهما[1] . كَمَا يظهرُ في الوقت نفسه مثولُ نصِّ الإيجيِّ كما هو بقضِّه وقَضيضه بحيث يمكنُ قراءة مختصرِه كاملاً بلا أدنى زيادةٍ أو نَقْصٍ؛ ولك أَنْ تتحقَّق من ذلك بقصرِ النَّظرِ على قراءةِ الخطِّ المثقَّل .

وإذا كانَ الأمرُ كذلك فإنَّ كلا الكتابين يَنْضويان تحت أَرْوقة المدرسة السَّكَّاكيَّة، فالإيجيّ « لَمْ يخلّ بالأَصلِ الَّذي اختصرَه فقد أَوْفى على الأَفكارِ الرَّئيسة المَوْجودة في المفتاح وشَفعها بالأَدلَّة المَنْطقيَّة والفَلْسفية اتّباعـــاً لأَصْله ...، بل ربَّما فاقَ السَّكَّاكيَّ في الإلحاحِ على الجدلِ الفَلْسفيّ »[2]. والكَرمانيُّ التزمَ بكتاب شيخه واعتمدَ خطّته، وحتَّى عندما شَرَعَ في فكِّ رمُوزِه وتَفْصيلِ مُجْمله لَمْ يغبْ عنه أَصْله أيضـــاً .

---

(١) ومن هنا تنبّه النُّسَّاخ إلى أهمّيّة التّمييز بين الكتابين؛ فعمدوا إلى المداد الأحمر وكتبوا به نصّ الإيجيّ، والمداد الأسود وكتبوا به نصّ الكرمانيّ .

(٢) الفوائد الغياثيّة؛ قسم الدّراسة، د/ عاشق حسين : (٣٧) .

وكمَا هو معلومٌ فإنّ المدرسةَ السَّكّاكيَّة تعتمدُ على التَّقعيدِ والتَّنظيمِ، حيثُ التَّعريفاتُ، والتَّقسيماتُ، والتَّفريعاتُ، والتَّعليلاتُ، وإخراجُ المُحْترزاتِ، وتوهمُ الاعتراضاتِ، ودفعُ الاحتمالاتِ . وكلُّ ما يمكن أَن يُسْهِمَ في ضبطِ الدَّرسِ البلاغيِّ وحصرِه في إطارٍ محدَّدٍ واضحٍ .

هذا ما يتعلّقُ باتجاه الكتاب البلاغيِّ ومشربه العامِّ، أمَّا إذا نَظرنا إلى التَّفصيلات الدَّقيقة فإنّ منهجَه يتَّضحُ بالمعالِم الآتية :

١ - سارَ الكرمانيُّ في كتابه على الخطِّ نَفْسِه الَّذي رسمَه الإيجيُّ في كِتابه؛ حيثُ بناهُ على مقدّمةٍ وفَصْلين وذَيل .

جعلَ الفصلَ الأوّل في علمِ المعاني والكلامِ في الخَبر والطَّلب . وقَسَّمهُ إلى قَانُونَين، جعلَ القَانونَ الأَوَّلَ في الخبرِ . وقَسَّمه إلى فنون :

الفنُّ الأَوَّلُ : في الإسناد .

الفنُّ الثَّاني : في المسندِ والمُسندِ إليه، والكلامِ في الحذفِ والإثباتِ، وفي التَّعريفِ بأَنواعه، والتَّنكير، وفي التَّوابع . وقَسَّمه إلى أَنْواع :

النَّوعُ الأَوَّلُ : في الحذفِ والإثباتِ .

النَّوعُ الثَّاني : في التَّعريفِ بأَقسامه والتَّنكير .

النَّوعُ الثَّالثُ : في التَّوابع .

الفنُّ الثَّالثُ : في وضعِ الطَّرفين كلٌّ عند صاحبه، والنَّظرِ في التَّقديم والتَّأخير وفي الرَّبط وفي القصر . وقسَّمه إلى أَنْواع :

النَّوعُ الأوّلُ : في التَّقديم والتَّأخير .

النَّوع الثَّاني : في الرَّبط .

النَّوع الثَّالث : في القَصْر .

الفنُّ الرّابعُ : في وضعِ الجُملتين والكلام في الوصل والفَصْل وفي الإيجازِ والإطْناب وفي جَعْل إحداهما حالاً . وقسمَّه إلى أَنْواع :

النَّوعُ الأوَّل : في الفصلِ والوَصْل .

النَّوعُ الثَّاني : في الإيجازِ والإطْناب .

النَّوعُ الثَّالثُ : في جَعْل إحدى الجُملتين حالاً .

وجعل القانون الثَّاني في : الطَّلب .

أَمَّا الفَصْلُ الثَّاني فَعَقَده : في علمِ البيانِ . وأداره على أُصولٍ أَرْبعة :

الأَصْل الأَوَّل : في التَّشبيه . وتَناوله بالحديثِ في أَنواعٍ خَمْسة .

النَّوعُ الأَوّل : في الطَّرفين .

النَّوعُ الثَّاني : في وجْه التَّشبيه .

النَّوعُ الثَّالث : في غرضِ التَّشبيه .

النَّوعُ الرَّابع : في حال التَّشبيه .

النَّوعُ الخَامس : في صيغة التَّشبيه .

الأَصلُ الثَّاني في : المجاز . وقسَّمه إلى نوعين :

ما كان التَّصرّف فيه باللّفظ . وله أَقْسام .

ما كان التَّصرّف فيه بالمعنى . وله أَقْسام .

الأَصْل الثَّالث : في الاسْتعارة . وتَناوله من خِلال :

مُقَدّمة .

تَقْسيماتٍ .

خَاتمَة

الأَصْلُ الرَّابعُ : في الكِناية . وقسَّمها إلى ثلاثةٍ :

ما كانَ المقصودُ بها الموصوفَ نفسَه .

ما كانَ المقصودُ بها الصِّفةَ نفسَها .

ما كانَ المَقُصودُ بها اخْتصاصَ الصِّفة بالموصُوف .

أمّا الذَّيل فَعَقَده في علمِ البَديعِ . وجَعَله قِسْمين :

معنويّ . وذكرَ من أَصْنافه :

المطابقةَ .

الْمُقَابَلةَ .

الْمُشَاكلةَ .

مُراعاةَ النَّظير .

المُزَاوجة .

اللَّف والنَّشر .

الجَمع .

الفَرق .

الجمعَ مع التَّفريق .

الجمعَ مع التَّقْسِيم .

التَّقسيمَ مع الجَمع ... .

الجَمْعَ مع التَّفريقِ والتَّقسيم .

الإِيهامَ .

التَّوجيه .

الاعْتِراض .

التَّجاهل .

الاسْتتباع .

لفظيّ . وذكرَ من أَصْنافه :

التَّجْنيس .

ردَّ العجزِ على الصَّدر .

القَلب .

السَّجع .

التَّرصيع .

وفي تَضَاعيفِ هذه الفصولِ والقَوانينِ والفُنونِ والأَنواعِ ساقَ كثيرًا من التَّنبيهاتِ والتَّذنيباتِ والخَواتيمِ؛ إتمامـــًا للفائدةِ ومَزيدًا للإيضاحِ وإِن شَابها – أحيانـــًا – بعضُ النَّظرات الفَلْسفيَّة .

٢ – نثر الكرمانيُّ كتابَ شيخه داخلَ كتابه – كما أسلفتُ – حيث يورد أَحْرفـــًا، أَوْ كلمات، أَوْ جُملاً، أَوْ عِبارات من المُخْتصر ويَصلُها بكلامه من غيرِ أَن يخرجَ بها عن مرادِ صاحبِ المُختصر ومقصده العامِّ، ولكي يخرجَ الكتابُ متَّصلاً في سياقٍ واحدٍ لم يجدْ الكِرمانيّ مناصـــًا من الآتي :

أ - التّمهيد لعبارات المُخْتصر قبلَ إيرادها بعبارات من عنده حتَّى إذا ما الْتحَمت بها ظهرَ السِّياق مُنْسجمًا وكأنَّه لشخصٍ واحدٍ كقوله[١] : « فالأوّل؛ **كقوله : وقالَ إنّي في الهوى كاذبٌ** ... » .

ب - فَصْل الجملة الواحدة وإعادة رَبْطها بعد إضافة ما يوضِّح مَعْناها بما يتَّسق معها من المُفْردات والجُمَل كقوله[٢] : « **وعلمُ البيان : معرفةُ مراتب العبارات** الدَّالّة على معنى واحدٍ **في الجلاء** » .

جـ - التَّعقيب على عبارات المُخْتصر بعد إيرادها بعبارات مُتَمِّمة لها كَقَوله[٣]: « **الرَّابع : (مثلُك لا يَبْخل)**، و**(غَيْرك يَبْخل) التُزم فيهما التَّقديم للتَّقوية**؛ لأَنَّ بناءَ الفعْل عَلَى المبتدأ أَقْوى للحُكمِ ... » .

د - الإكْثار من (أَيْ) التَّفْسيريَّة، والجُملِ الاعْتراضيَّة بين الشَّرحِ والمَشْروح عَلى أَنَّهما لَمْ يحدثا في السِّياق انْقطاعًا لاتِّسام الكتَابين بهما عَلَى حدٍّ سَواء . نَحْو[٤] : « **فـ(ما ضربت إلاَّ زيدًا)**؛ **أَيْ : أَحدًا**، أي : يُقَدر (أحدًا) مَفْعولاً لقَوله (ضَربت) لأَنَّه عامٌّ مناسبٌ للمُسْتثنى في الجنس والوَصْف، و**(إلاَّ راكبًا)**؛ **أَيْ : عَلَى حال**؛ أي : ما ضَربتُ على حالٍ إلاَّ راكبًا والمقدَّر فيه ذلك لمُناسَبته له . و**(إلاَّ تَأديبًا) أي: لغرضٍ**؛ أي : مَا ضَرَبْتُ لغرضٍ إلاَّ تَأديبًا » .

---

(١) ص (٥٣٩) قسم التّحقيق .

(٢) ص (٢٢٩) قسم التّحقيق .

(٣) ص : (٤٤٢) قسم التّحقيق .

(٤) ص : (٥١٤) قسم التّحقيق .

وأخيرًا يَنْبغي أَنْ أُشير إلى أنّ الكتابَ لَمْ يجرِ على وتيرةٍ واحدةٍ من الاتِّصال، بل التَّمازجُ هو السِّمةُ الغَالبةُ والطَّابع العامُّ . وهناك مواضعُ متفرِّقةٌ في الكتاب يبدو فيها الانْفصال واضحًا حيثُ يعمدُ الشَّارحُ إلى إيراد جملةٍ من المُخْتصر ويعقبها بكلامٍ مُسْتأنف يشرحُها . وكَثُر هذا المَسْلك عند شرحِ المُفْردات الغَريبة والتَّعليق على الجملِ البليغة؛ الأمر الَّذي يحتِّمُ عليه قطعَ اتِّصال المعلومة ليَشْرعَ فيما هو أهمّ – وهو إيضَاحُها – . ومن ذلك قولُه في أَوَّل الكتاب[1]:

« **الحمدُ لله الَّذي خلقَ الإنْسانَ** . الحمدُ : الثَّناءُ على الجَميل عَلى جهة التَّعظيم، وهو باللِّسان وحده . والشُّكر ... **أَلْهمه المَعَاني وعلَّمه البَيانَ**؛ فيه من حسنِ المَطْلعِ وبراعةِ الاسْتهلالِ ما لا يَخْفى . **والصَّلاةُ عَلَى نبيِّه محمَّد** ... » .

٣ – حرصَ الكرمانيُّ على إيضاحِ عباراتِ المُخْتصرِ الغَامضةِ وشَرْحِ مفرداته الغَريبة، وكَثُر تعرّضُه للغريب في مقدِّمةِ الكتاب، وعُقَيب الشَّواهد الشِّعريَّة .

٤ – اعْتَنى الكرمانيُّ بتوثيقِ الأَقْوالِ، ونسْبتها إلى قَائليها في الغَالب. وهو إنْ لَمْ يجمعْ بين الكتاب وصَاحبِه فإنَّه يَذْكرُ أَحدَهما .

فمثالُ ما جمعَ فيه بَيْن الكتاب وصاحبه قولُه[2]: « قَالَ الشَّيخُ في دلائلِ الإعْجاز ... »، وقولُه[3]: « وقالَ الزَّمخشريُّ في الكشّاف ... » .

(١) ص : (٢٠٧-٢٠٩) قسم التّحقيق .
(٢) ص : (٢٣١) قسم التّحقيق .
(٣) ص : (٦٩٢) قسم التّحقيق .

ومثال مَا ذكرَ فيه اسم الكتاب وحده؛ قولُه[١]: « قالَ في الإِيْضاح ... »، وقولُه[٢]: « قَالَ في المِفْتاح ... » .

ومثالُ ما ذكرَ فيه صاحب الكتاب وحده قولُه[٣]: « كَمَا قالَ ابنُ الحاجب ... »، وقولُه[٤]: « وقالَ السَّكّاكيُّ ... » .

ويلحظُ - في هذا الصَّدد - أنّه أكثر النّقل عن السّكّاكيّ، وشيخه الإيجيِّ، والزَّمخشريِّ، والجُرجانيِّ، وابنِ الحاجبِ، والقَزوينيِّ . وصرَّح بمؤلّفاتهم .

٥ - يَنْزعُ الكِرمانيُّ - أحيانـــًا - إلى الاسْتطرادِ في إيضاح بعض مَا يَعْرضُ من ألفاظٍ غَريبة أو شواهد سَواءٌ أكانت قُرآنية أَمْ شِعريَّة أَمْ أمثالاً .

ومنْ أَمثلةِ ذلك استطراده في تَفْسيرِ قولِه تَعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ قال[٥]: « **ونَظِيرُه ... قولُه تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾**؛ أَثْبتَ الرَّميةَ لرسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم؛ إِذْ هو الرَّامي بحسبِ

---

(١) ص : (٧٦٦) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٣٩١) قسم التّحقيق .

(٣) ص : (٤٧٥) قسم التّحقيق .

(٤) ص : (٨١١) قسم التّحقيق .

(٥) ص : (٢٧١) قسم التّحقيق .

الصُّورة، ونَفَاها عنه بحسبِ التَّأثير إذ لا مُؤثِّر إلاَّ الله، ولا سيَّما في الأَثر العَظيم الَّذي ليسَ في قوّة البَشر، روي أَنَّه – عَليه السَّلام – لَمَّا طَلَعت قريشٌ قَالَ : « هذه قريشٌ قد جَاءت بخُيلائها وفَخْرها يُكَذِّبون رسولك : اللَّهم أَسأَلك مَا وَعدتَّني ! »، فأَتاه جبريلُ فقالَ : خُذ قبضةً من تراب فَارْمهم به، فقَال النَّبيُّ – عليه السَّلام – لعليٍّ – رضِي الله عنه – لَمَّا التقَى الجمعانُ : « أعطني قبضةً من الحصبان »، فَرمى بها في وجوههم، وقال: « شَاهتِ الوُجوه »، فلم يبق كافرٌ إلا شُغل بعينه فانْهزَموا » .

– حَرِص الكرمانيُّ على ضَبْط كثيرٍ من الأسماء الغَريبة وبعضِ الأَلْفاظ الملْبسة سواءٌ في ذلك الواردة في شَرْحه أَمْ في المُخْتصر . فمن ذلك قولُه[1]: « **وفي أبيات ابن حجر** الكنديِّ – وهو امرؤُ القَيس؛ بالحاءِ المُهْملة المَضْمومة ثمَّ الجيم ... » .

وقولُه[2]: « الأَثْمُد – بفتحِ الهمزة، وضمِّ الميم – : مَوْضع » .

وقولُه[3]: « **أَو لأَنَّه لَما دهش** ـ بكسر الهاءِ – **عَنْ مُقْتضى الظَّاهر**».

– حرصَ الكرمانيُّ على إتمامِ ما اخْتصرَه الإيجيُّ من الشَّواهد القُرآنية أَوْ الشِّعريّة . مُقْتصرًا على موضعِ الشَّاهد أحيانـــًا . ومتجاوزًا ذلك إلى نهايةِ الآيةِ، أَوْ ذكر البيتِ المجاورِ أحيانـــًا أُخرى .

---

(١) ص : (٤٠٢) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٤٠٣) قسم التّحقيق .

(٣) ص : (٤٠٧) قسم التّحقيق .

ومن أمثلة ذلك قوله[١]: « **والإطْناب كقوله – تعالى –** : ﴿ **إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ** وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِىْ فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ » .

وقولُه[٢]: « **كما قالَ الشَّاعرُ**، أي : كَمَا فَعلَ تَأَبَّط شرًّا في قوله :

بأَنِّي قَدْ لقيتُ الغُـولَ تَهْوي بسَهب كالصَّحيفة صَحْصَحان

فأَضْربها بلا دهش فَخَـرَّت صَريعًا لليَدين وللجِـران».

– حرص الكرمانيُّ على ذِكرِ أَقْوال العُلماء ومُناقَشتها أَحْيانًا، وكذا التَّرجيح بَينها أَحْيانًا أخرى .

ومن ذلك قولُه في مبحث الالْتفات[٣]: « **ثم إنَّ الحكايةَ والخطابَ والغيبةَ ثلاثتَها تُستعملُ كلٌّ في مقامِ الآخر أَوْ يُنْتقل منه إليه ويُسَمَّى التفاتًا** . قَالَ في المِفْتاح : (واعلم أَنَّ هذا النَّوع أعني : نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختصُّ بالمسند إليه ولا هَذا القدر؛ بل الحكايةُ والخطابُ والغيبةُ ثلاثتُها يُنْقلُ كلُّ واحد منها إلى الآخر، ويُسمّى هذا النَّقل : الْتفاتًا عند علماءِ علم المعاني) . ولَمَّا كان مُرادُ السَّكّاكيِّ أعمَّ ... صرَّح الأستاذُ بالقِسْمين .

---

(١) ص : (٥٤٧) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٤١٢-٤١٣) قسم التّحقيق .

(٣) قسم التّحقيق ص : (٣٩١-٣٩٨) .

قال صاحبُ الإيضاحِ: (المَشْهورُ عِنْد الْجُمهورِ أَنَّ الالْتِفات هو التَّعبير عن معنىً بطريقٍ من الطُّرق الثَّلاثة بعد التَّعبير عنه بطريقٍ آخر، وهذا أَخصُّ من تَفْسير السَّكَّاكيِّ ...) .

وقالَ الأستاذُ : كونُه مَشْهورًا عِنْد الجَمْهور مَمْنوعٌ بَلْ ما ذَكره السَّكَّاكيُّ هو المَشْهورُ بَلْ هو أعمُّ ... .

وذكرَ الزَّمخشريُّ في سُورةِ الأَنْفالِ في الكشَّافِ في قَوْله : ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ ما هو قريبٌ منه ... .

والحقُّ : أنَّ هذا النَّوع مِن الكلامِ كثيرٌ ... ولا مشاحَّة في تَسْميته الْتِفاتًا . والأَمثلَة – بحسب التَّقديريّ والتَّحقيقيّ والمضمر من نوعه أو بالنّسبة إلى المظهر – لا تكاد تحصى » .

– نَبَّه الكِرمانيُّ إلى اخْتلافاتِ نسخِ الكتابِ في تِسْعةَ عَشر مَوْضعًا، وكشفَ عن اطِّلاعٍ واسعٍ بها، كما أَشارَ إلى مَعْرِفة شيخِه لبعضِ تلك الاخْتلافاتِ وإجازتِه لها .

وفي مرَّات عديدةٍ صرَّح بقراءَتِه نُسْختَه على المُؤلِّف . وممَّا ذكر في هذا الصَّدد قولُه[1]: « اعْلم أَنَّ في هذه الصَّفحة اختلفت النُّسخ بحسب تَقْديم بَعْض؛ لكنَّ النُّسخةَ الصَّحيحةَ والموافقة للمفتاح كَمَا شَرَحْناه » .

وقولُه[2]: « هَذا على مَا في النُّسخةِ الَّتي قرأْتُها على المصنِّف . وفي

(١) ص : (٤٥٦) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٥٠٦) قسم التّحقيق .

بعضِ النُّسخِ : (...) فلاَ حَاجةَ إِلى مَا ذَكرْناه » .

وقوله[١]: « وفي بعضِ النُّسخ (...) وكلاهما مَقْروآن عَلَى المُصنِّف ».

وقولُه[٢] : « وفي بَعْض النُّسخ مكان قَوله : (...) قوله : (...) وهو سَهوٌ من النَّاسخِ » .

- ربطَ الكرمانيُّ بين المُخْتصرِ وأَصْله مقارنةً، وإتمامـًا، وإيْضاحـًا، وربَّما كشفَ عن رأيٍ لصاحبِ المختصر بخلافِ ما أَوْرده في كتابه مُعْتذرًا عن ذلك بمُتابعة السَّكَّاكيّ كقوله[٣]: « والمصنِّفُ ينقلُ كلامَ السَّكَّاكيِّ وإلاَّ فالحقُّ عنده عَلى طرفِ التَّمام وهو ... » أَوْ[٤]: «والمصنِّف قلَّد فيه السَّكَّاكيّ لا أَنَّه الحقّ عِنْده» .

وقد يسوقُ صاحبُ المُخْتصرِ أَوْ الشَّارح ما لا يَرِدُ في المِفْتاح . ومَتى وقعَ نبَّه عليه بقولِه[٥]: « وهذه المسأَلةُ زائدةٌ على المِفْتاح »، أو[٦]: « وهذا مِمّا زاد على المِفْتاح » .

---

(١) ص : (٥٢٥) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٨١٤) قسم التّحقيق .

(٣) ص : (٦٦٣) قسم التّحقيق .

(٤) ص : (٢٤٧) قسم التّحقيق .

(٥) ص : (٢٨٦) قسم التّحقيق .

(٦) ص : (٢٤٥) قسم التّحقيق .

– ساقَ الكرمانيُّ بعضَ الأسئلة الافْتراضيَّة وأجابَ عليها . وذَلك عِندما يَشْعر أَنَّ المخاطبَ يخالفه الرَّأيَ، فيطرحُ ما يتصوَّر أنّه عالقٌ في ذهنه مِنْ شُبهٍ في قالبِ سُؤالٍ ثمَّ يَشْرع في الإجابة عَلَيها .

ومِنْ ذلك قولُه[1]: «فإنْ قُلتَ : فَمَا الفرقُ حينئذٍ بَيْنه وبينَ الحرف ؟، قلتُ : لوجهين، الأَوَّل : أَنَّ معناه وإنْ لم يتحَصَّلْ إلاَّ بذكر المتعلّق؛ لكنَّه إذا تحصَّل فَفِي نَفْسه بخلاف الحرف فإنَّه في غَيْره . والثّاني : أَنَّه بعد ذكر متعلّقه يصيرُ إسنادًا تامًّا مُفيدًا بخلاف الحرف . وإن قُلتَ – أيضًا –: سَلَّمنا أَنَّه لا يتحصَّل إلاَّ بالمسند إليه، لكنَّه أعمُّ من أن يكونَ مذكورًا أَوْ مَحْذوفًا عند القَرينة ؟، قلتُ : العللُ النَّحويَّة تعليلاتٌ بعد الوقوع ولا تَوْجيه للنَّقضِ عَليها . فإنْ قُلتَ : فَمَا تَقُول في فاعلِ المصدر فإنَّه جائزُ الحذف ؟ . قُلت : لأَنَّ المصدر وضع للنِّسبة المُطلقة لا المُقيَّدة، والتَّقريب ظاهرٌ . كيفَ وبحثُنا في فاعلِ الفعلِ لا مُطْلَقًا ! ».

ـــ ختمَ الكرمانيُّ حديثَه حولَ بعضِ المسائلِ الَّتي تَناولها بِخُلاصةٍ موجزةٍ يُقرِّر فيها المسألَة ويَفْصلُ القولَ فيها وغالبًا ما يَبْدؤها بقوله : « والحاصلُ » أَوْ « وحَاصلُه » ومن ذلكَ قولُه[2]: «... وَضْعُ الفعل الماضي مَوْضِع الفعْل المُضَارع **للتَّحقيق** والتَّوكيد؛ **نحو**: ﴿**وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ**﴾ فإنَّه كان مُقْتضى الظَّاهر أَنْ يُقَال : (وينادى)

(١) ص : (٢٨٥-٢٨٦) قسم التّحقيق .

(٢) ص : (٤١١) .

لأنَّه في القيامة . لكنَّه عدلَ إلى الماضي بيانـــاً لتَحقّقه وتَوْكيدًا؛ لأنَّ هذا النِّداءَ ضَروريُّ الوُقوعِ .

فالحَاصلُ : أنَّ ما هو للوقوعِ أَخْذه كالوَاقعِ لتَحقُّقِ وقوعه » .

- حَرِصَ الكرمانيّ عَلى التَّأدّبِ مَعَ العُلَماءِ وتَوْقيرِهم والثَّناءِ عليهم والدُّعاءِ لهم، وبخاصَّةٍ شيخه الإيجي، وفي أَكْثر من مَوضع وجدته يَتْلمس العذرَ لمخطئهم منكرًا التَّشنيعَ عليه حتَّى وإن أَبْعد .

ومِنْ ذلك قولُه[1]: « وأَمَّا المنقولُ من الرّبعيِّ ... فَهُو ممَّن خَطَّأ فأَخطأ ومع إمكانِ أَنْ يُحْمل على مَحْمل صَحيح لا حاجة إلى مِثْل هَذا التَّشْنيع عَلى مِثل الإمام؛ ذلك الرَّجلِ الفَاضلِ والفَحْل البَازلِ » .

ـــ صرَّح الكرمانيُّ بأَنَّ شَيْخَه إذا أَطْلق لَفْظَ « الشَّيخ» فإنَّه يَعْني السَّكَّاكيَّ . وإذا أَطْلقَ لفظَ « الإمام » فإنَّه يَعْني عبدَ القاهر الجُرجانيّ[2].

أَمَّا الكرمانيُّ فوجدتُه إذَا أَطْلق لَفْظَ « الأُستاذ » أو « المصنِّف » فإنَّه يَعْني شيخَه الإيجيّ . وإذَا أَطْلق «الشَّيخ »فإنَّه يَعْني عبدَ القَاهرِ الجُرْجانيّ، أمَّا « شارح المفتاح » فإنَّه يَعْني به الشِّيرزايَّ .

---

(١) ص : (٥٠٣) قسم التّحقيق .

(٢) ينظر ص : (٧٤٦) قسم التّحقيق .

المبحث الثَّاني :
مصادرُ الكتاب وشواهدُه .

وفيه مطلبان :

المطلب الأَوَّل :
مصادرُ الكتاب.

المطلب الثَّاني :
شواهدُ الكتابِ .

المطلب الأوّل :

مــصادرُ الكِتــاب

تنوَّعتْ مصادرُ شمسِ الدِّين الكرمانيِّ الَّتي اعتمدَ عليها في هذا الكتاب؛ وتَوزعتْ على أَغلب الفنون العِلْميّة المَشْهورة في عَصْره، وتفاوتَ نقلُه منها كثرةً وقلّةً، طولاً وقصرًا، نصــًّا ومعنى .

ففي حين نَجد نقوله من بعضِ المصادرِ تكثُر كثرةً مُلْفتة؛ بحيث تَتَجاوز المائــة نَقْل؛ نجدهــا تقــــلّ قلّــةً ظاهرة في مصادرَ أُخرى؛ بحيث لا تَتَعدّى المرةَ الواحدة .

ويَبْدو لي أَنَّ الكتب الَّتي أكثرَ من النَّقلِ منها كانت بحوزَته؛ بدليل أَنَّه ينقلُ منها نَقْلاً مباشرًا في حالاتٍ كثيرة، وغالبــًا ما تكون كتباً مشهورةً تداولها النَّاسُ فيمَا بَيْنهم، كـــ« الكشّاف » للزَّمخشريِّ، أوْ ذات صلةٍ وطيدةٍ بكتاب المؤلّف نَفْسه كـــ« مفتاح العلوم » للسَّكاكيِّ، أو ذات صلةٍ وطيدةٍ بالمؤلّف نفسه لكونه تتلمذَ عليها كَكُتبِ شَيْخه الإيجيّ، أو اطَّلع عليها وكانت أثيرةً عنده كـــ« كتاب الصِّحاح » للجَوهريِّ؛ الَّذي لا أَسْتبعد حفْظه له -.

وفي حين نَظْفر بنقلٍ طَويل من تلك الكتب يمتدُّ فيَشْمل صفحةً كَاملةً أَوْ قريبــًا منها في بعض المواطن؛ لا نكاد نَعْثر إلاّ على الكلمةِ أو الكَلمتين في مواطنَ أخرى .

وقِسْ عَلَى هذا التَّفاوتِ تَفاوتَه في النُّصوص المنقولة . فتارةً تكون بالنَّصِّ وأُخرى تَكُونُ بالتَّصرّفِ اليسيرِ، وتَارةً ثالثةً بالمعنى .

وكذا تَفَاوتَه في طريقةِ النَّقلِ من تلك المصادر؛ فأحيانـًا يُصرِّحُ باسم الكِتابِ واسمِ مؤلِّفه، وأَحْيانـًا يَكْتفي بإيرادِ اسمِ الكتابِ دون اسمِ مؤلّفه، أو اسمِ المؤلِّف دُون كتابِه . وأحيانـًا أُخرى لا يذكرُ اسمَ الكتابِ ولاَ اسم مؤلِّفه، وإنَّما يوردُ ما يدلُّ على أنَّه ينقلُ؛ كقوله: «قِيل»، «كقولهم »، « كقول النُّحاة »، « كَمَا ذكرَ أَهْلُ ...»، « يُروى » .

وهَاهِي ذي مصادرُ المؤلِّف في كتابِه أَسُوقُها مرتبةً بحسب الوفاة[1]:

---

(١) للمصدر ـــ عند الباحثين ـــ مفهومان؛ أحدهما : الكتاب الّذي اسْتقيت منه المعلومة . وهذا هو المفهوم السّائد عند عامّة الباحثين، وعليه يسيرون في غالب كتاباتهم العلميّة . والتّعامل مع المصدر بهذا المفهوم الخاصّ يسعف بحوثاً خاصّة حُصرت نقولها في مؤلّفات معروفة موجودة يعوّل عليها في النّقل .

أمّا المفهوم الآخر ـــ وهو الّذي سلكته في هذا المبحث وعليه مدقّقو المحقّقين المحدثين ـــ فهو أوسع ممّا سبق؛ حيث يُراد به الشّخصيّة الّتي استقيت منها المعلومة بأيّ وسيلة كانت؛ سواء كانت كتابة، أو مشافهة، أو بواسطة؛ فالمجال في هذا المفهوم أرحب وأوسع، وهو بتلك الشّموليّة يناسب جميع البحوث العلميّة على اختلاف طبائع نقولها .

هذا، ولا يعني الاعتماد على الشّخصيّة إهمال ذكر الكتاب ـــ كما قد يُظنّ ـــ بل الكتاب طريق من أهمّ الطّرق الموصلة إلى الشّخصيّة إضافة إلى أنّه وعاء المعلومة الموثّقة الّتي لا يمتدّ إليها السّهو أو النّسيان .

ولذا فإنّني آثرت هذا المسلك متعرّضاً في الوقت نفسه للكتاب أو المصدر بالمفهوم الخاصّ؛ ناصّاً عليه متى ما تحقّقت شروطه .

١ - أَبو بِشْر؛ عمرو بن عُثْمان بن قنبر المُلقَّب بـ« سيبويه » (ت: ١٨٠هـ) .

نَقَل عنه في موضعٍ واحد، ناصًّا على اسْمه دون كتَابه[١].

٢ - أَبو إِسْحاق؛ إبراهيمُ بن سُفيان بن هانِي، النَّظَّام (توفّي بعد العشرين ومائتين ببضع سنين هجرية) .

نَقَل عَنْه في موضعٍ وَاحد[٢].

٣ - أبو عُثْمان؛ عمرو بن بَحْر بن محبوب الكِنانيّ الملقب بـ«الجَاحظ » (ت ٢٥٥هـ) .

نقل عنه في موضعٍ واحد . ناصًّا على اسْمه دون أيٍّ من كُتُبه[٣].

٤ - أبو سَعيد الحسنُ بن عبد الله السِّيرافي النّحويّ (ت ٣٨٥هـ).

نقلَ عنه في موضعٍ واحد ولم يَنُصّ على اسْمه ولا كِتابه . وإنَّمَا أشارَ إليه بقوله : « كَمَا هو رأي بعض »[٤].

٥ - أَبو نَصْر؛ إسماعيلُ بن حمّاد الجَوهريِّ الفارابيِّ (ت: ٣٩٨هـ).

نَقَلَ عنه في سبعةٍ وسبعين[٥] موضعًا من كِتابه « الصِّحاح»، وصرَّح باسْمه واسْمِ كتابِه في موضعٍ واحد[٦].

---

(١) راجع ص : (٣٨٠) قسم التَّحقيق .
(٢) راجع ص (٢٥٣) قسم التَّحقيق .
(٣) راجع ص : (٢٥١) قسم التَّحقيق .
(٤) راجع ص : (٣٢٢) قسم التَّحقيق .
(٥) ينظر على سبيل المثال ص: (٢١٢-٢١٦، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٥٢) قسم التَّحقيق .
(٦) راجع ص : (٥٥٦-٥٥٧) قسم التَّحقيق .

وبالاستقراءِ والتَّتبّعِ وجدتُ أَنَّه ينقل عنه نَصـًّا في أَغْلب الأَحوال. وإِنْ شابَ نَقْلَه شيءٌ من التَّقديم والتَّأخيرِ بحسبِ المعنى الَّذي يهدفُ إلى إيضاحه . ولذا فإِنَّه – في سبيلِ ذلك – لا يجدُ حَرجـًا في الرَّبط بين نَصين مُتَباعِدين تَوارَدا على معنًى واحد داخل المادةِ الواحدة؛ من مِثْل قوله في بيانِ مَعْنى العَويصِ[1]: « العَويصُ : ما يَصْعبُ اسْتخراجُ معناه؛ اعْتاصَ عليه الأمرُ أَيْ الْتوى » حيثُ فسَّر العويصَ بجُملتين أَوْردَهما كما هما نصًّا في « الصِّحاح »[2]، غير أَنَّ ثانيتَهما : « اعتاص ... التوى » سَبَقَتِ الأُولى : « ما يصعب استخراج معناه »، وفُصِل بَيْنهما بثلاث جُملٍ . وربما كان السببُ في مثلِ هذا الرَّبطِ الَّذي لم يراع التَّقديمَ والتَّأخيرَ اعتمادَه – في ظَنِّي كما سَبق أنْ ذكرتُ – على اسْتظهارِه لهذا الكتابِ الَّذي ضبطَ فيه الجملَ والعباراتِ دون تَرْتيبها .

٦ – أَبُو الحَسن؛ عليُّ بنِ عيسى البَغداديّ الرَّبعيّ (ت ٤٢٠هـ).

نَقَلَ عنه في ثلاثةِ مواضع[3] صرَّحَ فيها باسْمه دون ذِكْرِ شَيءٍ من كُتُبه .

٧ – أَبُو عليٍّ؛ أحمدُ بن محمد بن الحسن المرزوقيِّ (ت ٤٢١هـ).

نقلَ عنه في موضعٍ واحدٍ[4]، من كتابه « شَرْحِ ديوانِ الحَماسة »، ولَمْ يُصرِّح إلاَّ باسم المؤلِّف .

---

(١) ص : (٢١٧) قسم التَّحقيق .

(٢) (٨٧٨/٣) .

(٣) راجع ص : (٥٠٠، ٥٠٢، ٥٨٨) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٣٩٥) قسم التَّحقيق .

٨ - أبُو بكرٍ؛ عبدُ القَاهرِ بن عبد الرَّحمن بن محمّد الجُرجانـــيّ الشَّافعيّ (ت ٤٧١هـــ) .

نقلَ عنه في عَشْرةِ مواضع، وسَمَه في مَوْضعين منها بـــ«الشَّيخ»[١]، مصرّحـــًا باسم مؤلّفه « دلائل الإعجاز » برفقَة أحدِهما[٢]، ونصَّ على اسْمِه بَعْد وسْمه بـــ« الشَّيخ » في ثلاثةِ مواضع[٣]، ونَصَّ على اسْمِه بعد وصفه بـــ« الإمام » و« الشيخ »[٤] في موضعٍ واحدٍ . ونصَّ على اسْمِه في موضعٍ واحدٍ[٥]. بينما نصَّ على اسمِ مؤلّفه « دلائل الإعْجاز » دون اسْم أو وصفٍ في ثلاثةِ مواضِع[٦] .

٩ - أَبُو حامدٍ؛ محمَّدُ بن محمّد بن محمّد الطُّوسيّ الغَزاليّ، حجّة الإسلام (ت ٥٠٥هـــ) .

نقلَ عنه في موضعٍ واحدٍ . مصرِّحـــًا باسْمِه[٧].

١٠ - أَبُو محمَّد؛ القاسمُ بن عليٍّ بن محمّد بن عثمان الحريريِّ (ت ٥١٦هـــ) .

---

(١) راجع ص : (٢٣١، ٤٣٧) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٢٣١) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٤٢٧، ٤٣٧) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٧٢٩) قسم التَّحقيق .

(٥) راجع ص : (٧١١) قسم التَّحقيق .

(٦) راجع ص (٤٢٨، ٥١٠، ٧٠٦) قسم التَّحقيق .

(٧) راجع ص : (٦٢٣) قسم التَّحقيق .

نقل عنه في خمسة مواضع[١]، صرّح في ثلاثة مواطن منها باسمه[٢]، ولـــم ينصّ على أيّ من كتبه، وإن كانت نقوله كلّها من كتابه «المقامات الحريريّة» .

١١ – أبو القاسم؛ جارُ الله محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت ٥٣٨هـــ).

نَقَل عنه في عِشْرين مَوْضعـــًا . صرَّحَ باسْمِه واسم كتابه «الكشّاف» في أربعةِ مواضع[٣]، وباسمه منفردًا في ستّة مواضع[٤]، وباسمِ كتابه منفردًا في أربعة مواضع[٥]، وبلا نسبةٍ إلى اسْمِه أو كِتابِه في ستةِ مواضع[٦]، منها موضعٌ اعتمد فيه على كتابه « المُفَصَّل » .

وقَدْ ظَهَر لي من خِلال تَتَبّعي لنُقولِ المؤلِّف عنه إجلالُ الكرمانيِّ له[٧]، وتَأثّرُه الشَّديد به؛ بل واسْتيعابُه الكامل لكتابه « الكشّاف »، إذْ أنّه لا يَكْتفي بالإحالةِ إلى اسمِه أوْ كتابه، بَلْ يَتجاوز ذلك – أحْيانـــًا – إلى اسمِ السُّورة وموضعِ الآياتِ، منها[٨] .

---

(١) راجع ص: (٨١٩، ٨٢٣)، ويلحظ وجود أكثر من نقل في صفحة واحدة .

(٢) راجع ص : (٨١٩، ٨٢٣) .

(٣) راجع ص : (٢٤٢-٢٤٨، ٣٩٦، ٥٦٥، ٦٩٢) قسم التّحقيق .

(٤) راجع ص : (٣٧٣، ٣٩٧، ٤٠٤، ٥٤١، ٦٤١) قسم التّحقيق .

(٥) راجع ص : (٣٠٧، ٤٥١، ٥٨٩، ٧٠١) قسم التّحقيق .

(٦) راجع ص: (٢٥٧، ٣٠٧-٣٠٨، ٣٤٨، ٣٩٦، ٥٤٦، ٥٦٩) قسم التّحقيق .

(٧) ومن ذلك قوله وقد شرع في النّقل عنه ص: (٥٨٩) من قسم التّحقيق : « قال في الكشاف – أفيض على مصنفه سجال الألطاف – في أواخر سورة الأعراف : ... ».

(٨) راجع – على سبيل المثال – ص (٣٩٧، ٥٨٩-٥٩٠) قسم التّحقيق .

١٢ - أَبو عبدِ الله؛ محمّدُ بن عمر بن الحسين بن عليٍّ الرَّازيّ؛ الملقّب بـــ« فخر الدِّين » (ت ٦٠٦هـــ) .

نقلَ عنه في أَرْبعةِ مواضع صرَّح فيها باسْمِه دون أَيٍّ من كُتُبِه[١].

ويُلْحظُ أَنَّ صاحب الفوائد « الإيجيّ » تابعَ السَّكاكيَّ وحملَ عليه مرَّةً حينما غَمزَه بـــ« من لا خبرة له بالنَّحوِ » بَيْنما نجد الشَّمسَ الكرمانيَّ يصفه في ثلاثة مواضعٍ بالإمامِ .

١٣ - أَبُو يعقوبَ؛ يوسفُ بن أَبي بكرٍ محمّد السَّكّاكيّ الخَوارزميّ (ت ٦٢٦هـــ) .

نقل عنه في مائة وأَربعة وعشرين مَوْضعًا محيلاً إلى اسْمِه «السَّكّاكيِّ» مرةً[٢]، وإلى صاحبِ المفتاحِ أُخْرى[٣] .

وإلى كتابه « المفتاح » ثالثةً[٤]، ولم أَقف إلاَّ على موضعٍ واحدٍ جمعَ فيه بين اسْمه وكتابه - وإنْ لَمْ ينصّ عَلى اسمِ كتابه - .

وظاهرٌ أنَّ السَّبَب في كَثْرة الإحالةِ إلى كتابه مقارنةً بغيرِه مردُّه كونه أَصْلاً لكتابي الإيجيِّ « المختصر »، والكرمانيِّ « الشَّرح »؛ فهما يَستقيان مادَّتهما منه بالدَّرجةِ الأُولى .

---

(١) راجع ص : (٥٠٠، ٥٠١، ٧٠٧، ٧٠٩) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع-على سبيل المثال-:(٣٥٢٤٠، ٣٦٠، ٣٧٣، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤١٤، ٤٧٠، ٥١٠، ٥٩٥، ٦٣١، ٦٦٢-٦٦٣، ٧٠٣، ٧٠٧، ٧٤٣، ٨٠٩)قسم التَّحقيق.

(٣) راجع - على سبيل المثال -: (٣٦٢، ٣٨٢، ٣٨٦، ٧٣٢، ٧٨٠) قسم التَّحقيق.

(٤) راجع - على سبيل المثال - : (٢٩٥، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٥٩، ٥٠٦، ٥١٣، ٦٠٢) قسم التَّحقيق .

وإذَا ما تَتبّعنا نُقولَ المؤلِّف من المِفْتاح فإنَّا نجدها في الغالبِ الأَعمِّ نصيَّة وبخاصَّة تلك الَّتي يُقَدمُ لها بقولِه : « قالَ في المفتاح »[١] أَوْ «وفي المفتاح »[٢].

١٤ – أَبو الفَتحِ؛ ضياءُ الدِّين ابن الأَثير (ت ٦٣٦هـ) .

نقلَ عنه في ثلاثةِ مواضع[٣] دون أَنْ يُصرِّحَ باسمه أَوْ كتابِه « المثل السّائر » الَّذي نقلَ منه .

١٥ – أَبو عَمرو؛ عُثْمان بن عمر بن أَبي بكر جمال الدِّين؛ المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) .

نقلَ عنه في تِسْعة مواضع، صرَّح في جَميعها باسْمه « ابن الحاجب »، وفي ستٍّ منها قرنَ اسْمه باسمِ أحدِ كُتبِه، ناقلاً عن «مختصر المُنْتهى» ثلاث مَرَّات[٤]، وعن «المُنْتهى» نفسِه مرَّتين[٥]، وعن «شرحِ الكَافية» مرَّةً واحدة[٦] .

أَمَّا كتابُ « الإيضاحِ في شَرْحِ المفصَّلِ »، فَلَم يُصَرِّح به، وَتبيَّن لي نَقْلُه منه مرَّةً واحدةً[٧].

---

(١) راجع ــ على سبيل المثال ــ : ٣٤٧، ٣٩١، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٩، ٥٠٨، ٥٦٦، ٥٨٠، ٥٩٧) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع – على سبيل المثال – : (٥٠٨، ٧٧٢، ٧٩١–٧٩٢) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٧٦٣–٧٦٤، ٨٢٢) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٢٤١، ٦٢٢، ٦٨٠) قسم التَّحقيق .

(٥) راجع ص : (٦٩٢، ٧١٠) قسم التَّحقيق .

(٦) راجع ص : (٣٧٣–٣٧٤) قسم التَّحقيق .

(٧) راجع ص : (٣٨٣) قسم التَّحقيق .

١٦ - أَبو عبـــد الله؛ جمالُ الدِّين محمّد بن مالك الطَّائيِّ الأَنْدلسيّ (ت ٦٧٢هـــ) .

نَقَل عن أَلْفيّته بالمَعْنى في مَوْضِعين، ولم يصرِّح إلاَّ باسمِه[١] «ابن مالك» .

١٧ - مَيْثَمُ بن عليٍّ بن ميثم كمال الدِّين البَحرانيّ (ت ٦٨١هـــ).

نقلَ عنه في موضعٍ واحدٍ نَاصـــًّا على اسْمِه «البَحرانيّ»، واسم رِسالَته الَّتي نَقَل عنها « التَّجريد »[٢].

١٨ - محمودُ بن مَسْعود بن مُصلح، قطب الدِّين، الشِّيرازيّ (ت ٧١٠هـــ) .

نقلَ عنه في عشرَة مَواضع لَمْ يُصرِّح في أيٍّ منها باسْمِه أو باسْمِ كتابِه وإنَّما أَشَار إلى الشِّـــيرازيّ في ســـتّةِ مواضـــعَ بوصفه « شارح المفتاح »[٣]، وإلى كتابِه في موضعٍ واحدٍ بوصْفه : « شرح المفتاح »[٤] ، ونقلَ عنه نُصُوصـــًا بلا إشارةٍ في ثلاثة مواضعٍ[٥].

---

(١) راجع ص : (٣١٨، ٣٧٨) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٧١٨) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٢٨٧، ٤٦٤، ٥٧٧، ٦٢٩، ٧٢٤، ٧٥٣) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٥٧٧) قسم التَّحقيق .

(٥) راجع ص : (٢٣٥، ٦٦٥، ٧٨٣) قسم التَّحقيق .

وفي الجُمْلة فإنَّ عبقَ الشِّيرازيِّ وروحَ كتابه «مفتاح المفتاح» لا يكادان يَغيبان عن شَرْح الكِرمانيِّ البَتَّة مُتَمثِّلين في طريقةِ العَرض، وأسلوبِ المُعَالجة وصياغة المادَّة .

١٩ – أَبُو عبد الله؛ مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر، جلال الدِّين، القَزْوينيّ (ت ٧٣٩هـ) .

نقلَ عنه في أَحدَ وعشرينَ مَوْضعـًا، لَمْ يُصرِّح في أيٍّ منها باسْمه صراحةً، بل كانَ يَقُول : « قالَ صاحبُ الإيضاح »، وتكرَّر منه ذلك ثِنْتي عشرةَ مرَّةً[١]، ويقول – أَيْضًا – : « وفي الإيضاح »، أو قريبًا منه كقَوْله : «والمَفْهومُ من الإيضاح»، وتكرَّر منه ذلك في ستّةِ مواضع[٢]، أَمَّا بقيَّةُ النُّقول فَسَاقَها بلا إشارة[٣].

ويلحظُ: أَنَّ أغلبَ النُّقول عنه تَدُور في فلك التَّعريفاتِ أو التَّقْسيمات أَوْ بيانِ وجْهَاتِ نظرِه تَقريرًا أو اعْتراضـًا .

٢٠ – أَبُو الفَضْل؛ عبدُ الرَّحمن بن عبد الغفَّار الإيجيِّ (ت ٧٥٦هـ).

نقلَ عنه في ستَّة وعِشْرين مَوْضعاً، كثيرًا ما يُسَميه فيها بـ« الأُستاذ»[٤]،

---

(١) راجع ص : (٣٣٢، ٣٧٤، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٢٨، ٤٩٦، ٧١١، ٧٣٦، ٧٤٢) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٤٥٢، ٧٤٠، ٧٦٢، ٧٦٦، ٧٦٨، ٨١١) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٧٦٥، ٨٢١) قسم التَّحقيق .

(٤) ينظر ــ على سبيل المثال ــ ص : (٢٢٣، ٣٩٤، ٤١٩، ٤٧٠، ٥٠٢، ٥٦٥، ٦٨٩) قسم التَّحقيق .

أَوْ بـ« المصنِّف»[١]، صرَّح في ستَّةِ مواضع بكتابِه «شَرْح مختصرِ ابن الحاجب»[٢]، وفي موضعٍ واحـد بـ« رُسيلة له في مَسائلَ شتَّى في النَّحوِ »[٣]وبالسَّماعِ منه مباشرةً في موضعٍ واحد[٤].

وتكشفُ النُّقولاتُ عنه عن قربِ الشَّمسِ الكِرمانيِّ منه وفهمه الدَّقيق لآرائه؛ من ذلك قولُه[٥]: « وإذا لم يرتضِ المصنّف ذلك ... قال : (قال)، وقولُه[٦]: « والمرضِيُّ عنده »، وقولُه[٧]: « والمصنِّفُ ينقلُ كلامَ السَّكَّاكيِّ، وإلاَّ فالحقُّ عنده على طرف التَّمامِ ».

٢١ - عبَّادُ بن سُلَيمان الضَّمريّ .

نقلَ عنه في موضعين، صرَّح في الأَوّلِ منهما باسْمِه كَاملاً[٨] وفي الثَّاني باسمه الأولُ مُنْفردًا[٩].

---

(١) ينظر- على سبيل المثال - ص : (٣٢٩، ٣٣٢، ٣٧٨، ٣٨٦، ٤٢٨، ٤٣٧، ٦٦٣) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٦٢٢، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٠٤، ٧٠٩، ٧٥٠) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٣١٨) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٧٨٣) قسم التَّحقيق .

(٥) راجع ص : (٣٨٦) قسم التَّحقيق .

(٦) راجع ص : (٤٣٧) قسم التَّحقيق .

(٧) راجع ص : (٦٦٣) قسم التَّحقيق .

(٨) راجع ص : (٦٧٤) قسم التَّحقيق .

(٩) راجع ص : (٦٧٥) قسم التَّحقيق .

٢٢ – صاحبُ المطالعِ . لم أقفْ على ترجمته ولا على كِتابِه . ونَقَل عنه بالنِّسبة المتقدّمة في موضعٍ واحدٍ[١].

(١) راجع ص : (٦٢٣) قسم التَّحقيق .

المطلب الثّاني :

شواهدُ الكتـــاب

كمَا تنوّعتْ مصـــادرُ شمسِ الدِّين الكرمـــــانيِّ في هذا الكتاب تنوَّعتْ ــ أَيْضـــًا ــ شَواهـــده؛ فَشَملت آيَ الذِّكر الحكيمِ، وأحاديثَ الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم، وأمثالَ العربِ، وأقوالَهم، وحكمَهم، وأَشْعَارهم .

وتفصيلُ ذلك على النَّحوِ التَّالي :

أَوَّلاً : القُرآن الكريم .

لَمَّا كان للقرآنِ الكريم مكانةٌ عظيمةٌ اهتمَّ به علماءُ المسلمين وتَعاهدُوه حفظًا، ودَرْسًا، وتطبيقًا، و لم تكن منْزلتُه البيانيّةُ لديهم بأَقلَّ من منْزلته التَّشْريعيَّة . لذا نجدهم - كَمَا يَسْتنبطُون أَحْكامه - يَتمثّلُون بيانَه . وقَدْ يَجْري على أَلْسنتهم من بديعِ نَظْمه وجَميلِ صُورِه وآنق مُفرَداته ما لا يَتَكلَّفون له جَلْبـــًا، أو يَمْلكون له دَفْعـــًا، ومن أولئك العُلَماءِ الَّذين أسرهَم أسلوبُ القرآنِ وبهرهم قوّةُ حجّته صاحبنا شمسُ الدِّين، كيف لا!. وهو العالم الرَّبَّانيّ بما كان يعلِّمُ النَّاس وبما كانَ يَدْرس !! .

والنَّاظرُ في « تحقيقِ الفَوائد » يجد أَنَّه اشتملَ على مائة وثمانية وثمانين شاهدًا قرآنيـــًّا، وهذا العددُ - في نَظَري - عددٌ لا يُسْتهان به وبخَاصَّةٍ إذا ما قُورن ببعضِ المصادرِ البَلاغيَّة، ناهيك عمَّا تميَّزت به تلك الشَّواهد من شموليَّة؛ إذ لم تَقْتصر على المسائل البلاغيَّة وحْدَها - كما هـــــو منتظر -، وإِنَّما توزَّعت على مسائلَ متعدِّدة هي :

١ ــ شواهد تختصُّ بقضايا بلاغيَّة . وهي السِّمةُ الغالبةُ، وبلغ عدَدُها مائة وستة وسبعين شاهدًا .

منها: مائة وثلاثون شاهدًا ضمنَ علمِ المعَاني، واثنان وثلاثون شاهدًا ضِمنَ علمِ البيان، وأربعة عشر شَاهدًا ضِمْن علمِ البَديع .

وغَالبــًا ما يوضّحُها بما يُقرّر القَاعدة البَلاغيّة الّتي يعرضُ لها . ومِنْ أمثلةِ هذا النَّوع قولُه في بيانِ أضربِ الخبرِ في أَثْناء حديثه عن الضَّرب الثّالث (الإنكاريّ)[1]: « **ويسمَّى إنْكاريــًّا . ويشهدُ له قولُ رسلِ عيسى عليه السَّلام أَوَّلاً: ﴿إنّا إليــكم مرســــلون﴾، وثانيــًا : إذ بولغَ في تَكْذيبهم : ﴿ربّنا يعلم إنّــا إليكــم لمرســلون﴾** أرسلَ عيسى ــ عليه السَّلام ــ إلى أَهْلِ أنطاكية اثْنين : شمعون، ويُوحَنَّا فكذَّبوهما، فقوَّاهما برسولٍ ثالث؛ هو بُولس أَوْ حبيب النَّجَّار . فقالوا : ﴿إنّا إليكم مرسلون﴾ فأَنْكروا بقولهم: ﴿ما أنتم إلاّ بشر﴾ الآية؛ فأَجابوا بقولهم: ﴿ربّنا يعلم﴾؛ ولَمّا كانَت الآيةُ مُشْــتملةً على تكــذيبِ الرُّســلِ من ثــلاثةِ أَوجه أكّد إثبات رســالاتهم – أَيْضــًا – بثلاثةِ أَوْجه : اللاّم، وإنَّ، ومَا في قوَّة القَسَم » .

٢ – شواهد لا تختصُّ اخْتصاصــًا مُباشرًا بقضايا بلاغيَّة، وإنَّما ترد بالدَّرجة الأُولى في خِدْمتها بهدفِ تقريبِ المعنى وإيضاحِه . وهي عَلَى قِسْمين :

---

(١) راجع ص : (٢٦٦-٢٦٧) من قسم التَّحقيق .

أ) شواهد تردُ برفْقَةِ شواهد بلاغيَّة لرابطٍ بينهما وعددها أربعة شواهد .

ويجدُ المسْتَشهدُ في إيرادها ما يوضِّح به استشهادَه ويقرِّر به المعنى الَّذي ساقَ الشَّاهد لأَجْله . ومن أَمثلتها قولُه في بيانِ أَحدِ الأَوجه المرجِّحة للإِثْبات[1] :

« **العاشرُ : بسط الكلام افْتراصــًا لإصغاءِ السَّامع نحو ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيهَا﴾** إذْ كان يتمُّ الكلامُ بأَنْ يقول (عصا) فذكر المُسْند إليه وهو ﴿ هِيَ ﴾ للبَسْط، **قيل : ولذلك ... أتبع** موسى **ما أتبع**، أَيْ : قوله : ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيهَا ﴾ ... ومع ذلك خافَ فقالَ اللهُ تَعالى : ﴿ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيْرَتَهَا الأُولَى ﴾ » .

وشاهدنا في الآية الأُخرى الَّتي أَكْملَ بها المَشْهدَ و لم تكن جزءًا من الشَّاهد البَلاغيِّ .

ب) شواهد لتَقْريبِ معنى بلاغيٍّ دون أَنْ تَنْدرجَ تحت قاعدته، وعددُها ثلاثة شواهد . وفي جميعها قدَّم المؤلِّفُ بما يدّلُ على أَنَّها لتوضيحِ المرادِ خارجَ نطاقِ القاعدةِ المَسُوقة؛ حيثُ يقول : « ونظــيرُه »، «ومثلُه».

ومن تــلكَ الشّواهدِ قــولُه[2]: « **ونظــيرُه** - أي : نظير قوله

---

(١) راجع ص (٣٠٤-٣٠٧) من قسم التَّحقيق .

وراجع الشَّواهد الثَّلاثة الباقية ص (٤٣٣، ٥١٣، ٧١١) من قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص: (٢٧١) من قسم التَّحقيق . وراجع الشَّاهدين الآخرين ص(٢٧٤، ٢٧٥).

تعالى في النَّفي والإثبات؛ في أَنَّ المتَّصف بالشَّيءِ نُزِّل منْزلة الخَالي عنه بوجه خَطَابيّ لا في تَنْزيلِ العَالم منْزلةَ الجَاهل، **قولُه تعالى** : ﴿ **ومَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ** ﴾ أَثْبتَ الرَّمية لرسولِ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – إذْ هو الرَّامي بحسب الصُّورة ونَفَاها عنه بحسب التَّأثير؛ إذ لا مؤثّرَ إلاّ الله، ولا سيما في الأَثرِ العَظيم الَّذي ليس في قُوَّة البَشر » .

(٣) شواهدٌ استدعى ذِكْرها مناسبةٌ خاصّةٌ . وعدُدها أَرْبعةٌ، وتفصيلها يتمثّل فيما يلي :

(أ) شاهدان اختصَّا بقضايا نحويّة . وقد تَطَلَّبَ الإيضاحُ الشّافي الَّذي ألزم المؤلِّفُ نفسَه به في غالب مباحث الكتاب إيرادهما، فجاءا حجةً قَاطعةً وبرهانـًا سَاطعـًا عَلَى ما أُردفا عليه . ومن ذلك قولُه في أَحدهما موضّحًا القُرب بين المعرَّف تعـريفَ الحقيقة والنَّكرة[1]: «**ولذلك**، أي : ولاتّحاد المُودّى وعدمِ اختلافه إلاّ بالاعتبارِ **حكم** النُّحاة **بتقاربهما**، أَيْ : بتقارب المعرَّف باللاّم للحقيقة – لا لغيرها من الاسْـتغراق أَوْ العهد – والنّكرة، **وجوِّز**، أي : ولذلك جوّز **وصف المعرَّف هذا التَّعريف**، وهو تَعْريف الحقيقة **بالنّكرة، كمَا في قوله تعالى** : ﴿ **غَـيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ ،فإنَّ﴿ غَيْر ﴾نكرةٌ وصفَ بها المَعْرفة،وهوقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ » .

(١) راجع ص: (٣١٤-٣١٥) من قسم التَّحقيق،وراجع الشّاهد الآخر ص (٣٧٦-٣٧٧).

(ب) شاهدٌ لإيضاح لفظ غريب . ومثالُه قولُ المؤلِّف[١]: «والفَواصل لعلَّها أُخذت من قَوْله تعالى : ﴿ فُصِّلَتْ آيَـــاتُهُ ﴾» .

(جـ) شاهدٌ لإيضاحِ مَعْنى مُجْمَلٍ، وهو الوارد في قوله[٢] : «وإنَّما أَكْتفي بأحد الضِّدين عن الآخر لدلالة حُكْمِه على حُكْمِه نحو قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ » .

هذا وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ شواهدَ الكتابِ القُرآنية لم تقتصرْ على قراءةِ حفصٍ، بل بَنَى المؤلفُ استشهاده البلاغيَّ في خمسةِ مواضع على بعضِ القراءاتِ القرآنيةِ الأُخرى؛ منها موضعٌ تكرَّر مرَّتين[٣]، ومن تلكَ المواضع قولُه[٤]: «**ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِـــيٓ إِسْرَآئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مَنْ فِرْعَـــوْنَ﴾ بقراءة الاسْـــتفهام**؛ أي : على لَفْظ « مَن » الاسْتفهاميّة ورَفْع ﴿ فِرْعَوْن ﴾، يُؤوَّل بها المراد منه : العذابُ **المقول عنده** مَن فرعون » .

ثمَّ إنَّ مما يُلفت النَّظرُ إليه بخصوص تلك الشَّواهد - ممَّا يحســـبُ للكتاب - حُسْنَ اخْتيارها بما يُلائم المقامَ، ودقّةُ توظيفها بما يَخْدُم المَعْنى المُسْتشهد عَليه .

---

(١) راجع ص : (٣٠٠-٣٠١) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٤١٨) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٢٧٢-٢٨٨) من قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٣٦٩-٣٧٠) من قســـم التَّحقيق . وراجع الموضعين الباقيين ص : (٥٦٩، ٦٠٤) قسم التَّحقيق .

ولك أن تتأمَّل ذلك في حُسْن اختيارِه الآية الَّتي ختَم بها علْمي المَعاني والبيان بغرض تَأَمُّل لطائفها، يَقُول[1]: «وإذا وقفت على البلاغة وعلى الفصاحة المعنويَّة واللَّفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آيةً، **فإن شئتَ فتأمل قولَه تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ تر ... ما فيه ... من لطائفهما** »[2].

ثانيـــًا : الحديثُ الشَّريفُ .

يعدُّ الحديثُ الشّريفُ ثَاني مصادر التَّشريعِ الإسْلامي بَعْد القرآن الكريمِ، والحديثُ الصَّحيحُ وحيٌ أَجْراه الله على لسانِ رسولِه صلَّى الله عليه وسلم؛ من لا ينطقُ عن الهَوى إنْ هو إلى وحيٌ يُوحى . وترجع أهميّته إلى أنه يوضِّح القرآنَ في بيانِ أحكامه وتفصيلِ إجْماله .

وقَد عُني به صاحبنا شمسُ الدِّين الكرمانيُّ عنايةً فائقةً حين أَفْرده بالبحثِ والدِّراسة، بل إنَّه أَلَّف فيه أكبرَ مؤلَّفاته وأشْهرها على الإطْلاق، حينَما شَرح « صَحيحَ البُخاريّ » بكتابِه الموسومِ بـــ« الكواكبُ الدَّراريِّ شرحُ صحيحِ البخاريِّ » .

---

(١) راجع ص : (٧٩١) قسم التَّحقيق .

(٢) ينظر تلك اللَّطائف : في « مفتاح العلوم » ص (٤١٧ ــ ٤٢٢) .

وكنَّا ننتظرُ - والحالُ ما تقدَّم - أن نجدَ أثرَ هذه العناية ظاهرًا في كتابه « تحقيق الفوائد »، لكنَّ الواقع خَالفَ ذلك؛ فالَّذي بين دَفَّتي الكتاب من الأحاديث والآثار لا يَتجاوزُ تسعةَ شواهد ! فما سرُّ ذلك ؟! .

يَبْدو لي - والله أعلم - أنَّ عنايةَ شمسِ الدِّين الكرمانيِّ بالحديث اسْتجدّت بعدَ تَأْليفه « تحقيق الفوائد »، ويَشْهد لذلك تَأخُّر رحلته في طلب علمِ الحديث، ومن ثمَّ تأخُّر تَأليفه فيه وقد تقدَّم معنا أنَّه كَمَّلَ الكواكبَ الدَّراريَّ بمكَّةَ المكرَّمة سنة خمس وسبعين بعد السَّبعمائة؛ حين مجاورته بها قبالةَ الرُّكنين اليَمانيَّين .

كمَا أنَّ طبيعةَ الدَّرسِ البَلاغيِّ الَّذي تَرَعْرَعَ في ظلِّ الإعجاز القُرآنيِّ من جهة، والدِّراسات الأَدبيّة من جهةٍ أُخرى جعلَ شواهدَه - في الغالبِ الأَعم - تؤول إليهما وتدورُ في فلكهما، والمُتَأخِّرون - كما هُو معلومٌ - عيالٌ على المُتقدِّمين، وهو ما نُفسِّر به كثرةَ الشَّواهدِ القرآنيّة والشَّواهد الشِّعريّة وقلَّة ما عداها من الشَّواهد الأُخرى .

أَمَّا شواهدُ « تحقيق الفوائد » الحَديثيَّة التِّسعة[1] فقد اتَّسمت بالإيجازِ والوُضوحِ، ولذا لَمْ يحتجْ إلى شرحِ لفظةٍ غريبةٍ أَوْ بيانِ تركيبٍ غامضٍ .

وخلت أَرْبعةُ شواهد منْها من أَيِّ إشارةٍ تدلّ على أنَّها أحاديث أَوْ آثار؛ حيثُ كانَ المؤلِّفُ يقدِّم لها بقوله :

---

(١) ينظر ص : (٢٥٤، ٢٧٢-٢٧٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٢٠، ٣٦٠، ٤٧٣، ٦١٤) قسم التَّحقيق .

«نَحـــوْ»[١]، أو«مِثْل»[٢]، أو «نَحْو قوله»[٣].

وتَوزعَ الاسْتشهادُ بها بين القَضايا البلاغيَّةِ والأُخرى العرضيَّة الَّتي تجيءُ في خدمة القضايا البلاغيَّة .

ومن أَمثلة ما استُشْهد به على قضيّة بلاغيَّة قوله[٤] : « وقـــد يُذْكـــر – أي : الشَّرط – بدون الواوِ، وذلك فيما كانَ المتروكُ أَولى بترتّبِ الجزاءِ عليه لدلالة العقل حينئذٍ عليه؛ **نحو : نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه**، إذْ يلزم منه بالطريقِ الأَولى أنّه لو خَافه لَمْ يَعْصه أَيْضـــاً » .

ومن أمثلة ما استُشْهد به في خدمة قضيّة بلاغيّة . قَوْلُهُ[٥] : «**ولذلك يُتبرّأُ عن الكَذب بدَعْوى الاعتقاد أو الظَّنِّ**، أَيْ الدَّليل عليه : أنّه يُتبرّأ عن الكذبِ بدعوى الاعْتقاد أو الظَّنِّ متى ظَهر خَبرُه بخلافِ الواقعِ، أَيْ : إذا قِيل له : كذبتَ يقول : لا؛ بَلْ قُلـــتُـــه بناءً على اعتقادي؛ كما قالت عائشةُ – رضي الله عنها – : «ما كذبَ، ولكنَّه وهم» .

---

(١) راجع ص : (٤٧٣، ٦١٤) قسم التَّحقيق .

(٢) راجع ص : (٣٦٠) قسم التَّحقيق .

(٣) راجع ص : (٣٢٠) قسم التَّحقيق .

(٤) راجع ص : (٣٧٤-٣٧٥) قسم التَّحقيق .

(٥) راجع ص : (٢٥٣-٢٥٤) قسم التَّحقيق .

ثالثـًا : الأَمثال والأَقْوال .

خلّف لنا أَسْلافُنا العربُ كمـًّا هائلاً من الأَمْثال السَّائرة، والأَقْوال البَليغة الّتي كثيرًا ما يَعِنّ لنا التّمثلُ بها في مُناسباتٍ تشبهُ المناسباتِ الّتي قِيلت فيها . وتعدُّ بسببِ إيجازِها وسهولةِ حفظِها، وسرعةِ انْتشارِها أمثلَ تُراث للأُمَّةِ وأَصْدقه . وأَجدُها - وإنْ أخذت حقّها من الجَمعِ والتّأصيلِ - لَمْ تَأخذ حقّها من الاسْتِنطاقِ والتّحليلِ .

وفي ظَنّي أنّها - بحكمِ جريانِها على الأَلْسنة بلا تَغْيير يُذْكر - مَتَى مَا أَخَذت حَظّها من الدَّرسِ العميقِ سوف تَكْشفُ لنا عن أَبْعاد تُراثيَّة مُفيدة .

وبالعَوْدةِ إلى كتابِ «تحقيق الفوائد» نَجدُ أَنّ نصيبَه من الأَمثالِ والأَقوالِ عشرون شَاهـــدًا[1]، جـــاءَ بعضُها شَاهدًا بـــلاغيـًّا كقوله[2] : «**وإذا كان** وجهُ الشَّبه أمرًا **مُنْتزعـًا من** عدَّة أمور؛ **نحو قولك: تقدِّمُ رجْلاً**؛ أي: لإرادة الذّهاب، **وتؤخِّر أُخرى** لإرادة عدمه، **للمتردِّد في الأمر** » .

---

(١) راجع الصفحات : (٢٨٢، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٣٣، ٣٦٧، ٣٩١، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٧٥، ٤٨٠، ٥١٠، ٥٤٤، ٥٥٦، ٦١٤، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٦٢، ٧٣٥، ٧٧٨، ٨١١) قسم التّحقيق .

ويلحظُ أَنّ أحدَ الأَقوال تكرَّر ثلاث مرّات في أماكن مختلفة من الكتاب، بَيْنما ورد أَكثرُ من مثلٍ في صفحةٍ واحدة .

(٢) ص : (٧٣٥) قسم التّحقيق .

وبعضُها الآخرُ في سياق شاهد؛ للإيْضـــاح والتَّأكيـــد، كَقَوله[١] : « **الخامسُ : الاسْتِلْذَاذ**؛ كذكرِ العاشقِ للمَعْشوق، ولهذا قِيل : «من أحبَّ شيئـًا أكثرَ من ذِكْره » .

ويَبْدو واضحـًا للعيان تباينُ طريقة الاسْتشهاد بها في الكتاب، فتارةً يُذكر ما يدلّ على أنه مَثَلٌ أو قولٌ، كقوله[٢]: «**فتـأمّل في مثـل** هـذا المثل : (**أنخدع بالزَّبيب بعد المشيب**) » .

وتارة لا يذكر : كقوله[٣]: « **فالتزمت** الواو **فيها** أي في الاسمية **إما نادرًا** نحو : (كلَّمتُهُ فوه إلى فيَّ) » .

ومن جهة أُخرى نجدُ الحديثَ يطولُ حولَ بعضِها بشرحِ الغَريبِ وبيانِ المعنى العَامِّ، وذكرِ قصّة المثل ومضربه أَحْيَانـًا، كقوله[٤]: « وكَمَا في قَوْلِها: (إلاَّ حظيَّة فلا أليّة)؛ حظيّةٌ : فعيلةٌ من حَظِيت المرأةُ عند زوجها حُـظوة . وأليَّةٌ : فَعيلة من الأَلو . وهو التَّقْصير؛ بمَعنى فاعله؛ أَيْ : إنْ لا يكن لك في النِّساء حظيّة؛ لأَنَّ طبعكَ لا يُلائمُ طبعهن، فإنِّي غيرُ مقصّرة ... ومورد المَثل : أَنَّ رجلاً كان لا تَحظى عنده امرأةٌ فلمّا تزوّج هذه لَمْ تَأل جهدًا في أَنْ تحظى عِنْده، ومَع ذَلك لم تَحْظ، بل طلَّقها فَقَالتْ . ومَضْرِبُه كلُّ قضيةٍ كانَ الإنسانُ أهلاً لها مُجتهدًا فيها، ولكنَّها امْتنعت عَليه لعارضٍ عَرض من غيرِ جِهته » .

---

(١) ص : (٣٠٣) قسم التَّحقيق .

(٢) ص : (٤٢٠) قسم التَّحقيق .

(٣) ص : (٥٥٦) قسم التَّحقيق .

(٤) ص : (٢٩٦-٢٩٧) قسم التَّحقيق .

ويَقْصر الحديث حولَ بعضها الآخر أحْيانـًا أُخرى كقوله[١] : «لاستكراه النَّفس التَّكرار بالذّات، كما قيل: (أَكْره من مُعَادٍ)، واسْتِحبابه الجدَّة؛ كما قيل : (لكلٍّ جديد لذّةٌ) » .

وأخيرًا : أَودُّ الإشارةَ إلى أَنَّ غالبَ ما وردَ في كتاب « تحقيق الفوائد الغياثية » من أَمثالٍ وأَقْوالٍ اسْتشَهدت بها كتبُ البلاغيِّين المُتَقدّمين عليه؛ وعلى الأَخصِّ « مفتاح العلوم » للسَّكّاكيِّ .

رابعـًا : الشِّعر :

الشِّعرُ ديـــوانُ العَـــرب، وهـــو كَمَا يقولُ الدُّكتور محمَّد أَبو موسى[٢]: « الدَّائرة الأَوسع الَّتي إذا حفظناها نكونُ قد أَقَمنا حولَ كتاب الله ثوابتَ من المعارف المؤسّسة على أُصولٍ من المنهج الصَّحيح؛ تظلُّ بين يدي الذِّكرِ الحكيمِ تهيّئ لسَماعه وفَهْمه وتَذَوّق بلاغته وأسرارِ بيانه » .

وحَسْبك دليلاً على أَهَميته وخطورة شأنه قولُ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما[٣]: « إذا أَشْكلَ عَلَيكم الشَّيءُ من القُرآن فارْجعوا إلى الشِّعْرِ فإِنَّه دِيوانُ العَربِ » .

---

(١) ص : (٦٦٢) قسم التَّحقيق .

(٢) خصائص التّراكيب « دراســة تحليليّة لمســائل عــلم المعاني » لمحمّد محمّد أبو موسى : (٧) .

(٣) الفاضل في اللّغة والأدب؛ للمبرّد : (١٠) .

لذا اهْتمَّ به علماؤُنا قَديمـًا وحَديثـًا على اخْتلاف تَخَصُّصاتهم العلميَّة فاسْتَشْهد به الفُقَهاءُ، والمحدِّثون، والمفسِّرون، والنُّحاة، واللُّغويّون على حدٍّ سواء .

وقد امْتلأ كتابُنا بهذا النَّوعِ من الشَّواهد، حيث بلغَتْ مواضعُ الاستشْهاد الشِّعريّة مائة وثمانية عشر مَوْضعـًا[1]، وهي – بلا شكّ – كثيرةٌ جدًّا، ويُلْحظُ أنَّه سلكَ في طريقة الاستشهاد بها وطريقة إيرادها نفسَ المسلك الَّذي سَلكه في بقيَّة الشّواهد المتقدِّمة . على أنَّه لَمْ ينسبْ تسعين شاهدًا، واسْتطعتُ بفضلِ الله نسْبة (٨٢) شاهدًا إلى قائلها .

كَمَا يُلْحظ أَنَّ شواهدَ الكتاب الشّعريّة لَمْ تَخْرج في الجُمْلة عن شَواهد المصادر البلاغيَّة الأُخرى الَّتي تقدَّمت على الكتابِ وبالأَخصِّ كتاب « مفتاح العلوم » للسَّكّاكيِّ .

ولبيانِ ما تقدَّم بجلاءٍ أَسُوقُ الشَّاهدين التَّاليين :

١ – شاهدٌ لم يُنْسبْ، ولم يُسْبق بما يدلُّ على أنَّه شاهدٌ، ولم يُبيَّن مَعْناه، أَوْ يُشْرح غَريبه وليسَ بلاغيـًّا، كقوله[2]: « فإنَّ المحلَّ الخالي إذا كانَ فَارغـًا تَمكَّن فيه نقشٌ يردُ عليه أَشدَّ تمكُّن :

أَتَاني هَواها قَبل أَنْ أَعْرفَ الهَوى فَصَادفَ قَلْبي خَاليـًا فَتَمكّنا».

---

(١) ينظر – على سبيل المثال –: (٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣١٦، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٣٥، ١٣٣، ٣٤٠) قسم التَّحقيق .

(٢) ص : (٢٦٥) قسم التَّحقيق .

٢ - شاهدٌ نُسب، وسُبق بما يدلُّ على أنَّه شاهدٌ، وبيَّن مَعْناه، وشُرح غَريبُه، واستُشْهد به عَلَى موضع بَلاغيٍّ؛ كقوله[1]: « ومن هَذَا القبيلِ وضْعُ الحاضرِ **موضع الماضي لإيهامِ المشاهدَة**؛ مشاهدة تلك الحالةِ واسْتحضارها في ذهنِ المُخاطب ... كَمَا فعلَ تأبَّط شرًّا في قوله :

بأَنِّي قَدْ لَقيتُ الغُولَ تَهْوي بسَهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحانِ

فَأضْرِبُها بلا دهَشٍ فَخرَّت صَرِيعـًا للـيدينِ وللجِـرانِ

وكانَ مقتضَى الظَّاهرِ: « فضَربتُها »، لكنَّه عدلَ إلى الحاضر قَصْداً أن يصوِّر لقومه الحالةَ الَّتي تَشجَّع فيها بضربِ الغُول كأنَّه يُبصرهم إيّاها - أيْ : تلكَ الحالة - ويُطلعهم عَلَى كُنْهها، ويَتَطلَّبُ منْهم مُشاهدَتَها؛ تَعْجيبـًا من جُرْأته علَى كُلِّ هَوْل، وثبَاته عندَ كلِّ شدَّة .

والسَّهبُ - بالسِّين والصّاد المهملتين - : الفَلاةُ .

والصَّحصحانُ : المُستوي؛ أي بفلاةٍ كالقِرطاس مُسْتَوية .

لليَدين : أَيْ عَلَى اليَدين .

والجِرَانُ : مقَدَّم عنق البَعير من مذبحه إلى مَنْحره » .

وقِس على هذين الشَّاهدين المتنافيين شواهدَ شعريَّة أخرى اتّفقت أَوْ أَخذَت صُورًا مُتنوّعةً من النّفي والإِثْبات .

---

(١) ص : (٤١٢-٤١٣) قسم التَّحقيق .

المبحث الثّالث :

تقويم الكتاب

وفيه مطلبان :

المطلب الأوّل :

مزايا الكتاب

المطلب الثّاني :

المآخذ عليه

المطلبُ الأَوَّل :

مزايا الكتاب

١ – حسن التّبويب والتّنظيم :

سبق أَن قدَّمت أنَّ كتابَ تحقيقِ الفوائد ينضوي تحت أَرْوِقة المدرسةِ السَّكَّاكيَّةِ ولذا فإنَّه يستمدُّ قيمته العلميَّة من تلك الأُسس المحكمة الَّتي قَامت عليها والمنهج القَويم الَّذي ترسمته .

ولستُ أعني عندما أعبِّر – هنا – بـــ(السَّكَّاكيَّة) سبق السَّكَّاكيِّ إلى ذلك المنْهج الَّذي خالفَ به المتقدِّمين ممَّن صنَّفوا كتبـــًا مُسْتقلّة في البَـــــلاغة؛ كعبد القاهرِ الجُرجانيِّ الَّذي صنَّف كتابيه « أسْرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» أَوْ حتّى كتبـــًا لا يصدقُ عليها التَّصنيفُ البلاغيُّ تمامـــًا كتلك الَّتي تضمَّنت كثيرًا من المباحث البلاغيَّة دونما حاجزٍ مانعٍ من دخولِ غيرها من المباحث الأُخرى . من مثل كتاب « الموازنة بين أبي تمَّام والبحتريّ » لأبي القاسم الآمديّ، وكتاب : « الوساطة بين المتنبّي وخصومه » للجرجانيّ – وإنَّما أعْني الارتباطَ الوثيقَ الَّذي يصل كتابَ الشّيخ الكرمانيِّ «تحقيق الفوائد» بكتاب شيخِ شيخه أبي يعقوب السّكاكيّ «المفتاح»؛ ذلك الكتاب الَّذي ذاعَ صيتُه بين النَّاس، ونالَ شهرةً لم ينلها كثيرٌ من الكتب البلاغيَّة الأُخرى . فكتابُ الكـــرمانيِّ – كما سبق – أَنْ ذكرتُ يشرحُ كتابـــًا آخر شديدَ الصِّلة بكتاب السَّكَّاكيّ؛ هو كتاب «الفوائد الغياثيَّة»؛ ذلكم الكتاب الَّذي اختصر به صاحبُه – بعنايةٍ فائقةٍ – « مفتاح العلوم » للسَّكَّاكيّ .

وغنيٌّ عن الإيضاح أنَّ السَّكَّاكيَّ أفادَ كثيرًا في تبويبه وتقعيده وتقسيمه من الفَخْر الرَّازي في كتاب : « نهاية الإيجاز في دراية الإعْجَاز »، بل إنّه كما يقولُ محقّقُ نهاية الإيجاز الدّكتور بكري شَيْخ أمين[1]: « كادَ أَنْ يكون ظلاًّ للرَّازيّ وصدًى لصوته » . وفي نظري أنَّه لم يتميَّز عنه كثيرًا إلاّ بما امتنّ الله به عليه من دِقَّة التَّنظيم وضبط التَّقسيم وقوَّة الأَدلَّة .

ومع سبقِ الرَّازي إلى التّنظيم والتَّبويب وتشْعيبِ المسائل وتَفْريعها وفق أسسٍ عقليّةٍ منطقيَّةٍ إلاّ أنّ أغلبَ الدَّارسين المحدثين يغضّون الطَّرف عنه، ويتَجَاهلون سَبْقه، ولا يلوونَ على كتابه كما يَلْوون على كتاب السَّكَّاكيِّ الَّذي نُسب إليه السَّبق وركَّز عليه الدَّارسون مُتَعرّضين لمنهجه – في الغالب الأَعمّ – بالذَّمِّ والتَّسفيه؛ رامينه بالانْحرافِ والجمودِ وعدمِ الفَهم؛ ومنهم الدُّكتور عبد العزيز عتيق[2] يقول : « ومن هنا كانت خُطُورة منهاجِ السَّكَّاكيِّ الَّذي يُعدُّ في تاريخِ البلاغة بداية طور الجُمود في دراستها لقد خُيِّلَ إليه أنَّه بمنهاجه المنظّم المتقن يُصْلح من شأنِ البلاغة، فإذا به من حَيثُ لا يَدْري يُفْسدها ويُسيءُ إليها » .

والحقّ أنّ السَّكَّاكيَّ – رحمه الله – حُمِّل ما لا يَحْتمل؛ إذ طُلبَ منه أَنْ يواكب بلاغة عبد القاهر الجرجـــاني – رحمه الله – وأن يأتي بما يحاكي كتابيه على الأقل إذ لم يستطع أن يتفوّقَ عليه . ومن هذه الجهة انهالت السّهام عليه . ولو أُمعن النّظر في صنيع السَّكَّاكيّ وغايته منه لما

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز « قسم الدّراسة » ص (٥٦) .

(٢) علم المعاني ص (٢٧) .

حُمّل كلّ ذلك . ولأُحيل ذمّه مدحـــًا . فهو لم يؤلّف كتابه ليغيّر مسار البلاغة العربيّة ويلبسها ثوب الجمود - كما زعموا - ولم يكن هذا مقصدًا له على بال، وغاية ما هدف إليه هو اختصار كلام الإمام عبد القاهر وتصفيته من التّكرار وتقريبه لطلبة العلم بوضع الحدود والرّسوم الّتي تضبط مباحثه وتفصّل مسائله . ليستقيم لطالب البلاغة الطّريق وتتّضح أمامه الصّورة؛ مِتى ما خاض غمار البيان وأدلج في بحور تذوّق الكلام، ولعلّ الّذي حداه إلى ذلك ضعف الذّوق العربيّ في العصور المتأخّرة فأراد بمنهجه المنطقيّ الإعانة على فهم البلاغة .

وأجدني مع الأستاذ الدكتور فضل حسن عبّاس : حين يقول[1]: «ورحم الله السَّكّاكيّ ونرجو أن يؤجر على هذه الحملات الّتي توجّه إليه؛ فلقد حمّلوه مسؤولية جمود البلاغة ووقوفها عند حال لا تحسد عليه ... .

صحيح أنّ السَّكّاكيَّ سلب بلاغة عبد القاهر هذه السّمات الأدبيّة، وهذا الأسلوب الّذي يستند إلى الذّوق والقاعدة معـــًا؛ ولكن ينبغي أن لا ننسى، ولا يجوز أن ننسى أنّ البلاغة كانت بحاجة إلى من يحدّد لها مصطلحاتها تحديدًا تامـــًّا، ومن يفصّل مسائلها، ويَفْصل بعضها عن بعض، وتلك حسنة لا ينبغي أن تغفل، ولكن الكـــثيرين - سامحهم الله - لا يذكرون إلاّ السّلبيّات » .

أخلص من هذا كلّه إلى القول بأنّ انضواء كتاب «تحقيق الفوائد» تحت أروقة المدرسة السَّكّاكيّة لا يغمط شيئـــًا من شأنه ولا يحط قدرًا

(١) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتّبعيّة : (١٧٥) .

من قدره كما ظنّ بعض، بل هو ميزة تحسب للكتاب؛ تشتدّ الحاجة إليها في ميدان التعليم « ثمّ يبقى ما وراء ذلك مفتوحـــاً ليشمل كل دراسة تستخرج أسرار البيان »[١].

ولست في حاجة – هنا – إلى استعراض طريقة الكرمانيّ الموفّقة الّتي بنى عليها كتابه، فقد سبق الحديث عنها في المطلب الثّالث من المبحث الأوّل من هذا الفصل في أثناء الحديث عن منهج المؤلّف في الكتاب؛ حيث استعرضتُ بالتّفصيل المخطّط الّذي سار عليه الشّارح في كتابه[٢].

٢ – التّوسّط والاعتدال :

حيث تجنّب مؤلّفه الإطناب المملّ والاختصار المخلّ، فسلك به منهجـــاً وسطـــاً سواءٌ في عرض المادّة العلميّة أَوْ في التّقسيم والتّفريع . وما يندرج تحتهما من التّقعيد والتّمثيل وإيراد الأقوال والأدلّة ومناقشتها . متحاشيـــاً في ذلك كلّه التّكرار والإطالة، ومحترزًا – في الجملة – عن التّقصير والإيجاز، ولذا نجده عندما يتعرّض لأحوال المسند والمسند إليه وبعض أحوال متعلّقات الفعل لا يفرد كلّ نوع ببحث مستقلّ – كما فعل غيرُه من البلاغيّين؛ بل كما فعل السّكّاكيّ نفسه؛ عمدة الكرمانيّ في كتابه – وإنّما يعالجها جميعـــاً تحت مبحث واحد ذاكرًا أغلب النّكت البلاغيّة؛ ممثّلاً لها بما تيسّر من الأمثلة مما قد يكون مندرجـــاً تحت المسند

---

(١) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجانيّ د. محمّد محمّد أبو موسى : (١١) .

(٢) راجع ص (١٠٧–١١٠) من قسم الدّراسة .

إليه أَوْ تحت المسند؛ أَوْ تحت متعلّقات الفعل؛ تاركًا المجال مفتوحًا أمام القارئ لإعمال عقله في تحصيل ما لم يذكره وقياس الأشباه على النّظائر فيما لا يستغلق فهمه أَوْ يشقّ طلبه . وأسوق للدّلالة على ذلك قوله[1]: « **ثمّ إنّه**، أي الحذف، **يترجَّحُ لوجوهٍ : الأوّل : ضيق المقام**؛ كجوابِ المشرف - أي على الموت - : أموت، حيث يقال له : كيف أنت ؟ إذا الوقت لا يسع أن يقول : أنا أموت ... وكضرورة الشّعر، وقوله :

قَالَ لِي : كَيْفَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : عَلِيلٌ
سَــهَرٌ دَائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيــلُ

الثّاني: الاحترازُ عن العَبَث؛ نحو: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ﴾؛ إذ لو كُرِّر فعلُ التّسبيح؛ لكان عبثًا؛ إذ هو معلومٌ من الأوّل » .

فلقد تحقّقت الفائدة المنشودة بإيراد الوجهين المذكورين وغيرهما من الوجوه الأخرى الواردة بعدهما الّتي تكشف أسرار الحذف البلاغيّة غير أنّه درءًا للتّطويل والتّكرار عالج أوّلهما « ضيق المقام، ضرورة الشّعر » في باب المسند إليه؛ حيث جاء المحذوف في أمثلته مسندًا إليه .

وعالج ثانيهما « الاحتراز عن العبث » في باب المسند؛ حيث جاء المحذوف في مثاله مسندًا .

---

(١) ص (٢٧٦-٢٧٧) قسم التّحقيق .

وكان بإمكانه أن يمثّل لكل وجه بمثالين؛ أحدهما في باب المسند إليه، والآخر في باب المسند، كما فعل غيره ممّن رام البسط والتّوسّع .

وظاهر أنّ الّذي هيّأ لهذا المسلك، أي مسلك « التّوسّط والاعتدال» هو الإيجيّ، صاحب الكتاب المختصر؛ حيث بنى كتابه على أسس منطقيّة لا تقبل الحشو والاسترسال .

ويبدو لي أنّ الكرمانيّ – رحمه الله – نشد هذا المسلك وهدف إليه قبل تأليف الكتاب، ولو أنّه آثر منهج المطوّلات لعدل من أوّل الأمر عن ربط كتابه بمختصر شيخه، أَوْ حتّى عدم تضمينه إيّاه بالطّريقة الدّقيقة المحكمة الّتي سبق أن أشرت إليها[1] على أقلّ تقدير .

٣ – اشتمال الكتاب على بعض الفوائد المهمّة :

تضمَّن كتاب تحقيق الفوائد فوائد جليلة؛ انفرد بها الكتاب عن سائر الكتب البلاغيّة الّتي سبقته، ويعود الفضـــل في إيرادها – في الدّرجة الأولى – إلى الإيجيّ صاحب المختصر . فهو الّذي ضمنها كتابه صراحة، أَوْ قدح في ذهن الكرمانيّ إليها . وغالبـــًا ما يشير الشّارح إليها بقوله[2]: « وهذا ممّا زاد على المفتاح »، وتبدو لنا قيمة تلك الزّيادات بجلاء إذا ما ربطنا بينها وبين عنوان الكتاب المختصر : « الفوائد الغياثيّة » وتَذَكّرْنا ما

(١) ينظر ص (٣٠٣) من قسم التّحقيق .

(٢) ص (٢٤٥) قسم التّحقيق . وينظر – على سبيل المثال – الصّفحات : (٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٦، ٣١٢، ٤٤٨) .

سبق أن أوردناه في سبب تأليف الكتاب[١]. حيث نصّ ابن الكرمانيّ «أنّ الوزير (غياث الدّين) كان يقرأ المفتاح للسّكّاكيّ على الشّيخ عضدِ الدّين، وكان يفيد عند الدّرس فوائد زوائد على المفتاح؛ فسأله الوزير أن يجمع تلك الفوائد مفردة فجمعها ... » .

وقد تتبّعت المواطن الّتي صرّح الشّارح بأنّها ممّا زاده شيخه على ما في «المفتاح» فوجدتها تقارب العشرين موطنـــاً وقد يكون في الموطن الواحد أكثر من فائدة .

وجدير بالذّكر أنّ تلك الفوائد لم تعرف مواطن معيّنة من الكتاب تلتزم الورود فيها؛ بل ترد بحسب المقتضى الدّاعي لها؛ فأحيانـــاً ترد في ثنايا المباحث الرّئيسة، وأخرى في خواتيمها، وثالثة خارجـــاً عنها في إطار التّنبيهات . وغالبـــاً ما يكون تصريح الشّارح بأنّها من الفوائد الزّائدة على ما في «المفتاح» في بداية الحديث[٢] عنها؛ بخلاف الفوائد الأخرى؛ فالتّصريح بزيادتها يرد عقب إيرادها [٣].

وللإيضاح أسوق المثال التّالي مشتملاً على كلام المصنّف والشّارح[٤]:

---

(١) ينظر ص (٣٢-٣٣) من قسم الدّراسة.

(٢) ينظر - على سبيل المثال - ص (٣١٢، ٤٧٠، ٧٤٨) من قسم التّحقيق .

(٣) ينظر على سبيل المثال ص : (٢٤٥) .

(٤) ص (٢٤٤-٢٤٧) قسم التّحقيق .

«**وتعريفاتُه** [أي الخبر] **تَنْبيهاتٌ، فإنَّ التَّعريفَ قد لا يُرادُ به إحداثُ تَصوّرٍ؛ بل الالتفاتُ إلى تصوُّرٍ حاصلٍ ليتميّز من بين التَّصوُّرات؛ فيعلَم أنَّه المرادُ** .

إشارةٌ إلى سؤالٍ وجواب .

تقديرُ السّؤال: لا يشتغلُ العقلاءُ بتعريف التَّصوُّرات البديهيَّة كما لا يُبَرهن على القَضايا البديهيّة؛ فلو كان الخبرُ ضروريـــًّا لما عَرَّفُوه ... .

تقديرُ الجواب : أَنَّ هذه تنبيهاتٌ لا تعريفاتٌ تنافي الضَّرورة فإنّها ليست لإفادة تصوُّرٍ وإحداثه؛ بل لتَمْييز ما هو المراد به مِنْ بين سَائِر التَّصوُّرات الحَاصلة عنده ... .

وهذا ممّا زاد على (المفتاح)».

ومن أمثلة ذلك – أيضاً – ما أورده المصنِّف وعلَّق عليه الشّارح في التّنبيه الّذي جاء عقب النّوع الثّالث المعقود في التّعريف بأقسامه والتّنكير، قال[1]: «تنبيه: ما في هذا التّنبيه من الفوائد ممّا زادها على الأصل وهي فوائد شريفة مهمّة لا بدّ من معرفتها :

التّعريف : يقصد به معيّن عند السّامع من حيث هو معيّن كأنه؛ أي: التّعريف إشارة إليه؛ أي : إلى ذلك المعيّن بذلك الاعتبار؛ أي : باعتبار أنّه معيّن عنده .

وأمّا النّكرة : فيقصد بها التفات النّفس إلى المعيّن من حيث هو، من غير أن يكون في اللّفظ ملاحظة تعيُّن، وإن كان لا يكون إلاّ معيّنا؛

---

(١) ص (٣١٢-٣١٣) قسم التّحقيق .

فإن الفهم موقوف على العلم بوضع اللّفظ له؛ أي : للمعنى الّذي هو مفادٌ من اللّفظ وذلك؛ أي : العلم بالوضع **إنّما يكون بعد تصوّره** ذلك المعنى، **وتميّزه عنده عمّا عداه**؛ لكنه لا يلاحظ في اللّفظ أنه معيّن .

والحاصل : أنّ الخطاب لا يكون إلاّ بما يكون معلوماً للمخاطب ومتصوّراً له؛ سواءٌ كان اللّفظ نكرة أو معرفة؛ لكن الفرق : أنّ في لفظ المعرفة إشارة إلى أنّه يعرفه السّامع دون المنكر؛ فإذا قلت : ضرب الرّجل؛ فكأنّك قلت : ضرب الرّجل الّذي تعرفه؛ ففي اللّفظ إشارة إلى أنّه يعرفه بخلاف النّكرة ».

وظاهرٌ أنّ ما في التّنبيه تكميلٌ مهمٌّ للمبحث البلاغيّ المعقود، بتحديد مصطلحين رئيسين وردا فيه يحوّل القصور في معرفة المراد بكلّ واحد منهما بدقّة دون الفهم المنشود؛ بل ربّما أدّى إلى الوقوع في خلافه؛ ممّا يتنافى مع أسس البلاغة كأن يسبق إلى الفهم من « التّعريف » مجرّد التعيّن لمعنى اللّفظة المعرفة من غير ملاحظة تعينها بخصوص معيّن في ذهن السّامع وارتباط مدلولها - سلفاً - به . وكذا التّنكير بأن يسبق إلى الفهم منه مطلق النّكرة؛ أي : عدم العلم بمعنى اللّفظة المنكرة أصلاً، الأمر الّذي يؤول بالمتكلّم إلى مخاطبة السّامع بما لا يعلمه .

أمّا ما يتعلّق بالفوائد الواردة في شرح الكرمانيّ فهي الكثرة الكاثرة وإن لم ينصّ عليها إلاّ في النّادر كقوله[1]: « وهَهُنا فائدةٌ جليلةٌ لا بدَّ من ذكرها؛ وهي : أنَّ اللّفظ قد يُوضعُ وضعًا عامًّا لموضوع له عامّ؛ كـ(رجل)

(١) ص (٢٨٤-٢٨٥) قسم التّحقيق .

وقد يُوضع وضعـًا خاصـًّا لموضوع له خاصٍّ؛ كـ(زيد)، وقد يُوضع وضعـًا عامـًّا لأمـورٍ مَخْصُوصةٍ كـ(هذا) فإنّ وضْعه عامٌّ لكلّ مشارٍ إليه مخصوص ... » .

٤ – ظهور شخصيّة المؤلّف العلميّة بشكل واضح :

وبدا هذا الظّهور المتألّق عند المُختصر والشّارح على حدٍّ سواء؛ كلّ بحسب طبيعة تناوله . فصاحب المختصر يكتفي بالإشارات الموجزة العابرة، وصاحب الشّرح يميل إلى الإيضاح والتّفصيل . وقد برزت شخصيّتهما من خلال آرائهما واختيارهما وتعليلاتهما ومناقشتها وردودهما الّتي ردّا بها على بعض العلماء .

ومن أمثلة ظهورها عند صاحب المختصر قوله[1]: «**الثّاني: ألاّ يُعْرف منه إلاّ ذلك القَدْرُ حقيقةً أَوْ ادِّعاءً ... وعليه حُمل قوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**» .

فتعبيره بقوله : « وعليه حُمل » إشارةٌ ظاهرة إلى عدم قبوله وجه الحمل، ولو قبله لما ساغ له الإتيان بلفظ زائد هو « حُمل »، ولكفاه أن يقول : «وعليه قوله»؛ فهو المتّسق مع منهج الاختصار الّذي سار عليه . ولم يكن له أن يسلك هذا التّطويل بهذه الإشارة العابرة لو انساق خلف آراء الآخرين؛ يأخذها ويحكيها كما هي؛ دون أن ينصب عليها عقله ناقدًا ومقوّمـًا .

---

(١) ص (٣٦٢) قسم التّحقيق .

يقول الكرمانيّ[١]: « ولَمّا كانَ عند المصنِّف وجهٌ أَنسبَ منه لسياقِ الآية - قال : « وعليه حُمل » والمراد به صاحب « المفتاح » . ولـــم يقل: (وعليه ورد) أَوْ (عليه قوله) .

والوجهُ فيه: أنَّهم نكَّروه لاعتقادِهم أنَّه لا يجوز أن يكون شخص هكذا موجودًا يقول كذا وكذا . ويدّعي : كذا وكذا، واستبعدوه، بل أحالوه، فكأنّه للتّعجّب وبيان الاستحالة لذلك الخبر الّذي يدّعيه؛ أي : هل ندلّكم على رجلٍ عجيبٍ، يقول كلامـــًا عجيبـــًا، متّصفٍ بصفة غريبة، يدّعي أمرًا غريبـــًا . ولو قال مقام (على رجل) : (على محمّد) : لـــم يكن مفيدًا لذلك » .

ومن ظهورها عند صاحب الشّرح قوله بعد أن ساق الخلاف في «لو»؛ هل هي لامتناع الثّاني لامتناع الأوّل، أَوْ هي لامتناع الأوّل لامتناع الثّاني ممثّلاً بقوله : «لو جئتني أكرمتك» قال[٢]: « والتّحقيقُ فيه أنَّه يُستعملُ في كلا المعنيين لكن بالاعتبارين؛ باعتبار الوجود والتّعليل، وباعتبار العلم والاستدلال؛ فيقول: لَمّا كان المجيءُ علّة للإكرام بحسب الوجـــود فانتفاء الإكـــرامِ لانتفاءِ المجيْ؛ انتفاءٌ للمعلول لانتفاءِ علّته. و- أيضـــًا -: لّما يعلم انتفاء الإكرام فقد يُستدلُّ منه على انتفاء المجيء؛ استدلالاً من انتفاء اللاّزم على انتفاء الملزوم ... وهذا تحقيق لم ينقّح إلى السّاعة » .

---

(١) ص (٣٦٦، ٣٦٧) قسم التّحقيق .

(٢) ص (٤٧٥-٤٧٧) قسم التّحقيق .

هذا؛ وقد ظهر لي أنّ الكرمانيّ – رحمه الله – ينشد الحقَّ بعيداً عن التّعصّب والهوى، ومتى تجلّى الحقُّ أمامه بدليله ذكره وإن أدّى ذلك إلى مخالفته القول السّائد الّذي عليه أرباب الفنّ، أَوْ عليه شيخه « الإيجيّ » غير أنّه لا يهمل وجهات نظر الآخرين أَوْ آراءهم . ولا يتعرّض لها بشيء من النّقد الجارح. وإنّما يقدّمها على رأيه ويوفيها حقّها من البسط والإيضاح ثمّ يعقّب – في النّهاية – عليها برأيه، وأسوق للدّلالة على هذا المثال الآتـــي[1]:

«**ويقبح (هل زيداً عرفت) لإشعاره**؛ أي : التّقديم **بثبوت التّصديق** بنفس الفعل، وإشعاره (هل) بعدم ثبوت التّصديق؛ لأنّه لطلب التّصديق.

وإنّما قال: (يقبح) و لم يقل : (يمتنع) لأنّه وإن احتمل التّقديم المنافي؛ كذلك يحتمل عدم التّقديم، وإن كان مرجوحاً بالنّسبة إلى احتمال التّقديم وذلك بأن يقدّر : عرفت آخر قبل زيد، أَوْ تجعـــل مفعول (عرفت) المذكور محذوفاً، والتّقدير: (هل عرفت زيداً عرفته) .

بخلاف عرفته؛ أي : بخلاف (زيداً عرفته) فإنّه لا يَقْبُح؛ لأن زيداً لا يحتمل التّقديم؛ لأنّ (عرفته) قد أخذ مفعوله، وإذ لم يحتمل التّقديم لا يستدعي ثبوت التّصديق بنفس الفعل؛ فلا ينافي (هل) .

وهذا على ما هو كذلك لفظ المختصر وأصله، وعلى ما شرحه الشّارح للأصل؛ لكن الحقّ : أن (زيداً عرفته) – أيضاً – يحتمل التّقديم؛ بأن

---

(١) ص (٥٧٨) قسم التّحقيق .

يقدّر المفسّر بعد (زيداً)؛ نحو: (هل زيداً عرفت عرفته... فلا يخرج من باب القبح » .

وجدير باللّحظ في هذا النّصّ تأدّب الكرمانيّ مع شيخه وغيره من العلماء؛ فعندما صرّح بالحقّ في غير جانبهم لم يصرّح بأسمائهم، وإنّما أحال إلى مؤلّفاتهم؛ إذ قال: (هذا على ما هو كذلك لفظ المختصر وأصله » أَوْ على وصف يُشْترك فيه إذ قال: « وعلى ما شرحه الشّارح للأصل » .

٥ – اشتمال تحقيق الفوائد على بعض آراء الإيجيّ الّتي لم ترد في مختصره :

ذكر الكرمانيُّ في كتابه بعضَ آراء شيخه الإيجيِّ، وكثيرًا منها لم أجد له ذكرًا في كتب الإيجيّ نفسه، ممّا يرجّح أنّها ممّا تلقّفه التّلميذ عن شيخه مشافهة في وقت ملازمته له وتلقّيه عنه .

ويمثّل حفظ مثل هذه الآراء قيمة تاريخيّة وفكريّة، يمكن أن يفاد منه في رصد حركة التّطوّر الفكريّ للأمّة بعامّة؛ كما يمكن أن يفاد منه في دراسة الشّخصيّات وتقصّي أبعادها .

ومن أمثلة ما حفظه الكرمانيّ لشيخه قوله معلّقـــًا على ما ورد في المختصر[١]: «**وههنا نظر؛ فإنّ الإلف بالتّكرار يحصل؛ فكيف يتنافى حكمها ؟!** »، قال[٢]: « والمصنّف ينقل كلام السَّكّاكيّ، وإلاّ فالحقّ عنده

(١) ص (٦٦٢) قسم التّحقيق .

(٢) ص (٦٦٢-٦٦٣) قسم التّحقيق .

على طرف التّمام، وهو : أن كلّ تكرار لا يورث الكراهة، بل الّذي يورثها تكرار شيء منه بدّ؛ وهو مناف للإلف، وأمّا تكرار شيء لا بدّ منه؛ كتكرار الشُّبه الضّروريّة عند الطّبيب، فهو غير مناف للإلف؛ بل موجب له » .

وبدت – لي – بعد الاستقراء والتّتبّع لكلّ ما هو على شاكلة هذا المثال حقيقتان مهمّتان :

أوّلهما: قرب الكرمانيّ من شيخه الإيجيّ قربـــاً يجعله أخصّ تلاميذه وأعرفهم بمراده، وأكثرهم إحاطة بآرائه .

ثانيهما: ولاء الكرمانيّ لشيخه وحبّه له، وكأنّي به لا يجد أدنى مناسبة تستدعي إيراد وجهة نظر لشيخه أَوْ رأي له حتّى يبادر إليها ويوفيها حقّها .

٦ – اشتمال تحقيق الفوائد على أصحّ نسخ المختصر :

أشرتُ فيما مضى أنّ كتاب الفوائد الغياثيّة مختصر أُعدّ بعناية فائقة ليكون صالحـــاً للحفظ، وليس بغريب على هذا الكتاب ومثله أن تكثر نسخه . وأن تتعدّد روايته، وأن يطرأ بعض التّغيير على جمله ومفرداته، لانتشاره بين النّاس واعتمادهم في ضبطه أحيانـــاً على حفظهم وهو يختلف باختلاف القدرات العقليّة .

ومع اختلاف النُّسخ وكثرتها ـــ الّتي وجدت في حياة المؤلّف ناهيك عمّا وقع بعدها – نجد الحاجة ملحّة إلى نسخة صحيحة ليست أقلّ من أن تكون كُتبت بخطّ المؤلّف نفسه، أَوْ قُرأت بين يديه .

ولّما تعذّر وجود الأولى أسعفنا الكرمانيّ ـــ رحمه الله ـــ بالثّانية، حينما ضمّن كتابه كتاب شيخه دون أن ينقصه حرفـًا واحدًا، مع ما كشف عنه من إلمام بالنُّسخ الأخرى المعاصرة له، واعتماده النّسخة المقروءة على الشّيخ .

وقد تقدّم التّمثيل لهذه القضية بما يغني عن إعادته هنا[1].

٧ – وضوح المعنى، وسلامة الأسلوب غالباً :

اتّسم تحقيق الفوائد – في الجملة – بوضوح معانيه، وسلامة أساليبه، ولو خلا من بعض الأفكار الفلسفيّة الّتي شابته وبعض أخطاء النّسخ لقُلْتُ : إنّ النّاظر فيه لا يحتاج إلى إعمال عقل وإعادة نظر ليدرك المعنى المراد .

ومع ما تمثّله هذه الميزة من أهمّيّة، وكونها مطلبـًا ضروريـًّا في كلّ مؤلّف إلاّ أنّها كانت منتظرة من الكرمانيّ الّذي أخذ على عاتقه شرح كتاب شيخه وتقريبه لطلبة العلم، وأنّى يكون ذلك بعيدًا عن المعنى الواضح المبني على الأسلوب السّليم !! .

---

(١) ينظر ص (١١٦) من قسم الدّراسة.

المطلب الثّاني :

المآخـــذ عليه

«تحقيق الفوائد» عملٌ بشريّ والبشرُ مظنّةُ الخطأ والنِّسيان والنَّقص، ولم يكتب الله الكمال لكتاب إلاّ لكتابه؛ فهو الّذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنْزيل من حكيم حميد﴾[١].

فعلى الرّغم من توافر محاسن الكتاب، وكثرة مزاياه؛ إلاّ أنّه لم يخل من بعض المآخذ القليلة الّتي أرجو أن لا تقلّل من قيمته العلميّة . ومنها :

١ – أخطاء عقديّة :

كتأويله اليد بالقدرة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]

وتقدّم في مبحث عقيدته أنّه ينتسب إلى المذهب الأشعريّ[٣].

فأدّت أشعريّته إلى الوقوع في هذه الأخطاء في نظر أهل السّنّة والجماعة بالمعنى الخاصّ .

---

(١) سورة فصلت . الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الفتح من الآية : ١٠ .

(٣) تنظر : الصّفحات (٦٧-٧١) قسم الدّراسة .

ومن المآخذ العقديّة الّتي تؤخذ على الشّارح وقوعه في بعض التّعبيرات الّتي تحمل في ظاهرها مخالفة شرعيّة واضحة؛ كقوله في أوّل الكتاب عند التّعرّض لبيان تسمية كتاب شيخه الإيجيّ بـ«الفوائد الغياثيّة»[١]: «منسوبةً إلى الوزير بن الوزير بن الوزير؛ الّذي ما وسع في طرف العالمين إدراك عظمته، وما وضع الزّمان أمراً إلا بعد مشيئته، الدّستور، الأعلم، الأعظم، سلطان وزراء العالم، غياث المستغيثين، خلاصة الماء والطّين، غياث الدّنيا والدّين، رشيد الإسلام والمسلمين» .

ففي قوله - كما هو ظاهر - مغالاة في الإطراء ومجاوزة في المدح والثناء؛ بل تضمّنت بعض جمل القول ما ينافي التّوحيد؛ منها : وصفه ممدوحه بأن الزّمان لا يضع أمراً إلاّ بعد مشيئته؛ فالمشيئة المطلقة - كما هو معلوم - لله سبحانه وتعالى، (والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلاّ إلى إذا كان الله قد شاءه . قال تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَّسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢][٣]. ومنها : وصفه الممدوح بأنّه (غياث المستغيثين) و(غياث الدّنيا والدّين)؛ فالاستغاثة بهذا الإطلاق لا تكون إلاّ لله ـــ سبحانه وتعالى - فهو المتفرّد بذلك، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

(١) ص (٢١٠-٢١١) قسم التّحقيق .

(٢) سورة التّكوير : ٢٨ - ٢٩ .

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد، لعبد الرّحمن آل الشّيخ : (٤٧٢) .

وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ﴾[1] . ثمّ من هو الوزير بن الوزير بن الوزير – وإن سما – بجانب صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين حتى يوصف بأنّه خلاصة الماء والطّين؟!

وهذا مأخذ يتّجه إلى ظاهر التّعبير أمّا مراد الشّيخ من هذه العبارات فلم يفصح عنه، على أنّنا لا نتوقّع من عالم جليل كالشّيخ الكرمانيّ أن يعتقد ما تضمّنته تلك التّعبيرات – وإن كانت تحسب عليه – وحكمنا مبني على الظّاهر، والله يتولّى السّرائر .

٢ – أخطاء منهجيّة :

وتمثّلت فيما يلي :

أ – اعتماده – أحيانـًا – على بعض الرّوايات الضّعيفة، ممّا أدّى به إلى الوقوع في الإسرائيليّات المنكرة؛ وظاهر أنّ السّبب في ذلك يرجع إلى اعتماده اعتمادًا كليـًّا في تفسير ما يعترضه من آي الذّكر الحكيم على كشّاف الزّمخشريّ؛ ذلك الكتاب الّذي يموج بالرّوايات الضّعيفة .

ومن ذلك تفسيره « المآرب » في قوله تعالى حكاية عن موسى –عليه السّلام– : ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾[2] بقوله[3]: « وقيل : كان فيها من المآرب الأخرى أنّه كان يستقي بها فتطول بطول البئر، ويصير

(١) سورة النّمل : من الآية : ٦٢ .

(٢) سورة طه، من الآية : ١٨ .

(٣) ص (٣٠٧) قسم التّحقيق .

شعبتاها دَلوًا، ويكونان شمعتين باللّيل، وإذا ظهر عدوٌّ حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأَوْرقت وأَثْمرت، وكان يحملُ عليها زاده وسقاه، فجعلت تُماشيه، ويركزها فينبع الماءُ؛ فإذا رفعها نَضَب، وكانت تقيه الهوامَّ».

وهذا الكلام بقضّه وقضيضه منقول نصًّا عن الزّمخشريّ[1].

ب - إخفاقُه - أحيانًا قليلة - في ربط شرحِه بالكتاب المشروح؛ على النّحو الّذي سلكه في الدَّمج بينهما؛ فظهر الانقطاع في السّياق تارة، والتّدخّل المخلّ تارةً أخرى.

فمن الأوّل: انشغال الشّارح عن إكمال فكرته الّتي ساق الحديث من أجلها بشرح بعض المفردات الواضحة، الّتي لا يفضي إغفال شرحها إلى انغلاق المعنى، كقوله[2]: «**الثّاني : لا تغلط في مثل قول الشّاعر :**

كما أبرقت - أي : صارت ذات برق - **قومًا عطاشًا غمامةٌ**

فلمّا رأوها أقشعت - انكشفت. وقشعته : كشفته، وهو مثل : أكبَّ، وكبّ؛ لزومًا وتعدّيًا - **وتجلّت** أي ظهرت. لكثرة الْتِبَاس الوصف الحقيقيّ بالاعتباريّ، وانتزاعه من أمرين - مثلاً - مع وجوب الانتزاع من أكثر؛ **فتنزع الوصف**؛ الّذي هو وجه التّمثيل **ممّا لا يتمّ المراد به؛ كالمصراع الأوّل ...**».

---

(١) الكشّاف : (٣/٥٩ ــ ٦٠).

(٢) ص (٦٥٨-٦٥٩) قسم التّحقيق.

فأنت تلحظ كيف أدّى انصرافُ الشّارح عن المعنى المراد، بما لا يستدعيه المقام إلى توزّع البيت الشّعري – جملاً ومفردات – هنا وهناك حتّى كدت تنسى أنّه يعرض بيتـًا شعريـًّا، وكان الأولى به أن يعرض البيت مجرّدًا؛ ليسارع إلى اقتناص المعنى المراد؛ ثم لا يعيبه ـ إن كان لا بدّ شارحـًا – أن يؤخّر شرح المفردات عقب تمام المعنى كما هي عادته في أغلب المواضع المشابهة[1].

ومن الثّاني : ما ترتّب على تدخّله من إيهام معنى لم يقصد إليه المصنّف في قوله[2]: «**وإمّا للتّباين**؛ أي الفصل إمّا للاتّحاد وإمّا للتّباين ... **فتارة ... لاختلافهما ... خبرًا وطلبـًا ... كقوله : ... إلا أن تضمّن إحداهما ... معنى الأخرى نحو قوله ... وقوله : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعد قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـافِرِينَ﴾ ... وعُـدَّ عطفـًا على ﴿فَاتَّقُواْ﴾ ... والأظهر**؛ أي عند السَّكّاكيّ **أنّه على (قل)** » .

فظاهر قول المصنّف : « والأظهر » أنّه يؤيّد هذا الرّأي، بينما ظاهر قول الشّارح بعده : « أي : عند السَّكّاكيّ » اختصاص الرّأي بالسَّكّاكيّ دون المصنّف أَوْ الشّارح، وليس الأمر كذلك؛ إذ لم يورد الشّارح عنه أَوْ عن شيخه رأيـًا آخر، بل كشف السّياق فيما بعد موافقة المصنّف للسّكّاكيّ .

---

(١) ينظر–على سبيل المثال–ص(٣٥٢-٣٥٣)وص(٦٥١-٦٥٢) من قسم التّحقيق.

(٢) ص (٥٣٨-٥٤١) قسم التّحقيق .

وعليه فإن تدخّله بالجملة السّابقة أوقع في فهم خلاف المراد . وكان الأَوْلَى - إن كان لا بدّ متدخّلاً - أن يقول: «كما حكاه السَّكّاكيّ» .

ج/ خطؤه في نقل بيت شعريّ دون أن يكون ما أورده رواية ذُكرت له . والبيت مشهور عند البلاغيّين . استشهد به الإمام عبد القاهر ومن جاء بعده بما فيهم السَّكّاكيّ عمدة المختصر والشّرح . وهو[1]:

«وقال : إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكـــــاذب».

أَمَّا خطؤه فيه فقد وقع في أوّل البيت؛ حيث قال : « قد قال »، و لم أقف على مصدر متقدّم أَوْ متأخّر أورده بهذا النّقل . وقد يقول معترض : ربّما وقع هذا الخطأ من النّاسخ دون المؤلّف !! فأقول : قد يكون، وربّما كان الأمر كذلك !!، إلاّ أنّ جميع نسخ الكتاب على هذا النّقل، الأمر الّذي يقوّي أن يكون من المؤلّف . والله أعلم .

٣ - خطأ علمي :

وتحقّق هذا الخطأ عندما فهم الشّارح من كلام المصنّف ما لم يقصده، فحمّل كلامه ما لا يحتمل؛ وقد يبدو هذا الخطأ واردًا بل ربّما وقع فيه كلّ من يقرأ المختصر إلاّ أنّنا لم ننتظره من الكرمانيّ بالذّات فهو أقرب الناس إلى شيخه وأعرف التّلاميذ بكلامه ومراده، فكيف فاته ألاّ يميّز بين كلام شيخه وكلام غيره !! .

---

(١) ص (٥٣٩) قسم التّحقيق .

ولنتبيّن الأمر بجلاء أسوق من الكتاب النّصّ الآتي[١]:

« **قال الرّبعيّ**، أي : عليُّ بن عيسى الرّبعيّ **نحويُّ بغداد: (إنّ) للتّحقيق**، أي كلمة إنّ للتّحقيق ولتأكيد إثبات المسند للمسند إليه **و(ما) مؤكّدة؛ لا نافية كما قال من لا خبرة له بالنّحو**؛ قيل عرّض به للإمام الرّازي ... » .

أقول : الظّاهرُ المتبادرُ إلى الذّهن من هذا النّصّ أنّ قول الرّبعيّ يمتدّ – فيما ساقه المصنّف – إلى نهاية الجملة؛ أي : «... من لا خبرة له بالنّحو » وهو ما تبادرَ إلى ذهنِ الشّارحِ؛ بدليل قوله فيما بعد[٢]: «وقال الرّبعيّ : إنّها قول من لا خبرة له بالنّحو ... » فقد فهم أنّ الجملة السّابقة كلّها مقول للرّبعي؛ لكن الحقيقة تبدو بالرّجوع إلى «المفتاح» وشروحه خلاف ما تبادر؛ فجملة «وما مؤكّده؛ لا نافية؛ كما قال من لا خبرة له بالنّحو» ليست من كلام الرّبعيّ؛ كما ظنّ الكرمانيّ، وإنّما هي من الإيجيّ يحكيها عن السّكّاكيّ الّذي علّق عليها في «المفتاح» بقوله[٣]: «ثمّ اتّصلت بها [أي : بـ« إنّ »] ما المؤكّدة لا النّافية على ما يظنّه من لا وقوف له بعلم النّحو»؛ وقد أبان شرّاح المفتاح[٤]؛ بل الكرمانيّ عقب الجملة

---

(١) ص : (٥٠٠) قسم التّحقيق .

(٢) ص (٥٠٢) قسم التّحقيق .

(٣) مفتاح العلوم : (٢٩١) .

(٤) ينظر شرح الشّيرازيّ : (٦٨٩)، شرح الجرجانيّ : (٥١١) .

مباشرة أنّ المعنيّ بذلك هو الإمام الرّازي؛ فهو صاحب القول المعترض عليه. وهنا يتجلّى الخطأ الّذي وقع فيه الشّارح حيث فهم أنّ الاعتراض متّجه من الرّبعيّ إلى الرّازي، وليس الأمر كذلك؛ إذ إنّ الرّبعيّ متقدّم في الوفاة على الفخر الرّازي فالرّبعيّ توفّي سنة (٤٢٠هـ).

أمّا الفخر فتوفّي سنة (٦٠٦هـ) . فكيف يعترض متقدّم على متأخّر ؟! - كما يفهم من كلام الكرمانيّ - . ثمّ لم تنقل كتب النّحو أنّ أحدًا قال بقول الرّازي ممّن سبق الرّبعيّ حتّى يوجّه قوله إليه . والله أعلم .

٤ - أخطاء أسلوبيّة :

ويمكن أن نقسمها إلى قسمين :

أ - ما يتعلّق بالمعنى :

ومن أمثلته : استطراد الشّارح - رحمه الله - في إيضاح قول المصنّف[1]: «**فإما أن لا يستدعي الإمكان**» مشيرًا به إلى القسم الأوّل أقسام الطّلب بما يعدّ أقرب إلى الغموض والإلباس؛ إذْ بنى حديثه على كلمتين زاوج بينهما ثمّ أدارهما نفيًا وإثباتًا؛ قال: «أي : لا يستدعي في مطلوب إمكان الحصول؛ لا أنّه يستدعي أن لا يمكن . والأوّل أعمّ؛ لأنّه كلّما صدق: (يستدعي أن لا يمكن) صدق : (لا يستدعي أن يمكن) وإلاّ لصدق (يستدعي أن يمكن) فيتجمع النّقيضان . وليس كلما صدق (لا يستدعي

(١) ص (٥٦٣) قسم التّحقيق .

أن يمكن) صدق (يستدعي أن لا يمكن) لأن الأوّل يحتمل أن يجامع الإمكان وعدمه؛ لاحتماله منهما، بخلاف الثّاني فإنّه لا يجامع الإمكان لاستلزامه عدمه» .

ولعلّ التوغّل في المنطق عند بعض تلاميذ المدرسة السَّكّاكيَّة هو الّذي أدّى إلى مثل هذا التّعقيد .

ب – ما يتعلّق باللّفظ :

ومن ذلك خطؤه في مخاطبة المؤنّث بصيغة المذكّر . ومثاله قوله[1]: «الأوّل : **عقد الهمّة به منك أَوْ من السّامع ولو ادِّعاءً**؛ أي تكون همّة المتكلّم أَوْ السّامع معقودًا به؛ حقيقةً أَوْ ادِّعاءً ... » .

فلفظة « معقودًا » وردت بصيغة التذكير، وحقّها أن ترد بالتّأنيث لكونها خبرًا لمؤنّث هو لفظة : « همّة » .

وممّا يلفت إليه النّظر في هذا الجانب إقحام الكرمانيّ – رحمه الله – لبعض الألفاظ الفقهيّة معبّراً بها عن بعض الأسرار البلاغيّة من مثل قوله[2]: « فعلم أنّ الجملة بالنّسبة إلى الواو لها الأحكام الخمسة ما يجب دخولها فيها كالجملة الاسميّة، وما يستحبّ كالماضيّة، وما يحرم ويمتنع كالمضارع المثبت، وما يكره دخولها ويكون تركها أولى كالجملة المنفيّة، وما يستوي الأمران فيها كما في الظّرفيّة » .

---

(١) ص (٤١٦٥) قسم التّحقيق .

(٢) ص (٥٦١) قسم التّحقيق .

فالألفاظ : (يجب، يستحبّ، يحرم، يمتنع، يكره) ألفاظٌ شرعيّة يكثر استعمالها على ألسنة الفقهاء، وكان ينبغي على الكرمانيّ أن لايزجّ بها في المباحث البلاغيّة؛ لأنّ البلاغة تقوم على الذّوق والتّحليل، وكلاهما لا يقبل الجزم أو القطع حتى تصدق عليهما تلك الألفاظ . ويبدو لي أنّ ثقافة الكرمانيّ الشّرعيّة هي السّبب وراء وجود مثل تلك الألفاظ .

وبعد؛ فهذه أبرز المآخذ الّتي تؤخذ على الكتاب، وهي - في نظري - لا تقلّل من قيمة الكتاب العلميّة، ولا تنقص من قدره إذا ما قوبلت بما له من حسنات، ولله درّ القائل :

وَمَنْ ذَا الَّذي تُرضَى سجاياه كلُّها
كَفَى المرءَ نُبْلاً أَنْ تُعدَّ معَـايُبهْ[1]!!.

(١) ديوان علي بن الجهم : (١١٨) .

المبحث الرّابع :

وصف مخطوطات الكتاب، ومنهج التّحقيق

وفيه مطلبان :

المطلب الأوّل :

وصف مخطوطات الكتاب .

المطلب الثّاني :

منهج التّحقيق

المطلبُ الأوَّل :

وصفُ مخطوطاتِ الكتـــابِ

بعد بحثٍ وتَنْقيبٍ شَديدين عثرتُ لهذا الكتابِ على خَمْس نُسخٍ[١]، استطعتُ ـــ بفضلِ الله تعالى ـــ وعلى الرُّغم من تَوزّعها على ثلاثِ دول الحصولَ على مُصوّراتها جميعـــًا . وبالمُقارنة بينها لم أَجْد كبيرَ فرقٍ يُذكر؛ فجميعُ النُّسخِ سَليمةٌ من آفاتِ المَخْطوطات، اللَّهمّ إلاّ ما كان من نُسْخة مكتبة شهيد التُّركية الَّتي امتدت لها معاولُ الأَرَضَة فأَحْدثت بها خُروماً وتَشَقُّقات .

وجَميعُها أَيْضـــًا سليمةٌ من آفاتِ النُّسَّاخِ باستثناء نسخة مكتبة مشهد الإيرانية الَّتي طغت عليها العُجمةُ في بعضِ الكلمات .

وقد أَسْفر إِمْعانُ النَّظرِ في تِلك النُّسخ إلى اتِّخاذ إِحداها أَصْلاً، قابلت بعض النُّسخ عليه، وأهملت بعضها الآخـــر، لعلل ســـــيرد ذكرها ـــ إن شاء الله ـــ فيما بعد .

وإليكَ بيانَ هذه النُّسخِ :

---

(١) تصَّفحتُ - في هذا الصّدد - أكثرَ من ثمانمائة مجلّد من فهارس المخطوطات، وراسلتُ أو اتصلتُ بمراكزَ متعددةٍ، منها : مركزُ الملك فيصل للبحوثِ والدِّراسات الإسلامية بالرِّياض، ومركز البحثِ العلميِّ بجامعة أمِّ القرى بمكةَ المكرمة .

أوّلاً : النّسخ المعتمدة :

١ – النّسخة الأصل :

وهي مَحْفوظةٌ في مكتبةِ دامادا إبراهيم باشا زادة في تركيا تحـــت رقم (١٠٢٦)، وتقعُ في ثلاثٍ وثمانين ورقة، في كلِّ ورقةٍ صفحتان، وعددُ أَسْطرِ الصَّفحةِ الوَاحدةِ يترواح ما بين (٢٥ – ٢٧)، وفي كلِّ سطرٍ منها نحو ثلاث عشرة كلمة .

وهي مكتوبةٌ بخطٍّ نسخيٍّ واضحٍ، سار على نَمطٍ واحدٍ حتَّى بداية الصَّفحة العَاشرة، ثم تغيَّر إلى خطٍّ نسخ تعليق واضحٍ أيضـــاً؛ ليعود مع بدايةِ الصَّفحة الثَّامنة عشرة إلى الخَطِّ الأَول . وهكذا يستمرُّ إلى بدايةِ الصَّفحة الحادية والسِّتين حيثُ يعود النّسخ تعليق ليأخذَ الخطّ شكله الأوَّل بعد الصَّفحة الثَّامنة والسِّتين، وهكذا يستمرُّ إلى نهايةِ المَخْطوط .

ويلحظُ أَنَّ نَاسخَها ميَّز المختصرَ من الشَّرح بالمدادِ الأَحْمر، كما أَنَّه اسْتدركَ في الحاشيةِ بعضَ السَّقطاتِ الَّتي تنمُّ عن مراجعته لها . وكانَ يُشير إلى السَّقط بـــ(↗) أَوْ (↖) .

أَمَّا غلافُها فجاءَ على النَّحو التَّالي :

١ – عنوانُ الكتاب واسم مؤلِّفه . وصورتهما : « كتاب شرح الفوائد الغياثيّة؛ للشَّيخ الإمام العالم المحقّق العلاّمة شمس الدِّين تلميذِ مصنِّفها تغمَّدهُ الله برحمته » وكُتبَ أَعْلى الوَرقة .

٢ - كلمةُ «لا إله إلاَّ الله محمَّدٌ رسولُ الله »، وكتبتْ بخطٍّ دَقيقٍ في أَعْلى الصَّفْحة في رُكْنها الأَيْسر على وجه التَّحديد .

٣ - تَقْريظٌ بخطِّ ابن الكرمانيِّ « يحيى » وردَ في عشرين سَطْرًا كُتبَ تحتَ العُنوانِ مباشرةً وامتدَّ به الكاتبُ إلى نصفِ الصّفحة، ثمَّ اتَّجه به إلى الطَّرف الأَيسر؛ كاتبـًا من أسْفلِ الصَّفحة إلى أَعْلاها نحو ستّة أَسْطر . وفي الطَّرف المقابلِ إلحاقٌ آخر كتبَ في سطرين .

وتضمّنَ التَّقريظُ إشادةً بمؤلِّف الفوائدِ الغياثيّةِ، وذكر اسمِه، ونسبه، ومؤلَّفاته، وتاريخِ وفاته ومكانه .

٤ - كلمةٌ بخطِّ ابن الكرمانيِّ أيضـًا؛ تَتضمّنُ تاريخَ وفاةِ والدِه، ومكان دفنه . وكُتبت أَمام العنوانِ واسمِ المؤلِّف .

٥ - عبارةٌ مسجوعة من ثلاثةِ أسطرٍ كتبتْ بخطٍّ مغايرٍ للخُطوطِ المُتقدّمةِ بقلمٍ مُخْتلف؛ نصُّها : « إذا ... في على الناس فالرّدى ... بموجع بخير مليك سيّد وسميدع مصطفى ... متمم ومصقع . بجيش ... قبل محكمه الجمع » .

ودوّنت في منتصف الصّفحة تقريبـًا . ويبدو أنّها كُتِبَتْ قبل تقريظ ابن الكرمانيّ المتقدّم بدليل أنّه انحرف عنها إلى طرف الصّفحة الأيسر .

٦ - ختم تملّك؛ نصّه : « وقف الملاّ عليّ أفندي القاضي بفساكرزوم إيلي على أولادِه بطنـًا بعد بطن ثمّ على من يكون مدرّسـًا

بمدرسة المرحوم شهزاده السّلطان محمّد خان بقسطنطينيّة المحميّة سنة ...»، ومكانُه في ركنِ الصَّفحةِ الأَيْسر مقابل الأَسْطر المَسْجوعة المُتَقدّمة، ويميل إلى الأَسْفل عنها قَليلاً .

٧ – كلمة : « كتاب معاني » كُتبت إحدى الكلمتين فوق الأُخرى بخطٍّ فَارسيٍّ . وموقعُها في أَقْصى الرُّكن الأَيمن قبالةَ الختمِ السَّابق .

٨ – بيتا شعر؛ نصّهما :

« يَقُولــون لي : صَــبْرًا فَصَــبرُك أَحْمــد
فَقُلتُ لهــمْ : مَهْــلاً فَصــدُّك أحمــد »

وجَاءا تحت الختمِ السَّابقِ بميلٍ إلى الجهةِ اليُمْنى منْه .

أَمَّا الصَّفحةُ الأَخيرةُ من هذا المخطوط فجاءت تَحْمل نَصَّين مُهمَّين :

أحدهما : يَتَضمَّن تاريخَ نسخِ المخطوط، واسمَ ناسخه؛ ونصُّه : « تمَّ نسخُ الكتابِ في الثُّلث الأَخير من شهرِ المبارك جُمادى الأُولى من سنةِ أربعٍ وستّين وسبعمائة هجريّة على يد المفترق في الذّنوبِ والمُعْترف بالعيوبِ الحسنِ بن عليٍّ بن مبارك ابن القَوّام الموصليّ . غَفَر الله ذُنوبهم وسَتَر في الدَّارين عيوبَهم، مُصَلّيــًا ومُسلِّمــًا على نبيِّه وآلهِ الطّيّبين وأَصْحابه الطّاهرين . آمين يا ربَّ العالمين » .

ثانيهما : يَتَضمن سماعَ المؤلِّف هذا الكتابَ من كَاتبه وإِجَازَته له بروايته عنه . وتَكْمُن أهميّةُ هذا النَّصِّ في أَنَّ كاتبَه هو محمّد بن يوسف الكرمانيّ نفسه .

ونصّه ما يلي :

« بِسْم الله، والحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِه محمّدٍ وآلِه وصحبِه أَجْمعين .

أمّا بعدُ :

فقد سَمِع المولى؛ إمامُ الأَئمّة، قدوةُ أفاضلِ العصرِ؛ جامعُ الفَضيلتين، مجمعُ الكَمالات، ذُو النَّفسِ القُدسيَّة، والفَضائلِ الأنسيَّة، جلالُ المِلَّة والدِّين، نصرُ الله، أدامَ الله كمالَه، وزادَ جلالَه في المنْزلين من الكاتبِ هذا الكتابَ؛ فأجزتُ له أَنْ يرويَه عنِّي، ويعربه غيره، مسطهراً بدعائه الشَّريف، مُلْتمســاً منه تَصْحيحه لو اطّلع على ما يَقْتضيه؛ نفعه الله وإيَّاي بما سَعَينا فيه .

وهذا خطُّ مؤلِّفه أصغرِ عبادِ الله تعالى محمّدِ بن يوسفَ بن عليٍّ بن محمّد الشَّافعيّ الكرمانيِّ؛ غَفَر الله زلاّته . وذلك في أوّل أَوَّلِ ربيعي سنة أربعٍ وستّين وسبعمائة ببغداد » .

أسباب اتّخاذ هذه النُّسخة أَصْلاً :

ثمّة أسبابٌ عدَّة، ومواصفاتٌ عالية؛ ارتقت بهذه النُّسخة، وأَهَّلتها لأَنْ تكون أَصْلاً، أسوقُها فيما يلي :

١ - وضوحُ خطِّها، وسلامةُ أَوْراقها .

٢ - استقامةُ نَصِّها، وقلّةُ سَقْطها .

٣ - كونُها أقدَم النُّسَخِ تاريخــاً؛ فهي مكتوبةٌ في زَمنِ المؤلِّف .

٤ - كونُها مقابلةً على نُسخةٍ أخرى؛ فهي بوزنِ نُسْختين .

٥ - اطّلاعُ ابنِ المؤلِّف عليها وكتابتُه على غِلافِها . وهو تلميذُ أَبيْه وألصقُ النَّاسِ به .

٦ - إجازةُ روايتِها أَوْ النُّسخةِ الَّتي قُوبلت عَليها من قِبَل المؤلِّف وبخطِّ يدِه .

٢ - النُّسخة (أ) :

وهي محفوظةٌ في مكتبة فاتح كتبخانة سي، فاتح جامع شريفي، در ونداه واقصر في تركيَا رقم (٤٦٣٨)، وتقع في أربع وستِّين ورقة، في كلِّ ورقةٍ صَفْحتان، وفي كلِّ صفحةٍ سبعة وعشرون سطرًا، وفي كلِّ سطرٍ منها نحو من ستّ عشرة كلمة .

وهي مكتوبة بخطّ نسخيٍّ جميل، سارَ على نمطٍ واحد من أَوَّلِ المخْطوطةِ إلى آخرِها، وعَليها اسْتدراكاتٌ قَليلةٌ في أَوَّلِها، تدلُّ على أنَّ ناسخَها راجعها بعد أَن أتمَّ نَسْخها . ولَمْ يُكْشَف عن نَاسخها ولا عن تَاريخِ نَسْخها، وإنْ كان خَطُّها يرْتقي بها إلى القَرنِ الثَّامن الهجريِّ «عصر المؤلِّف » . ويبدو أنَّ ناسخَها على قدرٍ من العِلم والإتقان، فَهُو حسنُ الخَطِّ، نادرُ التَّصحيفِ والتَّحريف، ملمٌّ بالمتن والشَّرح؛ حيث كتبَ أَوَّلهما بالمدادِ الأَحمر والآخر بالمدادِ الأَسْود .

وهي لَمْ تَبدأ بالمتن - كما بَدأت سابقتُها -، وإنَّما بالشَّرح؛ حيث جاءَ في أَوَّلها : « بسم الله الرّحمن الرّحيم . ربِّ يسِّر . الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ على خيرِ خَلْقِه محمَّدٍ وآله أجمعين . وبعد؛ فيقولُ العبدُ

أصغرُ عبادِ الله تعالى محمّدُ بن يوسفَ الكرمانيِّ أَعلى الله مَنْزلَه ومَنْزلَته في المَنْزلين، ورفَع مَقَامَه ومَكَانَته في المَكَانين . قالَ الأُستاذُ » .

وأهمُّ ما يُميِّزها - سوى ما تقدَّم - سلامةُ أوراقها؛ حيث خَلَت تَمامـــًا من أيِّ تلفٍ سواء داخل النَّصِّ أَوْ خارجه، واسْتقامةُ سِياقها، وقِلَّةُ سَقطِها، وتميّز خطوط عناوينها الدّاخليّة بخطّ سميك واضح .

ولهذه الامْتيازات قَدَّمتُها على بقيّةِ النُّسخِ الأُخرى، ورمزتُ لها بالحرفِ الهجائي الأَوَّل « أ » .

٣ - النُّسخة (ب) :

وتوجدُ في دارِ الكُتبِ الوَطنيَّةِ في تُونس تحت رقم (١٩٥٥) وتقعُ في مائة وستّ وعشرين ورقة؛ تَشْتمل الصَّفحةُ الواحدةُ منها على ثلاث وعشرين سطرًا بمعدَّل تسع كلمات للسَّطر الواحد .

وهي مكتوبةٌ بخطٍّ فارسيٍّ جَميل جدًّا، سارَ على نمطٍ واحد حتَّى نهايةِ المَخْطوطة، والنُّسخةُ مكتوبةٌ بالمدادين؛ المتن بالأحمر، والشَّرح بالأسود . وقد تأثَّرت أوراقُها بسبب الأَرضةِ والرُّطوبة، ممَّا أحدثَ فيها تَشَقُّقات وتَرْشيحات، وبدا الجهدُ الَّذي بُذلَ في تَرميمها واضحـــًا حيث القصّ واللّزق والأَشْرطةِ الشَّفّافة اللاّصقة .

وقراءتُها في الجملة ـــ مع ما اعْتَرَاها من آفات ـــ لا تُشَكِّلُ كبيرَ عناءٍ وبخاصَّةٍ مع وجودِ النُّسخِ الأُخرى الَّتي تُوضِّحُ مُشْكلها وتفكُّ طَلْسَمَهَا.

ومع أنَّها كثيرةُ السَّقطِ، وبخاصَّة ما يكون بسببِ انْتقالِ النَّظرِ، إلاَّ أنَّ أهميَّتها تكمنُ في تاريخها، حَيْثُ فرغَ نَاسِخُها من كتابَتِها في حياة مؤلِّفها وبالتَّحديدِ في ربيعِ الآخر سنةَ تسعٍ وستّين وسبعمائة، ولذا اعْتَمَدْتُها في المُقَابلةِ، ورمزتُ لها بالحرفِ الهجائي الثَّاني « ب » .

ثانياً : النسخ المهملة :

١ – نسخة مكتبة شهيد :

وهي موجودةٌ في مكتبةِ شَهيد علي في تُركيا تحت الرَّقم (٢٢٣٩)، وتقعُ في ثماني وثمانين ورقة، بَيْنما زاد ترقيمُها ورقةً واحدةً على الأَصْل، وهو خطأٌ سببُه احْتسابُ ورقةٍ لا علاقةَ لها بالكتاب قَبْل العُنوان . أَمَّا عددُ أسطرِ صفحتها الواحدة فثلاثةٌ وعشرون سَطرًا .

وخَطُّها نَسْخيٌّ جميلٌ جدًّا، معجمٌ في غالبِ أَحْرفه، محدّدُ الفَقَرات، واضحُ العَناوين، وظاهرٌ من ورقِها وخطِّها أنَّها قديمة النَّسخ بحيث تَرْتقي إلى زَمن المؤلِّف . ومع هذا لَمْ يكن أَمامي بدٌّ من إِهْمالها، والاكْتفاء بمجردِ الاسْتئناس بها، وذَلك لسَببين رئيسين :

١ – شدَّةُ التَّلفِ الَّذي لحق بها، ويَتَمثَّلُ في تَآكل أَرضة امتدَّ إلى جَميعِ أَوْراقها . ابْتداءً من صَفْحة العُنوان إلى صفحةِ الختام، ولكونه وَقَعَ في مُنْتصفِ الوَرقةِ في طَرفها الأَسفل لَمْ تسلم منه الصَّفحتان اليُمنى واليُسرى.

٢ – تَطَابُقُ نصِّها مع النُّسخة « أ » حيث سَارت معها حَذْو القُذَّة بالقُذَّة وتَابعتها حتَّى في الخَطأ؛ الأَمر الَّذي يؤكِّد كون إِحداهما مَنْسوخة

عن الأُخرى . وإنْ كُنتُ أُرجِّحُ تَأخَّرَ نسخة مكتبة شهيد لأَسْبابٍ تَبيّنتُها في أثناءِ المُقارنةِ بينهما . منها وقوعُ ناسخِ الأَخيرةِ في ثلاثةِ أَخْطاءٍ مُتفرِّقةٍ نَتجتْ عن إِخْفاقِه - قطعـًا - في قِراءة ثلاثِ كلمات من النّسخة «أ».

٢ - نسخة مكتبة مشهد :

ويعودُ الفَضْلُ في الاهْتداء إليها - بعـد الله سبحانه وتعالى - إلى فضيلةِ الدُّكتور/ يوسفَ بن عبد الرَّحمن المرعشليّ الباحث بمركز خدمة السُّنَّة والسِّيرة النَّبويّة؛ حيث تفضَّل مَشْكورًا بمراجعةِ النُّسخة الأَلمانيّة الأَصليَّة لكتابِ بروكلمن الموجودةِ لديه فوجدَ ما يدلُّ عليها في الذَّيل .

وتَمكّنتُ بفضل الله من الحصولِ على مُصَوَّرة لها من مكتبةِ مشهد في إِيران، فوجدتُها تقعُ في ثنتين وتسعين ورقة؛ في كلِّ صفحةٍ منها ثلاثة وعشرون سطرًا؛ في كلِّ سطرٍ نحو ثلاث عشرة كلمة . وخطُّها نسخيٌّ جميل جدًّا مُعْجم، سارَ على نَمطٍ واحدٍ من أَوَّلِها إلى آخرها .

والحقَّ أَقُولُ : أنّني توسَّمت في هذه النُّسخة خيرًا بادئ الأَمر وبخاصَّة قَبلَ الحصولِ عليها وقلتُ في نَفْسي : لعلَّ في وجودها في بيئة صاحب المتنِ وصاحبِ الشَّرحِ ما يُميّزها عن غَيْرها . وما زالت كَذلك حتَّى قرأْتُها كاملةً وقارنتُها بغيرِها . فوجدتُها كثيرةَ السَّقط؛ ظاهرةَ العجمةِ في بعضِ كَلماتِها؛ غيرَ متّضحة المتن في بعضِ المواضِع لكتابته بالأحمر فآثرتُ عدم الاعْتمادِ عليها دون الاسْتِئناسِ برغمِ ما بذلتُ في جَلْبها من الجُهدِ والمالِ .

٣ – نسخة المتن :

سبقت الإشارةُ إلى أنّ الكرمانيّ ضَمَّن كتابَه « تحقيق الفوائد» كتاب شيخه الإيجيّ « الفوائدَ الغياثيّة » وإتمامـًا للفائدة وتَحرِّيـًا للدِّقّة رأيتُ أَنْ أعرضَ نصَّ المتنِ الموجودِ في شَرْح الكتابِ على نُسخةٍ مُستقلّة للمتن واضعـًا نصبَ عيني هدَفين رئيسين :

١ – الاطمئنانُ على نصِّ المتن الموجودِ في كتابِ الكرمانيّ . والتَّأكُّدُ من سلامته كَمَا وضَعه مُصَنِّفُه دون تَغْيير قد يَلْحق به، أَوْ يَعْتريه من جَرَّاء التَّضْمين، وكَثيرًا ما يحدثُ ذلك في المصنَّفاتِ المُشَابهة؛ حيث يُسَوِّغُ الشَّارحُ لنَفْسه تكييفَ المتن بما يَتَناسبُ مع سياقِ الشَّرح .

٢ – تحرِّي الدِّقّة في تَرْجيح إحدى الرِّوايتين أَوْ الرِّوايات عِنْد اخْتلافِ المَتنِ في نُسخ الشَّرح، وبخاصَّة أنّ ذلك الاختلافَ مُتوقّعٌ، بل واردٌ نظرًا لأَهميَّة كتابِ « الفوائد » الَّذي تلقّاه النَّاسُ بالقبولِ، وتَلقّفته الصُّدور بالحِفْظِ ممَّا أدَّى إلى كثرةِ نُسخه واختلافِ روايته .

وفي سبيلِ ذلك لَمْ أجدْ مناصـًا من الاعْتمادِ على نسخة خطِّيَّة للفوائد الغياثيّة . أمَّا الكتاب المحقّق فأهملته تمامـًا لأسبابٍ سوف أَذْكرُها في نهايةِ المطلبِ .

وإليك وصفاً موجزاً لهذه النُّسخة :

- نسخةُ الفوائد الغياثيَّة « ف »:

وتوجد مصوّرتها في مكتبة مخطوطات الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة تحت الرّقم (١٦/١٠٣) .

وتقع في إحدى وثلاثين ورقة، في كلِّ ورقةٍ صَفْحتان، ومسطّرتُها تسعةَ عشرَ سطرًا؛ بمعدّل ثماني كلمات في السَّطر الواحد .

وخطُّها قديمٌ واضحٌ، وبها سقط لكنَّه قليلٌ . ويلحظ أنّني رمزت لها في أثناء المقابلة بالحرف « ف » الحرف الأوّل من عنوان الكتاب .

أَمَّا كتابُ « الفوائد الغياثيّة » المحقَّقُ فإنّني لم أُعوِّل عليه لعدَّةِ أسبابٍ أجْمِلُها فيما يلي :

١- تَأَخّرُ زمنِ النُّسخ الّتي اعتمدَ عليها محقّقه في التَّحقيق وعدمِ استقلاليّة بعضها؛ حيثُ كان ضِمْن بعض شُروح الكتابِ المُتأخِّرة .

٢ - كثرةُ المآخذ الّتي اسْتدركتُها عليه - بعد قراءةِ الكتابِ كَاملاً ومُقَارنَته بالنُّسخ الّتي لديَّ -؛ حيث تجاوزت تسعين مَأخذًا، بعضُها أَخْطاء في إقامةِ النَّصِّ إمَّا بالزِّيادة أَوْ بالنَّقص، أَوْ بالتَّقديمِ أَوْ بالتَّأخير، أَوْ بالتَّحريف أَوْ التَّصحيف، أَوْ بإثباتِ غيرِ الصَّواب مع وجُود الصَّواب . وبعضُها أخطاء طباعيَّة، وأُخر وقَعت في آياتٍ قُرآنيَّةٍ .

المطلبُ الثّاني :

منهجُ التحقيق

حاولتُ جَهْدي إخراجَ كتاب « تحقيق الفوائد » كما أراده مؤلِّفُه، واسْتَنفذتُ الوسعَ في أَنْ يكون في المكانَة اللاَّئقة به وبصَاحبه . ولذا حرصتُ على اتّباعِ مَنْهجٍ عِلْميٍّ سَلِيم مُتَحرِّيـًا الأَمَانةَ والدِّقَّةَ في كلِّ ما أكتبُه أَوْ أعْرض له .

ولهذا قُمْتُ بما يلي :

١- اعتمدتُ نسخةَ مكتبة « دامادا إبراهيم باشا » أصلاً؛ لامتيازات حَظِيت بها، ثمَّ نسختُها كاملةً مراعيـًا في ذلك قَواعدَ الإملاء الحَديثة وعلامات التَّرقيم إلاَّ ما كان من الآياتِ القرآنيّة فإنِّي أثْبتُّ رسْمَها كمَا هو في المُصْحفِ العُثْمانيِّ .

٢- رمزتُ لوجهِ الوَرقة بالرَّمز « أ »، ولظَهْرها بالرَّمز « ب » .

٣- أثبتُّ أرقامَ صفحاتِ النُّسخةِ الأَصليَّة . وذلك بوضعِ خطٍّ مائلٍ عند نهايةِ كلِّ صفحة، والإشارَةِ إلى رقمِ الورقةِ، ورمزِ صفحتِها؛ في الهامشِ الأَيْسر، أَمام الخطِّ .

٤- قابلتُ نسخةَ الأَصْل بالنُّسختين الأخريين المعتمدتين، ذاكرًا الفُروقَ بينها في الحَاشية، و لم أَتدخّلْ في الأَصْل إلا لمسوِّغ قَويٍّ يَقْتضي ذَلك من :

أ : تَيَقُّن خطأ الأَصل . وفي هذه الحالة أُثبتُ الصَّوابَ في المتن وأُشير في الحاشيةِ إلى مَا وردَ في الأصلِ بقَولي : « في الأصْلِ ... والصّواب من نسخة ... » .

الحالة الثّانية :

ب : تيقُّن صحّة بقيَّة النُّسخ، وفي هذه الحالة أُثبتُ الصَّحيحَ في المتن وأُشير في الحاشية إلى ما ورد في الأَصل بِقَوْلي : « في الأَصْل ... والمُثْبت من نسخة ... » .

وجلُّ ما أَثْبتُّه ممَّا تيقَّنتُ صحَّته وجَدتُ له شَواهدَ تُقوّيه وتُرجّحه على غيره؛ إمَّا من النُّسخ الأُخرى وغالبـًا ما يكونُ بإجماعها سواء المعتمدة أَوْ المهملة، أَوْ بالنُّسخ الأُخرى ومصادر القَولِ النَّاقلة له إنْ وجدت .

٥ - قابلتُ نصَّ « الفوائد الغياثيّة » الموجودَ بالنُّسخة المعتمدة أَصْلاً بنسخة خطِّيّة مستقلّة للكتاب وهي الّتي رمزت لها بالحرف « ف » كما سبق أن ذكرت وأَشْرتُ إلى الفُروق بَيْنهما، وكثيرًا ما أُطَمئنُ القارئ إلى أنّ ما خالف الأصل من النّسختين الأخريين ليس خطأ ورادًا، بل رواية ثابتة للكتاب .

٦- عزوتُ الآياتِ القرآنيَّة،بذكرِ اسمِ السُّورة ورقمِ الآية؛ مُفَرِّقـًا بين الاسْتشهادِ بجـزءِ الآيةِ والآية؛ بقولي في الجُزْء: «من الآية » أَوْ «بعضَ الآية »، ومكمِّلاً بعضَ الآياتِ في الحاشيةِ إن تَطَلَّب الإيضاحُ ذلك. كما أَنّني قمتُ بتَمييزِ الآياتِ عن سائرِ النُّصوص بِوَضعها بين قَوْسين مُزهرين ﴿ ﴾ .

٧- وثّقتُ القراءات القرآنيَّة من كتب القراءات بالدَّرجة الأُولى، ثمَّ من كتب التَّفسير الَّتي تُعْنى بالقراءات، ونَسَبْتُها إلى أَصْحابها .

٨- خَرَّجتُ الأَحاديثَ النَّبويَّة والآثارَ من مصادر الحديث المَعْروفة، متبدأً بالبحث عن الحديث أَوْ الأَثر في كتب الصِّحاح، فإن لم أجدْ بحثتُ في كتب غريب الحديث والأَثر، مشيرًا في الغَالب إلى لفظ الحديث كما وردَ في مصدره .

٩- خرَّجتُ أمثالَ العرب السَّائرةَ وأقوالَهم المَشْهورةَ من كتب الأمثال، ومن بقيَّة كتب الأدب واللُّغَة .

١٠- خرَّجت الشَّواهد الشِّعريَّةَ الواردةَ في الكتاب مبتدأً بالدِّيوان إنْ كان للشَّاعر ديوانٌ، أَوْ من مَجْمُوعه الشِّعري إنْ وُجدَ . مع تخريجه – أيضـًا – من بعض كتب اللُّغة والأَدب . مُشيرًا في غالب الأبيات إلى اخْتلاف روايات البيت، فإن لم أَجد ديوانـًا أَوْ مَجْموعـًا شعريـًّا خرّجتُ البيتَ من كتب اللُّغة والنَّحو والأَدب .

وإذا كانَ الشَّاهدُ الشِّعريُّ بلاغيـًّا أشرتُ – إضافـةً إلى ما تقدَّم إلى ـــ الاسْتشهاد به في المصادر البَلاغيَّة المتقدِّمة على المُصنِّف .

كما أنّني حرصتُ على نسبة الأبيـات ـــ الَّتي لم يَنْسبها الكتاب – إلى قائليها، مبيّنـًا الخلافَ في نسبة البيت إنْ نسبَ إلى أكثر من قائلٍ، ومتى ورد صدرُ البيت أَوْ عجزُه أَوْ جزؤُه أكْملتُه في الهامش إن اهتديت إلى بقيّته، وقد أذكرُ في الهامش بيتـًا أَوْ بيتين وَردا برفقة البيت المُسْتشهد به .

١١- قمتُ بتخريجِ أقوالِ العلماءِ وغيرهم، وما وقفتُ عليه من آرائهم من مؤلَّفاتهم إنْ كان لَهم مؤلَّفاتٌ، فإن لم تَكُن أَوْ فُقدت خَرَّجتُها من المصادر الَّتي تَنْقُلَها .

١٢- وضعتُ الأحاديثَ النَّبويّةَ، والآثارَ، والأقْوالَ، والأَمْثالَ، والنُّصوص المَنْقولة، وأَسماء الكُتب بَين قَوْسين صَغيرين: « » .

١٣- شَرَحتُ المُفْرداتِ الغَريبةَ، وحاولتُ أَن يكونَ ذلك من مَظَانِّها قَدْر الإمكان؛ فإنْ كَانت اللَّفظةُ الغَريبةُ في آيةٍ قرآنيَّة فَسَّرتُها من كتبِ غريبِ القُرآن أَوْ التَّفسير، وإنْ كانت في حديثٍ أَوْ مثلٍ شَرحتُها من كتبِ غريبِ الحديث، أَوْ شُروح الحديث، وإنْ كَانت في سائر النُّصوص الأُخرى فمن كتبِ المعَاجم، والمصادر اللُّغويَّة .

١٤- علَّقت على بعضِ عِباراتِ الكتاب بمَا يُزيلُ إبهامها، ويوضِّحُ غموضَها، وحَرصتُ على إعادة الضَّمائر إلى مَرْجعها من الكلام .

١٥- خَرَّجتُ الكلماتِ الدَّخيلة أَوِ الْمُعَرَّبَة من كتبِ المعرَّب أَوْ الدَّخيل إنْ وجدت بالدَّرجة الأُولى، فإنْ لَم تُوجد فَمن بقيّة كتبِ اللُّغة .

١٦- ضَبطتُ الآياتِ القُرآنيَّة، والأَحاديثَ النَّبويَّة، والآثارَ، والأشعار، والأَمْثالَ بالشَّكلِ التَّامِّ .

١٧- ربطتُ أجزاءَ الكتابِ بعضَها ببعضٍ، وذلك بالإشارةِ إلى أَرْقام الصَّفحاتِ الَّتي أَحالَ عليها الشَّارحُ في الكِتاب .

١٨- ترجمتُ للأَعلامِ الَّذين وردَ ذكرُهم في متنِ الكتابِ، وحاولتُ أَنْ تكونَ التَّرجمةُ موجزةً متناولةً أبرزَ مَعَالم الشَّخصيَّة؛ كاسْمه، ونَسبه، ولَقبه، وكُنْيته، وولادته، وتاريخِ وفاته، وأهمّ مؤلّفاته . مُشيرًا – بعد ذلك – إلى أهمّ مصادر التَّرجمة الَّتي اسْتفدتُّ منها .

١٩- حرصتُ – جهدي – أن أُرتِّبَ المصادرَ الَّتي أُحيلُ عليها في الهامشِ بحسبِ وفيّات مُؤلِّفيها ما لَمْ يَسْتدعِ السِّياقُ تقديمَ متأَخّرٍ على متقدِّم .

٢٠- عرَّفتُ بالأَماكن والبُلدان والمَواضع الَّتي ورد ذكرُها في المَتن، وعَوَّلتُ في ذلك على كتبِ الأَماكن والبُلدان .

٢١- أشرتُ – أحيانًا – إلى بعضِ الأَخطاءِ الواردةِ في المتن من النُّسّاخ؛ كَأَن أَقُول : « وهو تَحْريفٌ »، أَوْ « تَصْحيفٌ »، وعلَّلتُ لبعضِ السَّقطِ بقَولي مثلاً : « وهو من انتقال النَّظر » .

٢٢- اختصرتُ – أحيانًا – أسماءَ بعضِ الكتب بما يُنْبئ عنها؛ مَنْعًا للإطالة من مِثْل « المفتاح » في الدّلالة على « مفتاح العلوم »، و«المعاهد » في الدّلالة على « معاهد التّنصيص » .

٢٣ ــ ذَيّلتُ الدِّراسةَ بنماذجَ من صُور الصَّفحاتِ الأُولى والأَخيرة للأَصل وبقيَّةِ النُّسخ المُعْتمدة، وبفهرس لموضوعات الدّراسة .

٢٤- وضعتُ للكتابِ عدَّةَ فهارسَ فنِّية؛ تيسيرًا للإفادة منه .

القسم الثّاني :

قسم التّحقيق

تحقيق الفوائد

لشَمْسِ الدِّين؛ محمَّد بن يُوسف الكِرمَانيّ

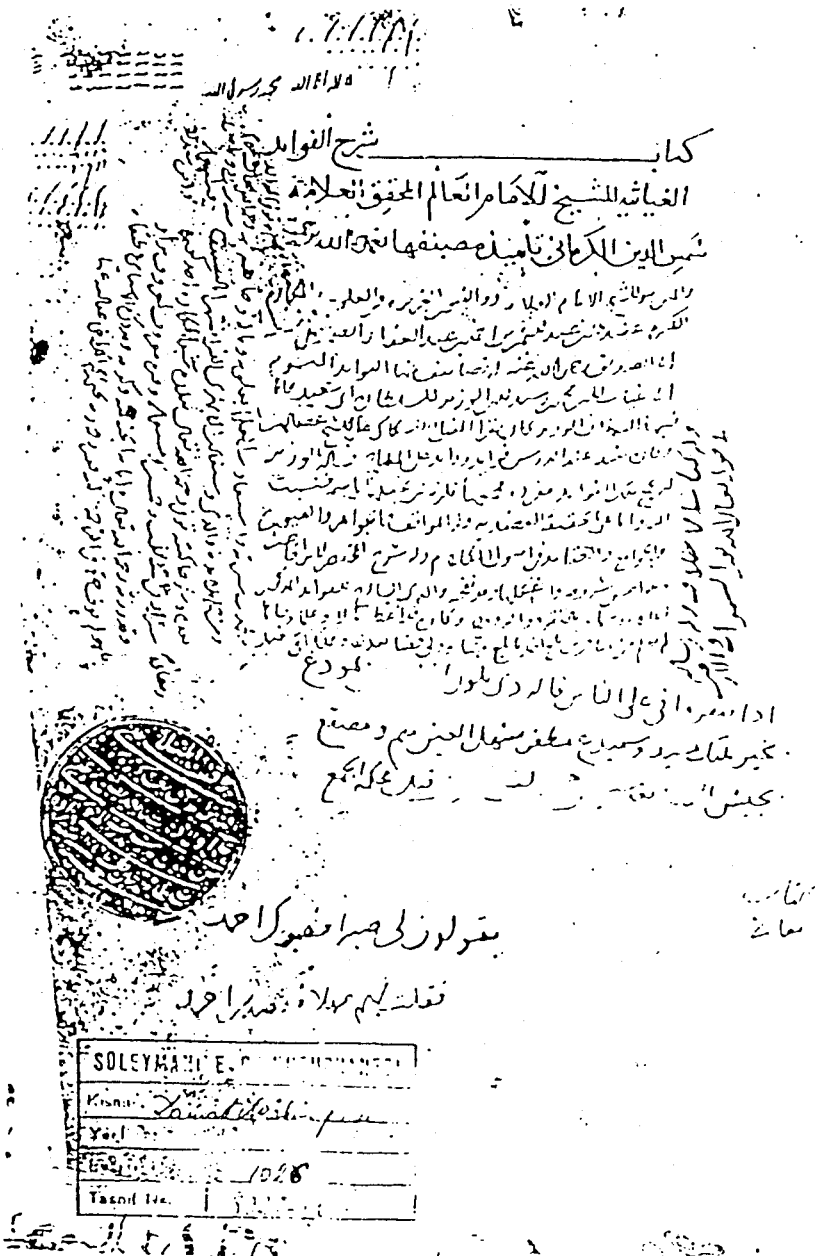

ورقة العنوان من النسخة الأصل

الورقة الأولى من النسخة الأصل